

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



لِنُفَاخِرَجَبَيْ طَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي مُشْرِجَاتِ

# الْإِصْلَاحُ الْحُسَيْنِي

مَجَلَّةٌ فِصْلِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ تُعْنَى بِالنُّهْضَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ وَأَفْقِهَا الْفِكْرِيَّةِ

تَصَدَّرُ عَنْ

مُؤَسَّسَتَيْ وَارِثِي الْأَنْبِيَاءِ لِلدَّائِمَاتِ التَّحْصِيصِ فِي النُّهْضَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ

الْعَتَبَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ

العدد التاسع والثلاثون

السنة العاشرة (١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م)



# الإصلاح الحسيني

## \*.....الإشراف العام:

سماحة العلامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

## \*.....التنسيق العام:

السيد صالح التنكابي

السيد مالك البطاط

السيد حسن محمد رضا الحكيم

## \*.....إدارة المؤسسة:

الشيخ باقر الساعدي (النجف الأشرف)

الشيخ رافد التميمي (قم المقدسة)

## \*.....معاونية المؤسسة:

الشيخ عباس الحمداوي (النجف الأشرف)

الشيخ جيلدر الأسدي (قم المقدسة)

## \*.....التصميم والإخراج الفني:

الشيخ حسين المالكي

السيد صادق الحيدري

عبد الزهرة الطائي

## \*.....رئيس التحرير:

الدكتور حاتم كاظم موسى البخاتي

## \*.....مدير التحرير:

الدكتور عدنان جاسم كريم الطائي

## \*.....هيئة التحرير:

الشيخ ثناء الدين الدهلكي

د. الشيخ ميثم الربيعي

د. الشيخ أسعد السلطان

د. الشيخ رغدان المنصوري

د. الشيخ حيدر خماس الساعدي

## \*.....التدقيق اللغوي:

عصام بدران العلي

## \*.....معمد الترجمة الإنجليزية:

الشيخ حيدر نجم البهادلي

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٩٢٤) لسنة ٢٠١٣م

الترقيم الدولي: 7-240-984-964-978 ISSN:



## السياسة العامة لمجلة الإصلاح الحسيني

مجلّة (الإصلاح الحسيني) مجلّة علمية تختصّ بالنهضة الحسينية، تصدر عن مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصّصية في النهضة الحسينية، التابعة للعتبة الحسينية المقدّسة.

تُعنى المجلّة بنشر كلّ ما يمتّ بصلة إلى النهضة الحسينية، وآفاقها المتعدّدة، من خلال تسليط الضوء على: تاريخها، وتراثها، وفلسفتها، وإبراز جوانبها: الإنسانية، والاجتماعية، والفقهية، والأدبية، وغيرها من الحقول المعرفية.

تتطلّع المجلّة لاستيعاب جميع المجالات المهمّة والحسّاسة في دراسة النهضة الحسينية، شريطة أن تكون البحوث والدراسات المقدّمة موافقة لأصول البحث العلمي، وأخلاقيات النشر المتّبعة في الأوساط العلمية والبحثية.

وعلى هذا الأساس؛ تستقبل المجلّة من الكتاب والباحثين الكرام كلّ بحث له صلة بالإمام الحسين (عليه السلام) ونهضته المباركة، على أمل أن تلاحظ سياسة المجلّة المدرجة ضمن النقاط الآتية:

١ . أن تكون البحوث منسجمة مع اختصاص المجلّة، وسياستها العامة، وضوابطها المعتمدة في النشر.

٢ . يخضع البحث المقدّم للنشر لعملية تقييم علمي من قبل لجنة مختصة من المحكّمين العلميين.

٣ . بعد عملية التقييم العلمي، وتأييد صلاحية البحث للنشر، يخضع البحث للتحريّر من قبل هيئة التحرير.

٤ . إطلاع الباحث على قبول نشر بحثه أو عدمه في مدّة أقصاها شهران من تاريخ استلام البحث.

- ٥ . بعد الموافقة على نشر البحث يُعتبر البحث ملكاً للمجلة، فلا يحقّ للباحث تقديمه للنشر، أو المشاركة به في أيّ نشاط علمي آخر.
- ٦ . لا يحقّ للباحث سحب بحثه بعد تقييمه من قبل المحكمين العلميين، وتأييد صلاحية نشره من قبل رئاسة التحرير.
- ٧ . للمجلة حقّ إعادة نشر البحث في كتاب مستقلّ، أو ضمن كتاب، مع الحفاظ على نصّه الأصلي، وحقوق الكاتب المعنوية.
- ٨ . ليست المجلة ملزمة ببيان أسباب الرفض فيما لو لم يحصل البحث على درجة القبول المطلوبة.
- ٩ . لا ترى المجلة نفسها ملزمة بإعادة البحث إلى الباحث، سواء نُشر في المجلة، أم لم يُنشر.
- ١٠ . تستقبل المجلة البحوث المكتوبة باللغات الأخرى غير العربية، وستعمل على نشرها بعد ترجمتها إلى اللغة العربية.
- ١١ . قد تعتمد المجلة إلى ترجمة البحوث المنشورة بلغات أخرى إلى اللغة العربية، ونشرها في المجلة، بعد إعلام الباحث بذلك.
- ١٢ . تحتفظ هيئة التحرير بحقّ تعديل أو حذف ما لا تراه منسجماً مع سياسة المجلة، وأهدافها العامّة، وما يُخالف السلامة الفكرية، والثوابت الدينية.
- ١٣ . يخضع ترتيب البحوث المقدّمة للنشر لاعتبارات فنيّة تقتضي التقديم أو التأخير أحياناً.
- ١٤ . تُراعى في أسبقية النشر الأبحاث المشاركة في المؤتمرات أو الندوات أو الملتقيات الفكرية التي تُقيمها مؤسسة وارث الأنبياء، وذلك بعد تأييد صلاحيتها للنشر من قبل اللجنة المعنية بذلك.
- ١٥ . جميع الأفكار والآراء المطروحة في المجلة تعكس وجهة نظر أصحابها، ولا تُعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

## ضوابط النشر في مجلّة الإصلاح الحسيني

- ١ . أن يكون البحث مرتبطاً باختصاص المجلّة، منسجماً مع أهدافها وسياساتها العامّة.
- ٢ . أن يكون البحث مبتكراً، أو يتضمّن نوعاً من التجديد والإبداع، وأن يحتوي على تطبيقات ونتائج ذات أهميّة على الصعيد العلمي.
- ٣ . ألا يكون البحث منشوراً في مجلّة أخرى، أو أيّ وسيلة من وسائل النشر المتنوّعة، أو مقدّماً للنشر فيها.
- ٤ . أن يراعي الباحث أصول البحث العلمي وأخلاقياته، وأن يلتزم بمنهجياته وخطواته المتعارفة على المستوى العالمي.
- ٥ . أن يحتوي البحث على العناصر الأساسية الآتية: ملخّص، مع كلمات مفتاحية باللغتين العربية والإنجليزية، ومقدّمة، ومحتوى، وخاتمة تتضمّن أهمّ النتائج والتوصيات، وقائمة بالمصادر والمراجع.
- ٦ . ألا يكون البحث المقدم للنشر مستلّاً من كتاب، أو رسالة، أو أطروحة لغرض الترقية العلمية، وأن يوقع الباحث تعهداً خطياً خاصاً بذلك.
- ٧ . ألا يكون موضوع البحث مستهلكاً من الناحية العلمية، أو تجميعياً إلى درجة يغيب فيها الحضور العلمي للباحث.
- ٨ . اعتماد اللغة العلمية الرصينة، والتحليّ بالموضوعية والدقّة المطلوبة في عرض المعلومات.
- ٩ . ألا يقلّ عدد صفحات البحث عن (١٥) صفحة، ولا يزيد على (٣٠) صفحة، بمعدّل (٢٥٠) كلمة في الصفحة الواحدة.

## دليل المؤلفين

تخضع عملية التأليف وكتابة البحوث للمعايير الأخلاقية للبحث والنشر العلمي (COPE)، من حيث الأسلوب، والمنهجية، والمضمون، ولا ينبغي تجاوز هذه المعايير لأي سبب من الأسباب؛ فإن تجاوزها ينعكس سلباً على المستوى الفكري والمعرفي للبحث؛ الأمر الذي يُعرض الباحث إلى المساءلة العلمية، والقانونية أيضاً.

ومن جملة هذه المعايير ما يأتي:

- ١ . على المؤلف تقديم بحث أصيل ومبتكر قدر الإمكان مطابق لمواصفات البحوث المحكمة.
- ٢ . بيان النتائج والمخرجات بشكل صحيح، وذلك عن طريق عرض المقدمات بشكل منطقي متسق.
- ٣ . تجنب عرض المعلومات أو النصوص أو النظريات المقتبسة من مفكرين آخرين، أو ترجمة أعمالهم بطريقة توحي إلى كونها من إبداعات الباحث وابتكاراته (السرقة الفكرية)، من دون إرجاع إلى مصادر تلك النصوص أو المعلومات المقتبسة.
- ٤ . تجنب الخوض في مسائل بعيدة عن الخلق الرفيع، والذوق السليم، أو بيان معلومات مجانية للحقيقة، وعدم استخدام أيّ تعبير يحمل بين طياته نزعة طائفية أو عرقية أو قومية.
- ٥ . لا ينبغي للمؤلف تقديم البحث ذاته إلى أكثر من مجلة أو فعالية علمية مشابهة؛ إذ يُعدّ ذلك منافياً لأخلاقيات النشر العالمية، إلا في حال إجراء تعديلات جوهرية على عنوانه ومضمونه.



- ٦ . ينبغي للباحث أن يلتزم بتضمين البحث قائمة بالمصادر والمراجع التي رجع إليها، واعتمدها في البحث، مرتبة في نهاية البحث وفق الصيغة التالية: (عنوان المصدر أو المراجع، اسم المؤلف، دار النشر، بلد النشر، رقم الطبعة، سنة الطبع)، على أن يكون ترتيب المصادر المثبتة في هامش كل صفحة بالطريقة الآتية: (اللقب، الاسم، عنوان المصدر: الجزء، الصفحة).
- ٧ . الاعتماد على المصادر الأولية المعنية بموضوع البحث قدر الإمكان، دون الرجوع إلى المصادر الثانوية.
- ٨ . على المؤلف إذا اكتشف وجود خطأ أساسي في بحثه، أن يُشعر إدارة المجلة فوراً بذلك؛ كي تتخذ الإدارة الإجراءات اللازمة بحذف الخطأ أو تصويبه.
- ٩ . عدم التعريض والإساءة إلى الأشخاص أو الباحثين، حتى لو كان ذلك في مقام الردّ على شبهاتهم أو إشكالاتهم العلمية.
- ١٠ . الالتزام بقواعد الاقتباس والتوثيق؛ فلا بدّ للباحث من الالتزام بوضع علامات الاقتباس المتعارفة لكل نصّ مقتبس من مصادر أخرى، لكيلا يختلط بنصوص الباحث وأدبياته.
- ١١ . ينبغي للباحث إجراء تعديلات في بحثه وفقاً لمقترحات لجنة المحكّمين، وفي حال عدم الموافقة على التعديلات المقترحة، يجب عليه تقديم تبرير منطقي بأسباب الرفض، فإن لم يُقدّم الباحث أسباباً مقنعة تحتفظ المجلة بحقّها في عدم الموافقة على نشر البحث.
- ١٢ . يُكتب عنوان البحث واسم الباحث باللغتين العربية والإنجليزية، وتُثبت جهات انتساب الباحث (القسم، الكلية، الجامعة أو المؤسسة العلمية والبحثية التي ينتمي إليها، المدينة، البلد).
- ١٣ . كتابة ملخص البحث (*Abstract*) باللغتين العربية والإنجليزية، مع الكلمات المفتاحية (*Keywords*)، وتتراوح كلمات الملخص ما بين (١٥٠-٢٠٠) كلمة،

على أن يضمّ الملخص بيان موضوع البحث، وأهدافه، والمنهج المعتمد، مع ذكر أهمّ النتائج التي توصل إليها الباحث، ولا ينبغي الاستشهاد بمصدر، أو بيان دليل أو شاهد.

١٤ . ينبغي تحديد مشكلة البحث وأهمّيته وأهدافه وتحليل النتائج وتفسيرها في ضوء المنهج العلمي المتّبع.

١٥ . إذا كان البحث مشتركاً بين مؤلّفين أو أكثر، فلا بدّ من حصول مقدّم البحث للنشر على موافقة جميع المؤلّفين المشاركين في إعدادة وتأليفه قبل تقديمه؛ فإنّ ذلك يُعدّ جزءاً من حقوقهم.

١٦ . لو تبّين بعد قبول البحث أنّه غير مستوفٍ لشروط النشر، فسيُطلع الكاتب على ذلك، وإذا نُشر ثمّ ظهر بعد ذلك عدم اشتغال البحث على أخلاقيات البحث العلمي، يتحمّل الباحث كافّة التبعات القانونية.

١٧ . يُقدّم البحث مطبوعاً وخالياً من الأخطاء اللغوية والمطبعية قدر المستطاع.

١٨ . يُرسل البحث على قرص مدمج، أو على البريد الإلكتروني الخاصّ بالمجلة، مرفقاً بالسيرة الذاتية للباحث، وبريده الإلكتروني.

١٩ . تُرفع الملاحظات التي يبيدها المحكّم العلمي إلى الباحث؛ بغية إجراء التعديلات التي تُقرّها لجنة التحكيم، على أن يُسلّم الباحث نسخة معدّلة في مدّة لا تتجاوز أسبوعاً واحداً من حين إبلاغه بذلك.

## دليل المحكمين العلميين

المهمة الأساسية للمحكم العلمي هي قراءة البحث الذي يقع ضمن تخصصه العلمي بدقة فائقة، والنظر في منهجيته ومنطلقاته الفكرية والمعرفية، والنتائج المترتبة على ذلك، وفق آليات محددة متعارف عليها في الوسط العلمي والبحثي؛ وعليه فإنَّ المحكم العلمي يساعد هيئة التحرير ورئيسها على اتخاذ القرار المناسب بشأن البحث، كما يسهم في مساعدة المؤلف في تطوير بحثه وتحسينه.

بناءً على ذلك؛ ينبغي أن يتمتع المحكم باستعداد كامل لتحمل مسؤولية التحكيم من خلال توفر مواصفات متعددة:

١ . التخصص العلمي: لا بدّ من تناسب موضوع البحث المراد تحكيمه مع تخصص المحكم ومجال بحثه واهتمامه العلمي.

٢ . السرية الكاملة: ينبغي للمحكم الالتزام بمعايير السرية المتعلقة بعملية التحكيم، من خلال المحافظة على سرية المعلومات الواردة في البحث، فلا يحقّ له الإفصاح عنها، أو مناقشتها مع أيّ طرف، باستثناء المرخص لهم من قبل رئيس التحرير، فيجب عليه معاملة الأبحاث التي تسلّمها للتحكيم بعد إخفاء اسم الباحث عنه كوثائق سرّية؛ وعليه لا بدّ من تسلّم ملاحظات المحكم من قبل مدير التحرير مكتوبة على استمارة خاصّة بالتحكيم.

٣ . الموضوعية: على المحكم تحرّي الموضوعية في الأحكام والنتائج الصادرة عن عملية التحكيم، والتجرّد من أيّ آراء سابقة، أو قناعات ذاتية، أو أذواق شخصية، من شأنها أن تُعكّر صفو العملية التحكيمية، ولا بدّ له من التعبير عن رأيه بنزاهة ووضوح، وتدعيم ذلك بالأدلة المقنعة، وعدم التمييز بين المؤلفين على أساس الجنس، أو الأصول العرقية، أو الاعتقاد الديني، أو المواطنة، أو الانتماء السياسي.

٤ . الأمانة: على المحكّم أن ينأى بنفسه عن استخدام المعلومات التي حصل عليها من البحث الذي تمّ تحكيّمه لمصلحته الشخصية.

٥ . الدقّة الكافية: على المحكّم أن يُجهد نفسه في التحرّي عن المعلومات المعروضة في البحث، والتأكّد من خلوّه من الانتحال والسرقة الأدبية أو العلمية، كما يجب عليه أن يدوّن في استمارة التحكيم أيّ تشابه بين البحث الذي تمّ تحكيّمه وأعمال أخرى منشورة يعرفها، علماً بأنّ المجلّة تعتمد برامج فحص الاستلال العلمي؛ للتحقّق من أصالة البحث، وعدم نشره سابقاً.

٦ . الاستقرار النفسي: لا بدّ للمحكّم الاجتناب عن التحكيم في حال عدم شعوره بالراحة أو الاطمئنان النفسي؛ الأمر الذي يؤثّر سلباً في نتائج التحكيم ومخرجاته، وعليه إعلام مدير التحرير في حال عدم استعداده لتحكيم البحث المقدّم إليه لأيّ سبب من الأسباب.

٧ . التقيد بالوقت المحدّد لعملية التحكيم.

وفي ضوء ما تقدّم؛ فإنّ نتائج التقييم العلمي والتوصيات المرفقة يتمّ اعتمادها بشكل أساسي في قرار قبول البحث للنشر في المجلّة أو عدمه.

### معايير التحكيم

عادةً ما يتّبع المحكّمون العلميّون في تقييم البحوث والدراسات العلمية المقدّمة إلى (مجلّة الإصلاح الحسيني) مجموعة من الضوابط، من جملتها:

١ . تناسب العنوان مع العنوان.

٢ . اشتغال البحث على منهجية عرض مكتملة: (ملخص، مع كلمات مفتاحية، مقدّمة، محتوى، خاتمة، قائمة بالمصادر والمراجع).

٣ . تناسب المقدّمة مع المحتوى.

٤ . ارتباط المكتوب بالإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة.

- ٥ . الترابط المنطقي بين العناوين.
- ٦ . المستوى اللغوي المطلوب في البحث، والتزام الباحث بقواعد النحو والإملاء.
- ٧ . مراعاة اللغة العصرية في عرض المعلومات.
- ٨ . الالتزام بأصول البحث العلمي.
- ٩ . التجديد، والإبداع، والإثارة العلمية.
- ١٠ . تحديد قيمة المصادر المعتمد عليها.
- ١١ . تحديد نوع البحث بحسب محتواه، وتصنيفه إلى: علمي أصيل بامتياز، أو أصيل نوعاً ما، أو تلفيقي، أو تجميعي.
- ١٢ . تقييم النتائج التي توصل إليها البحث، وبيان قيمتها ودقتها.
- ١٣ . تشخيص ما إذا كان ملخص البحث باللغة العربية والإنجليزية كاشفاً بشكل عام عن مضمون البحث ونتائجه.
- ١٤ . الكشف عن مستوى الاستلال العلمي في البحث، وتحديد نسبة الاقتباس.
- ١٥ . ملاحظة عدد صفحات البحث؛ للتأكد من كونها وفق الضوابط المعتمدة في المجلة.

## مراكز النشر

\* العراق/ النجف الأشرف: شارع الرسول ﷺ - المعرض الدائم للعتبة الحسينية المقدسة.

\* العراق/ كربلاء المقدسة: المعرض الدائم في العتبة الحسينية المقدسة.

\* إيران/ قم المقدسة: شارع معلّم - سوق ناشران - معرض العتبة الحسينية المقدسة.

# المحتويات

## أهتاتاة العصر

من زار الإمام الحسين عليه السلام زار الله عز وجل في عرشه

رئيس التحرير ..... ١٧

## ملف العصر

قراءات في زيارة الإمام الحسين عليه السلام (٧)

زيارة الإمام الحسين عليه السلام والتنمية الذاتية .. دراسة في القيم التكاملية

د. السيد خالد عمّار يوسف سيساوي ..... ٣١

الاستئذان عند زيارة الأضرحة المشرفة .. زيارة سيد الشهداء عليه السلام أنموذجاً .. دراسة تحليلية

د. الشيخ محمد صالح الحلفي ..... ٦١

مفهوم الجهاد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام .. دراسة تحليلية

د. الشيخ حبيب عبد الواحد الساعدي ..... ٩٧

أول من زار الإمام الحسين عليه السلام .. دراسة تاريخية تحليلية

د. السيد حيدر كاطع طعمة الياصري ..... ١٣١

## التكليف الديني والمنطقي لعظم ثواب زيارة الإمام الحسين عليه السلام

الشيخ عزيز حسن الخضران ..... ١٦٣

## نماذج مختارة من زيارات الإمام الحسين عليه السلام في كتاب (نواذر الحكمة) .. دراسة تحليلية .. القسم الثاني

الشيخ حيدر ناصر البهادلي ..... ١٩٥

## آداب الزيارة .. بحث في الماهية والأقسام

د. الشيخ محمد الكروي القيسي ..... ٢٢٩

## عوائد الزيارة الحسينية .. دراسة في الأبعاد الدنيوية والأخروية

د. الشيخ حيدر العريضي ..... ٢٦١

## زيارة الإمام الحسين عليه السلام والشعور بالانتماء

م. د. زهراء حسين الحسيني ..... ٢٨٧

## دراسات حسينية

## أسباب النهضة الحسينية .. دراسة تحليلية نقدية .. القسم الأول

السيد محمد باقر الهاشمي ..... ٣١٩



أَفْنِتَا حَيْزَ الْعَدَاةِ

مَنْ زَارَ الْإِمَامَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ زَارَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي عَرْشِهِ



## مَنْ زَارَ الْإِمَامَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ زَارَ اللَّهَ وَرَجُلًا فِي عَرْشِهِ

رئيس التحرير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من المسائل المهمة المتعلقة بشعيرة زيارة الإمام الحسين عليه السلام هي الثواب العظيم، والعطاء الوفير المترتب على هذه الممارسة العبادية المقدسة، الذي دلّت عليه طائفة كبيرة من الروايات الشريفة ببيانات متعددة، وألسنة مختلفة، يطير لها قلب المؤمن فرحاً وسروراً، ولا يتحملها مَنْ غطّى الرين بصيرته وأعمى قلبه. وقد جاد الباحثون والكتاب الأعزاء في مجلّتنا بأبحاث ودراسات قيّمة تناولت بعض جوانب هذه الزاوية من الزيارة الشريفة، التي لا تنقضي أسرارها، ولا تنفذ خزائنها، ولا يمكن الإحاطة بأبعادها ومدياتها.

ولقد تنوّعت صور الثواب والعطاء لهذه الزيارة المباركة في ألسنة الروايات دنيوياً وأخروياً، ولعلّها لا تنتهي عند غفران الذنوب، واستحقاق أعلى درجات الثواب، إلّا أنّه ورد في بعض الروايات لون جديد من العطاء والأجر الجزيل لهذه الشعيرة المباركة قد يبدو غريباً للوهلة الأولى، ألا وهو: أن مَنْ زار الإمام الحسين عليه السلام كان كَمَنْ زار الله تعالى في عرشه، فما معنى زيارة الله في عرشه؟

استوقف هذا المعنى بعض العلماء والباحثين المهتمّين في هذا الشأن؛ ومن هنا أحببنا تسليط بعض الضوء على هذه المثوبة العظيمة في هذه العجالة إتماماً للفائدة. قد جاء هذا المضمون في أسانيد متعدّدة ومصادر متنوّعة، منها ما رواه ابن قولويه بطريقين في فضل بعض الزيارات المخصوصة، عن عبيد الله بن نبيك، عن ابن أبي عمير، عن زيد الشحام، عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، قال: «مَنْ زار قبر

الحسين عليه السلام ليلة النصف من شعبان غفر الله له ما تقدّم من ذنوبه وما تأخّر، ومَن زاره يوم عرفة كتب الله له ثواب ألف حجة متقبّلة وألف عمرة مبرورة، ومَن زاره يوم عاشوراء فكأنّما زار الله في عرشه»<sup>(١)</sup>.

ورواه محمد بن علي بن الحسن العلوي الشجري بطريقين، عن يعقوب بن يزيد الأنباري، عن ابن أبي عمير، عن زيد الشحام أيضاً مع اختلاف يسير جداً بين الطريقين<sup>(٢)</sup>.

وورد هذا المعنى - في بعض الروايات - في فضل زيارة يوم عرفة، وهو ما رواه ابن قولويه بسنده عن محمد بن سنان، عن بشير الدهان، عن أبي عبد الله<sup>(٣)</sup>، ويمكن أن يُحمل عليه ما جاء عن ابن قولويه أيضاً بسند آخر عن محمد بن سنان، عن بشير الدهان أيضاً<sup>(٤)</sup>.

ووردت روايات متعدّدة أسندت فضيلة زيارة الله تعالى في عرشه إلى مطلق زيارة الإمام الحسين عليه السلام من دون تخصيصها بزيارة معيّنة، نحو ما رواه ابن قولويه بسنده عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد ومحمد بن الحسين، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن صالح بن عقبة، عن زيد الشحام، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «ما لمن زار قبر الحسين عليه السلام؟ قال: كان كمن زار الله في عرشه...»<sup>(٥)</sup>.

وروى المضمون ذاته بسنده عن سهل بن زياد الأدي، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبة، عن زيد الشحام<sup>(٦)</sup>. وروى كذلك بسنده

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٢٥، ٣٣٨.

(٢) العلوي الشجري، محمد بن علي، فضل زيارة الحسين عليه السلام: ص ٧٤ - ٧٥، ٧٦ - ٧٧.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٢٠.

(٤) المصدر السابق: ص ٢٨١ - ٢٨٢.

(٥) المصدر السابق: ص ٢٧٨.

(٦) المصدر السابق: ص ٢٨٣ - ٢٨٤.

عن يعقوب بن يزيد الأنباري، عن محمد بن أبي عمير، عن زيد الشحام، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «مَنْ زار قبر الحسين بن علي عليه السلام عارفاً بحقّه كان كَمَنْ زار الله في عرشه»<sup>(١)</sup>. إلا أنّ الشيخ المفيد<sup>(٢)</sup>، والشيخ الطوسي<sup>(٣)</sup> رويَا هَذَا الْحَدِيثَ عَنِ الشَّيْخِ ابْنِ قَوْلُوهِ بِإِضَافَةٍ أَنْ: مَنْ زَارَ قَبْرَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ...

وروى الشيخ الصدوق بإسناده عن الحسين بن محمد القمّي، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: «مَنْ زَارَ قَبْرَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِشَطِّ الْفَرَاتِ كَانَ كَمَنْ زَارَ اللَّهَ فَوْقَ عَرْشِهِ»<sup>(٤)</sup>. ورواه ابن قولويه بسنده عن الحسين بن محمد القمّي<sup>(٥)</sup>، وروى هَذَا الْمَعْنَى الْعُلُوِي الشَّجَرِي أَيْضاً بِسَنَدِهِ عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَمِّهِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَسَانِيدِ. نعم، ورد هَذَا الْمَعْنَى فِي فَضْلِ زِيَارَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَهُوَ مَا أَخْرَجَهُ الْكَلِينِي بِسَنَدِهِ عَنْ زَيْدِ الشَّحَّامِ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا لِمَنْ زَارَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: «كَمَنْ زَارَ اللَّهَ ﷻ فَوْقَ عَرْشِهِ...»<sup>(٧)</sup>.

وكذلك جاء في فضل زيارة الإمام الرضا عليه السلام، وهو ما رواه الكليني بسنده عن يحيى بن سليمان المازني، عن أبي الحسن موسى عليه السلام، قال: «مَنْ زَارَ قَبْرَ وَلَدِي عَلِيٍّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ كَسَبْعِينَ حَجَّةً مَبْرُورَةً. قَالَ: قُلْتُ: سَبْعِينَ حَجَّةً؟ قَالَ: نَعَمْ، وَسَبْعِينَ أَلْفَ حَجَّةً. قَالَ: قُلْتُ: سَبْعِينَ أَلْفَ حَجَّةً؟ قَالَ: رَبِّ حَجَّةٌ لَا تُقْبَلُ، مَنْ زَارَهُ وَبَاتَ عِنْدَهُ لَيْلَةً

(١) المصدر السابق: ص ٣٢٤.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص ٥١.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٥١.

(٤) الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص ٨٥.

(٥) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٧٨-٢٧٩.

(٦) الشجري، محمد بن علي، فضل زيارة الحسين عليه السلام: ص ٣٨-٣٩.

(٧) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٨٥-٥٨٦.



كان كَمَن زار الله في عرشه. قال: نعم، إذا كان يوم القيامة كان على عرش الرحمن أربعة من الأولين، وأربعة من الآخرين، فأما الأربعة الذين هم من الأولين؛ فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليه السلام، وأما الأربعة من الآخرين؛ فمحمد وعلي والحسن والحسين صلوات الله عليهم، ثم يُمَدّ المضمار، فيقعد معنا مَن زار قبور الأئمة عليهم السلام، إلا أن أعلاهم درجة وأقربهم حبة زوَّار ولدي علي عليه السلام»<sup>(١)</sup>.

وكذلك ذكر هذا المعنى في ثواب بعض العبادات، كما رواه الصدوق بسنده عن عبد الله بن مرحوم الأزدي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام، يقول: «مَن صام أول يوم من شعبان وجبت له الجنة، ومَن صام يومين نظر الله إليه في كل يوم وليلة في دار الدنيا، ودام نظره إليه في الجنة، ومَن صام ثلاثة أيام زار الله في عرشه من جنته كل يوم»<sup>(٢)</sup>.

### تفسيرات وتأويلات معنى زيارة الله في عرشه

أشرنا إلى أن هذا التعبير في فضيلة زيارة الرسول صلى الله عليه وآله، والإمام الحسين عليه السلام، والإمام الرضا عليه السلام، قد لفت أنظار العلماء، فعمدوا إلى بيانه وتفسيره، فذكرت لهذا التركيب عدة تفسيرات مختلفة، مع اتفاقهم على تنزيه الله سبحانه عن التحيز والحلول في مكان تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

ومن أهم هذه التفسيرات والتأويلات: أن زيارة الله في عرشه تمثيل وتشبيه وكناية عن كثرة الثواب وجزالة العطاء، فقد قال الشيخ المفيد: «إنَّ معنى هذا المثل هو: أن زائرهم عليهم السلام له من المثوبة والأجر والتعظيم والتبجيل في يوم القيامة كَمَن رفعه الله تعالى إلى سمائه، وأذناه من عرشه الذي تحمله الملائكة، وأراه من خاصة ملكه ما يكون به

(١) المصدر السابق: ص ٥٨٥.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص ٥٩.

توكيد كرامته، وليس هو على ما تظنه العامة من مقتضى التشبيه»<sup>(١)</sup>. ومثله عن الشهيد الأول<sup>(٢)</sup>، وقريب منه ما عن المحقق البحراني<sup>(٣)</sup>.

وهناك مَنْ جعل معناه أنَّ ثواب زيارتهم ﷺ بمقدار ثواب مَنْ عبدَ الله في عرشه؛ فإنَّ مقدار ثواب العبادة يتناسب طردياً مع شرف المكان، وهذا ما ذكره ابن شهر آشوب بعد نقله للحديث، قال: «أَي كَمَنْ عبدَ الله على العرش»<sup>(٤)</sup>. وقال العلامة المجلسي: «قوله ﷺ: كَمَنْ زار الله فوق عرشه. أَي: عبدَ الله هناك»<sup>(٥)</sup>.

ومنها: أنَّ معنى زيارتهم ﷺ كزيارة الله في عرشه هو: أنَّ مَنْ يزورهم في قبورهم تحصل له كرامة مَنْ يزورهم وهم في تلك المرتبة العليا عند عرش الله تعالى، ويلتقي بهم، وهي كرامة ورفعة ما بعدها كرامة ورفعة، وهذا ما يمكن أن نستقيه من بعض الروايات، كالحديث المتقدم عن الإمام موسى بن جعفر ﷺ في زيارة الإمام علي بن موسى ﷺ، قال: «... مَنْ زاره وبات عنده ليلة كان كَمَنْ زار الله في عرشه. قال: نعم، إذا كان يوم القيامة كان على عرش الرحمن أربعة من الأولين، وأربعة من الآخرين، فأما الأربعة الذين هم من الأولين؛ فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ﷺ، وأما الأربعة من الآخرين؛ فمحمد وعلي والحسن والحسين صلوات الله عليهم، ثمَّ يمدُّ المضمار، فيقعد معنا مَنْ زار قبور الأئمة ﷺ، إلَّا أنَّ أعلامهم درجة وأقربهم جوة زوَّار ولدي

(١) المفيد، محمد بن محمد، المقنعة: ص ٤٥٨. وعنه الطوسي، محمد بن الحسن، في تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٤-٥.

(٢) الشهيد الأول، محمد بن مكي، الدروس الشرعية في فقه الإمامية: ج ٢، ص ١٠.

(٣) البحراني، يوسف بن أحمد، الخدائق الناضرة: ج ١٧، ص ٤٣٤.

(٤) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٧٢.

(٥) المجلسي، محمد باقر، ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار: ج ٩، ص ١١٦. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٧٠.

عليه السلام<sup>(١)</sup>. وقد جعل المجلسي الأول هذا الخبر مفسراً لأخبار زيارة الله في عرشه في الزيارات<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا المعنى قال الشيخ الصدوق: «زيارة الله زيارة أنبيائه وحججه صلوات الله عليهم، مَنْ زارهم فقد زار الله عز وجل، كما أنَّ مَنْ أطاعهم فقد أطاع الله، ومَنْ عصاهم فقد عصى الله، ومَنْ تابعهم فقد تابع الله عز وجل، وليس ذلك على ما يتأوله المشبهة، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً»<sup>(٣)</sup>.

وقال العلامة المجلسي: «أو لاقى الأنبياء والأوصياء هناك؛ فإن زيارتهم كزيارة الله»<sup>(٤)</sup>.

ومن تفسيرات الحديث: أنَّ زيارة الله في عرشه هو نوع من الرتبة العالية، والمكانة الرفيعة، والمنزلة العظيمة، والقرب من الله تعالى سواء في الدنيا أم الآخرة، فمَنْ يزر الحسين عليه السلام ينل هذه الجائزة الكبرى، وفي هذا المعنى قال السيّد ابن طاووس: «أقول: لعلّ المراد بزيارة الله في عرشه، أن يكون لقوم من أهل الجنة مكان من العرش، مَنْ وصل إليه يُسمّى زائر الله، كما جعل الله الكعبة الشريفة بيته الحرام، مَنْ حجّها فقد حجّ الله»<sup>(٥)</sup>. وقريب من هذا المعنى ما يقوله المجلسي الأول: «والظاهر أنَّ المراد من زيارة الله فوق عرشه أنَّ مَنْ صعد على العرش وحصل له الكرامة العظيمة من المعارف الإلهية كالنبي ﷺ في معراجهِ الصوري، وكالأئمة عليهم السلام في معراجهم الروحي في كلّ ليلة جمعة - كما ورد به الأخبار الكثيرة - لا يكون كمال فوقه، فكلّ مَنْ زارهم يحصل له رتبة من القرب المعنوي بالنسبة إليه...»<sup>(٦)</sup>.

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٨٥.

(٢) المجلسي الأول، محمد تقي، روضة المتقين في شرح مَنْ لا يحضره الفقيه: ج ٥، ص ٣٩٢.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، مَنْ لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٩٢-٩٣.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٧٠.

(٥) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ٣، ص ٢٩٣.

(٦) المجلسي الأول، محمد تقي، روضة المتقين في شرح مَنْ لا يحضره الفقيه: ج ٥، ص ٣٦٤.



وذكر هذا المعنى العلامة المجلسي ضمن الاحتمالات التي ذكرها في تفسير الحديث، فقال: «...أو يحصل له مرتبة من القرب، كَمَنْ صعد عرش ملك وزاره»<sup>(١)</sup>.

وقال المحقق البحراني: «وهو كناية من علو المرتبة»<sup>(٢)</sup>.

وذهب بعض العلماء إلى أنّ ما ورد في بعض الروايات من أنّ مَنْ زار الإمام الحسين عليه السلام كان كَمَنْ زار الله في عرشه، إنّما هو تشبيه باعتبار الأثر والنتيجة من الزيارة؛ فكما لو أنّ شخصاً زار عرش الله، فحينها سيتجاوز الله عن جميع ذنوبه ويغفرها له، ويكون كالיום الذي ولدته فيه أمّه؛ وكذلك زيارة الإمام الحسين عليه السلام؛ فإنّ مَنْ زاره عارفاً بحقّه غفر الله له جميع ذنوبه، فيرجع طاهراً كالיום الذي ولدته فيه أمّه<sup>(٣)</sup>.

وفي قبال ذلك يرى بعض علمائنا أنّ العبارة ليس فيها تشبيه، بل هي على ظاهرها؛ لأنّ الملائكة تزور العرش، وتلوذ به، وتطوف حوله، وتقول: نزور الله في عرشه، وكما يقول الناس: نحج بيت الله، ونزور الله، لا أنّ الله عزّ وجلّ موصوف بمكان، تعالى عن ذلك علواً كبيراً<sup>(٤)</sup>. إلّا أنّه لم يُبين في كلامه كيفية زيارة عرش الله، هل أنّهم يزورونه بأرواحهم في محلّه الأعلى في السماء، أو في مكان آخر؟

ولعلّه يرمي إلى ما يظهر من الشيخ الوحيد الخراساني (حفظه الله) من أنّ قبر الإمام الحسين عليه السلام أضحى بمثابة عرش الله؛ للتضحيات الجسام التي جاد بها سلام الله عليه، فالشيخ بعد أن ينقل رواية إسحاق بن عمار - التي يصنّفها صحيحة - عن الإمام الصادق عليه السلام، والتي يقول فيها: «سمعتة يقول: لموضع قبر الحسين عليه السلام حرمة

(١) المجلسي، محمد باقر، ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار: ج ٩، ص ١١٧. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٧٠.

(٢) البحراني، يوسف بن أحمد، الخدائق الناضرة: ج ١٧، ص ٤٣٤.

(٣) أنظر: التبريزي، الميرزا جواد، الشعائر الحسينية: ص ١٦٩ - ١٧٠.

(٤) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ١٨٢.



معلومة، مَنْ عرفها واستجار بها أُجِر. قلت: صف لي موضعها؟ قال: امسح من موضع قبره اليوم خمسة وعشرين ذراعاً من قدامه، وخمسة وعشرين ذراعاً عند رأسه، وخمسة وعشرين ذراعاً من ناحية رجله، وخمسة وعشرين ذراعاً من خلفه، وموضع قبره من يوم دفن روضة من رياض الجنة، ومنه معراج يعرج منه بأعمال زوّاره إلى السماء، وليس من ملك ولا نبي في السموات إلّا وهم يسألون الله أن يأذن لهم في زيارة قبر الحسين عليه السلام، ففوج ينزل وفوج يعرج»<sup>(١)</sup>، يعلّق قائلاً:

«ومع أنّ العالي لا يميل إلى السافل، ومن في الملكوت لا يلتفت إلى عالم الملك، فقد انقلب قبره بمجاورة جسده الشريف، فصار أرفع من السماوات ومقامات الملائكة الأعلى، ولهذا يقول الإمام عليه السلام: ليس من ملك حتى الكروبيين، ولا من نبي حتى أولي العزم من المرسلين، إلّا ويسألون الله الإذن في زيارة قبره عليه السلام، فهم ينالون في زيارة هذا القبر ما لا يمكن وصفه إلّا بما روي عن زيد الشحام، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما لمن زار الحسين عليه السلام؟ قال: كان كمن زار الله في عرشه. قال: قلت: ما لمن زار أحداً منكم؟ قال: كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

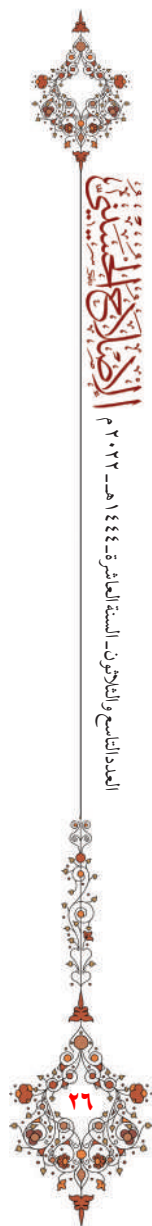
فإن كان أثر عمله في تربته أن يصير معراج القرب إلى الله، وفي قبره أن يصير عرش الله، فماذا يكون أثره في دمه؟!»<sup>(٢)</sup>.

وغير ذلك من التفسيرات والتأويلات<sup>(٣)</sup>.

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٨٨. ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤٥٧.

(٢) الوحيد الخراساني، حسين، مقدّمة في أصول الدين: ص ٣٦٥-٣٦٦.

(٣) أنظر على سبيل المثال: الفيض الكاشاني، محمد محسن، الوافي: ج ١٤، ص ١٣٢٩. الخوانساري، محمد بن حسين، تكملة مشارق الشموس: ص ٤٥٥. التبريزي، ميرزا جواد، المراقبات (أعمال السنة): ص ١٣٣.



إنَّ اختلاف أنظار العلماء والفضلاء في تأويل هذا المعنى يفضي إلى أنَّ زيارة عرش الله تعالى الحاصلة من زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) هي رتبة عظمى، ومكانة فضلى، وعطاء ما فوقه عطاء، وهو ما توحى إليه رواية ابن قولويه بسنده عن محمد ابن سنان، عن بشير الدهان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول وهو نازل بالحيرة وعنده جماعة من الشيعة، فأقبل إليّ بوجهه فقال: يا بشير، أحجبت العام؟ قلت: جُعلت فداك، لا، ولكن عرّفت بالقبر قبر الحسين (عليه السلام). فقال: يا بشير، والله ما فاتك شيء ممّا كان لأصحاب مكّة بمكّة. قلت: جُعلت فداك، فيه عرفات، فسره لي. فقال: يا بشير، إنَّ الرجل منكم ليغتسل على شاطئ الفرات، ثم يأتي قبر الحسين (عليه السلام) عارفاً بحقه، فيعطيه الله بكلّ قدم يرفعها أو يضعها مئة حجة مقبولة، ومئة عمرة مبرورة، ومئة غزوة مع نبي مرسل إلى أعداء الله وأعداء رسوله. يا بشير، اسمع وأبلغ من احتمل قلبه: من زار الحسين (عليه السلام) يوم عرفة كان كمن زار الله في عرشه»<sup>(١)</sup>.

فمن خلال هذه الرواية يتبيّن أنَّ هذا الفضل لا يتحمّله إلا من امتحن الله قلبه للإيمان، وهو سرّ من أسرار الله العظيمة، ونحن أردنا بهذه الأسطر القليلة أن نلفت أنظار الباحثين إلى هذا المغزى المهمّ من أبحاث شعيبة الزيارة المقدّسة، والله من وراء القصد.

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٢٠.





## ملف العدد

### قراءات في زيارة الإمام الحسين (ع)

- ◆ زيارة الإمام الحسين (ع) والتنمية الذاتية.. دراسة في القيم التكاملية
- ◆ الاستئذان عند زيارة الأضرحة المشرفة.. زيارة سيد الشهداء (ع) أنموذجاً.. دراسة تحليلية
- ◆ مفهوم الجهاد في زيارة الإمام الحسين (ع).. دراسة تحليلية
- ◆ أول من زار الإمام الحسين (ع).. دراسة تاريخية تحليلية
- ◆ التكييف الديني والمنطقي لعظم ثواب زيارة الإمام الحسين (ع)
- ◆ نماذج مختارة من زيارات الإمام الحسين (ع) في كتاب نواذر الحكمة.. دراسة تحليلية / القسم الثاني
- ◆ آداب الزيارة.. بحث في الماهية والأقسام
- ◆ عوائد الزيارة الحسينية.. دراسة في الأبعاد الدنيوية والأخروية
- ◆ زيارة الإمام الحسين (ع) والشعور بالانتماء



**زيارة الامام الحسين عليه السلام والتنمية الذاتية**  
**دراسة في القيم التكاملية**

د. السيّد خالد عمّار يوسف سيساوي  
دكتوراه في الشريعة والمعارف الإسلامية، باحث إسلامي / الجزائر

**Visiting Imam al-Husayn (PBUH)**  
**and Self-development**  
**– A Study in Complementary Values**

**Dr. Sayyid Khaled Ammar Yusuf Sisawi**  
Doctorate in Islamic Law and Sciences  
Islamic Researcher, Algeria





## ملخص البحث

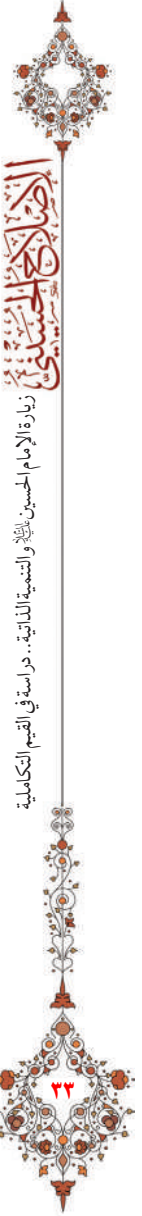
يكاد الاعتناء بالرصيد الأخلاقي الفردي والجمعي يكون منعداً في ضمن سياق التطور التكنولوجي الذي تعيشه الدول الغربية؛ لهذا نجد مجتمعاتها - مع اعتقادها بالعوائد التي قدّمها برامج التنمية الذاتية والبشرية على المستوى المادي والاقتصادي - تدّعن بإخفاقها التام في تحقيق توافق بين ما هو تقني، وما هو أخلاقي.

نعم، إنّ الحياة المفرغة من قيم السماء التي أحيّاها الإمام الحسين (عليه السلام)، ما هي إلا حياة مظلمة ذهب عنها نور الله تعالى، وماتت فيها القلوب؛ لذا قال الإمام الحسين (عليه السلام): «لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً»<sup>(١)</sup>. فالاستبداد الداخلي هو المؤدّي إلى الاستبداد الخارجي؛ وعليه يكون إقامة العدل في الذات أرضيةً للاستقامة الأخلاقية، وإفرازاً للقيم التكاملية. كما أنّ إطلاق صفة (المكارم) على الأخلاق، لا يلائم إلا الأخلاق والقيم المحمودة المشفوعة بالمعرفة التي من شأنها أن تُفعّل حركة الإنماء والتزكية في ذات الإنسان؛ لكي يتلبّس بالحقيقة الإنسانية المخصوصة بالكرامة الإلهية.

إنّ زيارة سيّد الشهداء (عليه السلام) هي مفردة سلوكية قيّمة ليس لها نظير، تحمل بين طيّاتها نسقاً معرفياً عجبياً، بدءاً من البعد العقدي والمعرفي، وانتهاءً إلى البعد الأخلاقي والقيمي، فالبعد الرسالي. بل هي إكسير ملكوتي إذا ما ارتوت به النفس الإنسانية انبجست منها بركات لا حدّ لها، أشرفها أن يكون الزائر الحسيني محطّ عناية الحقّ تعالى ورسوله الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وموضع دعاء أهل البيت (عليهم السلام) والملائكة.

الكلمات المفتاحية: الإمام الحسين (عليه السلام)، التنمية الذاتية، الزيارة، القيم، الأخلاق، التكامل.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ١٩٢.



## Abstract

The care for individual and collective balance is almost non-existent within the context of the technological development that Western countries are experiencing. This is why we find that these Western societies, despite believing in the benefits provided by self-development and human development programs on a material and economic level, are forced to realize their complete failure in achieving harmony between what is technical and what is ethical.

Indeed, a life deprived of the heavenly values that were revived by Imam al-Husayn (PBUH) is nothing but a dark life where the light of Allah, the Exalted, is absent and where hearts are dead. That is why Imam al-Husayn (PBUH) said: "I see death as nothing but happiness, and life with oppressors as nothing but misery," as internal oppression is what leads to external oppression. Therefore, establishing justice within oneself is the foundation for moral uprightness and the manifestation of complementary values. Moreover, applying the connotation al-Makar-em (most noble) to ethics and values is only consistent with praiseworthy ethics and values accompanied by knowledge capable of initiating the movement of development and purification in the self of the visitor of Imam al-Husayn (PBUH), to truly achieve humanity with divine dignity.

Visiting the Master of the Martyrs (PBUH) is a unique behavioral and moral experience carrying impressive cognitive and behavioral arrangement, from the doctrinal and cognitive dimension to the ethical and moral dimension, then the missionary dimension. It is a heavenly elixir if consumed by the human soul, endless blessings will follow. The Husayni visitor becomes the focus of the care of the Truth Almighty and His Noble Messenger (PBUH&HF), and will be in the prayers of the Household (PBUT) and the angels.

**Keywords:** Imam al-Husayn (PBUH), self-development, visit, values, ethics, complementary.



## المقدمة

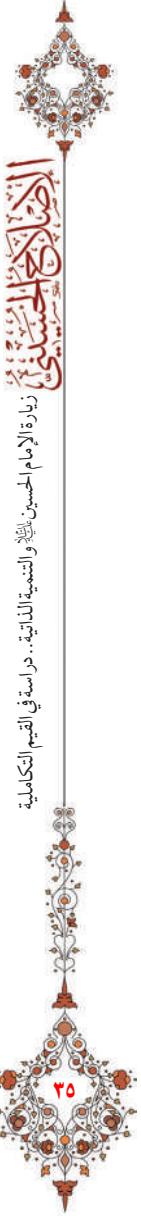
تكتسب بعض المصطلحات أهميتها من خلال أصالتها ورواجها على غرار غيرها، بغض النظر عن تأصيلها؛ حيث نجد من جملة تلك المصطلحات المركبة التي تصدرت ساحة العلوم الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية في الفكر الغربي والشرقي، وطُوِّرَ البحثُ فيها بعد الإقبال الهائل على ما تحكيه من مسائل نظرية وتجريبية، نجد اصطلاح (التنمية الذاتية)، و(التنمية البشرية).

لقد حاول الغرب من خلال عِلْمِي - مع التحفّظ عن تسميتهما بالعلم - التنمية البشرية والذاتية، ملازمة الوجدان الفردي والاجتماعي؛ لتحسين أداء أفرادها، واستثمار مهاراتهم واستعداداتهم، وخصوصاً على المستوى الاقتصادي، بدءاً من التنظير؛ للغور في عمق الطاقات الكامنة في الإنسانية، ومحاولة استكشافها، وتطويرها عملياً على وفق برنامج خاصّ يبدأ بإدارة الوقت، وتفعيل كمالات النفس، وينتهي عند أطر إتقان العمل الجماعي وجودة نوعه.

إنّ السؤال الأخلاقي عن ماهية التخلّق وأطره وغايته في ضمن سياق هذا التطوّر التكنولوجي، يبقى دون جواب؛ لهذا نجد أنّ المجتمعات الغربية - مع اعتقادها بالعوائد التي قدّمتها هذه البرامج على المستوى المادي والاقتصادي - أخفقت تماماً في تحقيق توافق بين ما هو تقني، وما هو أخلاقي؛ ولذا استدعى الأمر أن ينطلق مشروع جديد، سُمّي بـ (الرقمنة الأخلاقية)، وهو يصبو إلى تأصيل العلاقة التشاركية بين التقني والأخلاقي؛ حيث يمكن العثور على خلفيات ذلك المشروع عند مقاربة الفيلسوف الأرجنتيني (Mario Bunge)<sup>(١)</sup> حول أخلاقيات علم التقنية<sup>(٢)</sup>.

(١) ماريو أوجوستو بونخي فيزيائي وفيلسوف أرجنتيني، اشتهر بدفاعه عن الواقعية العلمية والفلسفة الدقيقة.

(2) *Ethics of Technology*.

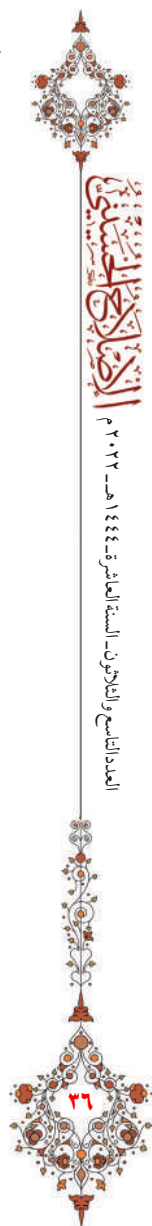


لا شكَّ أنَّ لطف الله تعالى بعباده وفيضه لا ينقطع أبداً، ومن مصاديق ذلك اللطف والفيض هو الارتباط بالوسائط النورانية، وهم المعصومون عليهم السلام. ومن أفضل آليات تحقُّق ذلك الوصال زيارتهم؛ لذا كانت ولا تزال زيارة الإمام الحسين عليه السلام سفينة العود إلى تلك الفطرة الصافية النقية، ومن ثمَّ الإبحار في سناء العشق الإلهي. يقول المستشرق هربرت سبنسر: «إنَّ أرقى ما يأمل الرجال الصالحون الوصول إليه، هو المشاركة في صناعة الإنسان، أي: الاشتراك في خلق جيل صالح، في حين مدرسة الحسين ليست مدرسة تنبذ المذنبين، ولا يمكن لها أن تكون من صانعيهم فحسب، بل إنَّها تسعى لتخريج المصلحين، مضافاً إلى خلق جيل صالح»<sup>(١)</sup>.

إنَّ ما يترأى من وراء صرح النهضة الحسينية هو منظومة قيم متكاملة، حار فيها سكَّان السماء قبل سكَّان الأرض، منظومة هندسها اللطيف الخبير؛ ليرتقي بالذات الإنسانية إلى مستوى (الإنسان ذي المشروع)، أي: مشروع الخلافة الإلهية؛ لأنَّها نهضة إصلاح وتقويم وارتقاء بالقيم الإنسانية التي غيبتها آلة الشيطنة الأموية. وعليه؛ يكون إحياءنا لعاشوراء من خلال زيارتنا لسيد الشهداء عليه السلام هو إحياء لتلك القيم في نفوسنا، قيم أبت إلا أن تجتمع في قيمة تكاملية واحدة، تجعل للذات الإنسانية جناحي الملك والملكوت، فتكون مع الناس ببدنها، ومعلّقة بالمحل الأعلى بروحها، ألا وهي قيمة (التضحية والشهادة).

ومن هنا؛ تترأى لنا الدلالة الارتقائية لزيارة الإمام الحسين عليه السلام على وفق النسق الأخلاقي، دلالة تحكي التأثير البالغ للزيارة في بناء الذات الإنسانية، وإثراء عالمها القيمي، ثمَّ إضفاء ذلك على المجتمع الإنساني بأسره.

(١) أنظر: العقاد، عباس، الحسين أبو الشهداء: ص ٣٦ نقلاً عن الملحمة الحسينية، هربرت سبنسر.



## ١. المفاهيم العنوانية

### أ) التنمية الذاتية

قال ابن فارس في مادة (ن. م. ي): «التَّوَن والمِيم والحرف المعتلُّ أصلٌ واحدٌ يدلُّ على ارتفاع وزيادة»، ومنه في المتعلّقات الحسيّة قولهم: «ونمي الخضاب ينمي وينمو: إذا زاد حمرةً وسواداً». و«نمي المال ينمي: زاد». و«النّامية: الخلق؛ لأنّهم ينمون، أي: يزدون». وفيما دون الحسيّات قولك: «ونميت الحديث: أشعته، ونميته بالتّخفيف»<sup>(١)</sup>. و«نميت حديث فلانٍ، مخفّفاً، إلى فلانٍ أنميهِ نمياً: إذا بلّغته على وجه الإصلاح وطلب الخير»<sup>(٢)</sup>. وعليه؛ تكون التنمية بقيد الذاتية هي ارتقاء الذات الإنسانية ورفعتها في المستوى المادّي والمعنوي.

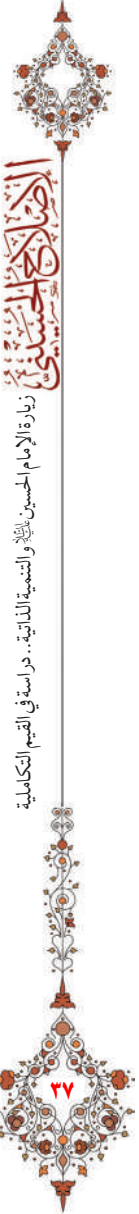
إنّ تسمية التنمية الذاتية والبشرية بالعلم فيه مساحة كبيرة، فمن وجهة نظري هما نسقان عمليان يندرجان في الحقيقة تحت عنوان (فلسفة الحياة)؛ لأنّهما يقضيان بأن يقف الفرد على معرفة نفسه، ويجاهد في تميّز علاقته بالله والكون والغير، ثمّ تعميم ذلك التميّز؛ ليشمل كلّ مجالات الارتقاء الإنساني.

وفي الدراسات الحديثة استُخدم مصطلح (التنمية الذاتية) للإشارة إلى المشروع الإصلاحي الغربي على صعيد الفرد والمجتمع؛ لكنّه أُشرب النظرة النرجسية الغربية، وأُفرغ من روح الارتقاء والنماء في مستوى بناء الذات الإنسانية، وصُودر المشروع لمصلحة ما يمكن تسميته بـ: (الهوية الآلية للإنسان)<sup>(٣)</sup>، ومّا يؤسّف عليه أنّه تمّ تلقيه

(١) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ٥، ص ٤٧٩.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٥، ص ٣٤١.

(٣) (Mechinism) إنّ جذور هذه الظاهرة التي عمّت العالم الإسلامي تعود إلى برنامج مسبق، تنتهي تفاصيله عند برجة الوعي واللاوعي الفردي والاجتماعي القائم على التشابه بين الإنسان والآلة، بل بين الفيزيائي والبيولوجي (Biosilicon) لما يخدم البعد الاقتصادي فقط، فهو مشروع مؤسّس على محو القيم وتغييبها؛ إذ يكفي أن نلقي نظرة عميقة في محتويات التنمية البشرية أو



من قبل أغلب شبابنا ومفكرينا ومثقفينا دون تمحيص ونقد؛ ولهذا انبرى بعض المفكرين لتصحيح المسار، والحث على اعتماد مرجعية فكرية وحياتية تضع تلك المصطلحات وما تحكيه بعد غربلتها في مصفها الصحيح؛ إذ من المؤكد أن للإسلام كلمته العليا في بناء الفرد والمجتمع وطرائق تطويرهما وتأهيلهما للقيام بتكليفهما في ضمن أسس أخلاقية تكاملية.

### مقصدية التنمية الذاتية بين الرؤية الغربية والإسلامية

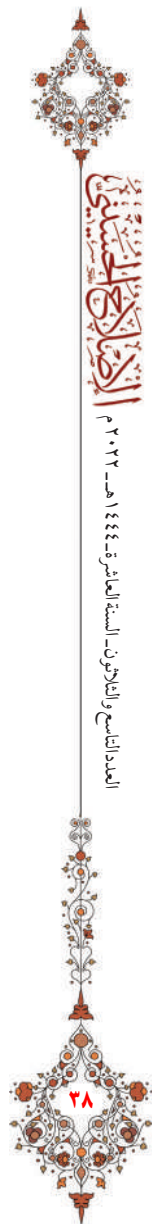
تقع مقصدية التنمية الذاتية والبشرية لدى الغرب عند تخوم استنهاض الذات الإنسانية في بعدها المادي، وتفجير طاقاتها الكامنة ومهاراتها الواسعة؛ للارتقاء بالاقتصاد العالمي متوسّلةً في تحقيق ذلك بأيّ وسيلة كانت، ومجانبةً لأيّ غاية ماورائية معنوية قيمة تُساهم في بناء الذات الإنسانية بمفهومها الاستخلافي.

وبعبارة أخرى: يمكننا القول: أن دلالة القيم في الفكر الغربي لا تستند إلى أساس ثابت تنتهي عنده القيم المتولّدة؛ لأنّ نسبتها ونزع القداسة عنها، وإدراجها في ضمن السياقات التاريخية تجعل مآلاتها عدمية مجانية للواقع، وتفصلها تماماً عن أيّ مصدر متعالٍ من شأنه الإلزام.

في حين يرى الإسلام أن التنمية الذاتية هي مشروع إصلاح بالدرجة الأولى،

العصبية؛ كي ندرك أنّ المتمرّن يُمارس تجارب الغير حتى على المستوى الروحي، بدل من أن يرتقي هو بروحه.

وبعبارة أدقّ: اقتصاد عصر التواصل يعمل من خلال هذه البرامج على تسعير الحياة الثقافية، بل حتى الروحية للأفراد، وهو ما تحدّث عنه جيريمي ريفكين في كتابه (عصر الوصول)، حيث قال: «وقد أصبح التعبير الجديد المستخدم في عالم الأعمال هو: القيمة العمرية (Lifetime Value)، أو اختصاراً (LTV) للزبون. وهي المقياس النظري لما تبلغه قيمة الإنسان، فيما لو اعتُبرت كلّ لحظة من عمره سلعة بطريقة أو بأخرى في المحيط التجاري. وفي العصر الجديد سيقوم الأفراد بشراء وجودهم ذاته كقطع تجارية صغيرة». وهذا يعني: تسويق الطقوس والشعائر باعتبارهما عنصراً دينياً ثقافياً. أنظر: جيريمي ريفكين، عصر الوصول: ص ٣٤.



فما لم يلامس ذلك الإصلاح الذات الإنسانية، لا يمكنه أن يلامس المجتمع والأمة. فالإصلاح في المنظومة الدينية يقابل الفساد، وتترادف معانيه تبعاً لممارسته في ضمن أخلاقيات، من قبيل: الرفق<sup>(١)</sup>، الإحسان<sup>(٢)</sup>، الطاعة<sup>(٣)</sup>، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>(٤)</sup>. وقد تجلّت كلها في النموذج الحسيني؛ لإصلاح قيم النسيج الاجتماعي.

وهنا ننبه على أن أهمّ المشكلات التي تُعانيها حركات التغيير في مجتمعاتنا هي عجز نُخبها عن نفوذ قيمهم في ذلك النسيج الاجتماعي؛ لأنّها لم تكن تعبر عن كمالهم الذاتية؛ إذ في عالم القيم لا معنى للوقوف عند عقلانية القيم، إنّما الأمر يتعلّق بكونها حللاً تلبس حتى تصير سجايا، لا أفكاراً تتعقل ثمّ تتهاوى عند أول مدافعة<sup>(٥)</sup>.

وهذا عين ما يدلّ عليه اصطلاح التنمية الذاتية في الرؤية الإسلامية، من نماء وارتقاء يبدأ من الذات الإنسانية؛ لأنّها النواة المركزية لكلّ مشروع تنموي فردي أو جمعي، حيث ينمو ويربو الإنسان مع تعدّد أبعاده الفسيولوجية والمعنوية؛ لتطأ قدمه ساحة الهدف المنشود، ألا وهو الاستخلاف الحقيقي لله تعالى.

وعليه؛ يكون أساس التنمية الذاتية هو استحضار معطيات الفطرة الإنسانية، والاستعدادات المغروسة في الوجود الإنساني، التي من شأنها تجلية مبدأ الجمال

(١) قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ آل عمران: الآية ١٥٩. قال رسول الله ﷺ: «إن الرفق لم يوضع على شيء إلا زانه، ولا نزع عن شيء إلا شانه». الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ١١٩.

(٢) قال سبحانه: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة: الآية ١٩٥.

(٣) قال عزّ وجلّ: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ محمد: الآية ٢١.

(٤) قال جلّ وعلا: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ آل عمران: الآية ١١٠.

(٥) ويُرجع إلى: مقالة الباحث في العدد ١١ من مجلّة الإصلاح الحسيني، تحت عنوان (تغيب القيم وانتهاكها في سياسات الحكم الأموي).





والجلال عبر مرآة الذوات الإنسانية، وصناعة منظومة فكرية وقيمة تسيل منها أودية المكارم والمواهب.

وقبل الدخول في صلب الموضوع أودّ الإشارة إلى جملة من الفوارق المهمّة بين التنمية الذاتية، والبشرية؛ لأنّ الكثير من المفكرين والباحثين يستخدمها بمعنى واحد:

إنّ التنمية الذاتية تنصبّ على الذات المتنامية؛ لتحقيق طموحاتها على وفق قدراتها وظروفها، في حين تختصّ التنمية البشرية برفع أداء العاملين في المؤسسات المهنية، والاقتصادية، وغيرها.

إنّ التنمية البشرية تتوقّف على التنمية الذاتية، والعكس ليس بصحيح. إنّ مجالات التنمية الذاتية أضيق دائرة من مجالات التنمية البشرية؛ لأنّ التنمية الذاتية لها حيثية شخصية، وهذا بخلاف البشرية منها التي تنطوي على حيثية جمعية، كما أنّ التنمية البشرية لها ماهية وظيفية معيّنة، فهي تفترض وجود مهارات ومواهب في الفرد الفاعل اجتماعياً، وتحاول الارتقاء بها لصالح المجتمع. أمّا التنمية الذاتية فلها وظيفة تأصيلية لكمالات الذات الإنسانية.

### (ب) مفهوم القيمة

أمّا لغةً: فالأصل (ق.و.م)، بمعنى ما «يقوم مقام الشيء»، وقد استعمل لغوياً في عدّة معانٍ، منها:

قيمة الشيء وثمنه، تقول: «تقاوموه فيما بينهم»، وهي ما يكون به الشيء ذا ثمن وفائدة.

والثبات والدوام، فكلّ من ثبت على شيء فهو قائم عليه.

والعدل والاستقامة، أي: الاعتدال والاستواء، فيقال: «استقام له الأمر»، وقوله



تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾<sup>(١)</sup> أي: في التوجه إليه». ويقال قَوِّمْتُهُ: عدلته، فهو قَوِّمٌ ومستقيم. فيكون القَوَامُ هو العدل، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بَيْنَهُ ذَلِكَ قَوَامًا﴾<sup>(٢)</sup>.

والمحافظة والإصلاح، كقوله تعالى: ﴿لَا مَادُ مَتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾<sup>(٣)</sup>، أي: «ملازماً ومحافظة»<sup>(٤)</sup>.

عُرف علم القيم في الفلسفة اليونانية بالأكسيولوجيا<sup>(٥)</sup>، وهي كلمة يونانية مركبة من (أكسيا)، أي: القيم، و(لوجيا)، أي: العلم، فيكون معنى المركب منهما هو (علم القيم) الذي يُعنى بدراسة طبيعة القيم، وتصنيفاتها، ومعاييرها. أمّا اصطلاحاً: فإنَّ أولَّ مصداقٍ مُدرَكٍ لهذا المفهوم هو القيمة المساوقة للوجود، وهو إدراك حضوري محض، ذاتي في جميع الممكنات؛ لذا تكون موضع تجليل لدى الفرد والمجتمع. وبشمول تلك القيمة الوجودية لكلِّ ما هو مرغوب للذات، يُدرك العقل حسن بعضها ثبوتاً، وبإمضاء الشريعة إثباتاً، وذلك باعتبار ما تحكيه تلك القيم من معايير حاكمة على الأنساق الحياتية للإنسان، من قبيل النسق الديني، والأخلاقي، والاجتماعي، والثقافي، والسياسي... إذ تتسق مراتب تلك القيم بهذا الاعتبار أيضاً، حيث تكون الصدارة لقيم الفطرة، ثمَّ القيم المتولدة من انسحاب تلك القيم الفطرية على مفاصل الحياة الإنسانية كافة<sup>(٦)</sup>.

(١) فضلت: الآية ٦.

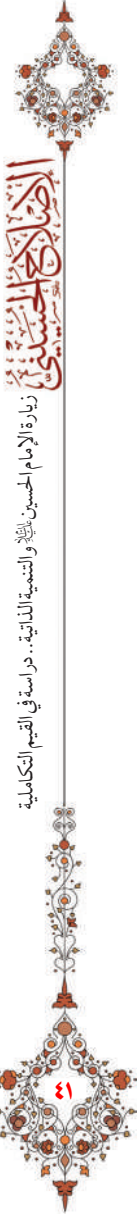
(٢) الفرقان: الآية ٦٧.

(٣) آل عمران: الآية ٧٥.

(٤) أنظر: النصوص المتقدمة في: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٢، ص ٥٠٠.

(٥) Axiology.

(٦) يُرجع إلى: مقالة الكاتب في العدد ١١ من مجلّة الإصلاح الحسيني، تحت عنوان (تغيب القيم وانتهاكها في سياسات الحكم الأموي).



## القيمة التكاملية

يكتنز هذا المفهوم المركب معنى القيمة من حيث طبيعتها التصاعدية المتعالية، كما يشير إلى التساوق بين القيم، والبنية التكاملية للذات الإنسانية في بعدها الروحي والعقلي والجسماني، فكلما ازداد وعي الإنسان ببنيته التكاملية، ازداد وعيه بترسيخ القيم الكونية التي من شأنها إيصاله إلى كماله المنشود.

ولعلّ هذا الوعي هو الذي أهملته الحداثة المعاصرة عن عمد حين خنقت بنظرها البراغمية بذرة التكامل في الإنسان، وحصرت استعداداته في تحصيل القيم النفعية.

### ج) مفهوم الزيارة

الزيارة في اللغة: من الزور، و«الزور: أعلى الصدر. وزرت فلاناً: تلقّيته بزوري، أو قصدت زوره، نحو: وجهته. ورجل زائر، وقوم زور، نحو سافر وسفر. وقد يقال: رجل زور، فيكون مصدراً موصوفاً به»<sup>(١)</sup>، وهي تعني حضور الزائر عند المzor.

وأما المعنى الاصطلاحي للزيارة، فإنه لم يجانب المعنى العرفي لها، مع أنّ المتبادر دائماً إلى الذهن عند قصد زيارة الأئمة عليهم السلام هو زيارة مراقدهم الشريفة؛ لأنّ الزيارة قيام شخص بالتوجه نحو المzor الميت، فإن كان قبر المzor قريباً، سُميت بالزيارة عن قرب، وإلاّ توجه إلى شخص المzor من دون قطع المسافة، وتُسمى بالزيارة عن بُعد. والحضور عند المzor تارة يكون متقوماً بطرفين، وأخرى بطرف واحد يفنى فيه الزائر في المzor، وذلك الفناء الروحي التدريجي للزائر هو الذي يحكي تنامي الذات الإنسانية، لذا يتعين تنقية المقاصد في الزيارة، وإزاحة كلّ المتعلّقات التي تؤثر في ذلك الفناء، وتجعله يفتر، فيبدأ بالحضور اللفظي من قراءة الزيارة وتلاوتها ولو من بعيد، وينتهي بالحضور الروحي تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى.

(١) الراغب الإصفهاني، حسين، مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ج ١، ص ٣٨٧.

وقد حثت الروايات المتواترة على فضل زيارة الأنبياء والأوصياء والأئمة الأطهار عليهم السلام؛ إذ لا يخفى أن المنظور في الزيارة هو كونها سلماً وثيقاً لرفي الذات الإنسانية معرفياً وسلوكياً وقيماً، فالزيارة شجرة وهبة إلهية تورث عباد الله الزلفى والتقوى، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْبُ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾<sup>(١)</sup>.

وتفاضل الزيارات باعتبار المزور تحقيقاً وتحققاً؛ أمّا تحقيقاً فيها وصل إلينا من روايات تحث على زيارة المولى أبي عبد الله عليه السلام، وتؤكد أنها أمل سكّان السماء قبل سكّان الأرض، كما جاء في الصحيح عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «إنّ لموضع قبر الحسين بن علي عليه السلام حرمة معلومة، من عرفها واستجار بها، أجبر... وموضع قبره منذ يوم دفن روضة من رياض الجنة، ومنه معراج يعرج فيه بأعمال زوّاره إلى السماء، فليس ملك ولا نبي في السماوات إلّا وهم يسألون الله أن يأذن لهم في زيارة قبر الحسين عليه السلام، ففوج ينزل، وفوج يعرج»<sup>(٢)</sup>. بل تصرّح الروايات بأمر كلّ مؤمن معترف بإمامة أهل البيت عليهم السلام بلزوم زيارته، فقد ورد: «مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام؛ فإنّ إتيانه مفترض على كلّ مؤمن يُقرّ للحسين عليه السلام بالإمامة من الله عزّ وجلّ»<sup>(٣)</sup>.

وكذلك صرّح بأنّ القادر على زيارته، ويمتنع عنها، يكون بذلك عاقاً، قد ترك حقاً من حقوق الله ورسوله صلّى الله عليه وآله، حيث سأل رجل الإمام الصادق عليه السلام، فقال: «جعلت فداك، ما تقول فيمن ترك زيارته وهو يقدر على ذلك؟ قال: أقول: إنّ قد عَقَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله، وعقّنا، واستخفّ بأمر هوله»<sup>(٤)</sup>.

وأما تحقّقاً فباعتبار كرامات سيّد الشهداء عليه السلام، وثمرات زيارته، وكونها سرّاً من أسرار العروج إلى عالم الملكوت، والتحليق في سناء العشق الإلهي، حيث تتجلّى

(١) الحج: الآية ٣٢.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤٤٥.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٣٥.

(٤) المصدر السابق: ص ٢٧.



الرحمة الإلهية، وتبلغ الذات الإنسانية أوج كمالها؛ فقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: «مَنْ زَارَ قَبْرَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ عليه السلام بِشَطِّ الْفَرَاتِ، كَانَ كَمَنْ زَارَ اللَّهَ فَوْقَ عَرْشِهِ»<sup>(١)</sup>.

تبصرة: المقصود بالزيارة في مقالتنا هذه هو ماهيتها وروحها، لا ألفاظها وأفعالها الجوارحية، وإن اقتضى التفصيل في بعض الأحيان ذكر بعض فقرات الزيارة أو أفعالها، فباعتبار ما تحكيه من معاني ومقاصد.

## ٢. البعد المعنوي للزيارة والتنمية الذاتية

يرتبط تفعيل البعد المعنوي للذات الإنسانية بتأطيرها الفكري الذي يُؤصل الفعل المعنوي، ذلك الفعل الذي يواكب عملية التنمية الذاتية، ويختلف باختلاف ارتقاء النفس وتكاملها قيمياً؛ فالمحددات الزمانية والمكانية تكون حاکمة عليه بالعرض، إلا أن الهدف والوجهة على الدوام واحد.

إن السلوك القويم هو المؤشر الحقيقي إلى تقويم أفق الذات الإنسانية، وذلك باعتبار مقصدية التنمية الذاتية؛ لأنه يحكي الحقيقة المعنوية للذات التي أمكنها نبذ التزاحم والتنافر بين المادّي والمعنوي، وإحداث التعادل والتوازن بينهما، وهو غاية ما تتوق إليه كلّ ذات إنسانية. وعليه؛ تكون التنمية الذاتية على وفق النهج الحسيني هي خارطة طريق ولائية من شأنها صقل مرآة النفس شيئاً فشيئاً حتى تتراءى من خلالها القيم التكاملية.

والزيارة باعتبارها علّة مُعدّة لذلك التكامل، تكون هي الوسيلة الأنجع لإضفاء الصفاء والنقاء على النفس؛ حتى يرتبط الزائر بمزوره الإمام الحسين عليه السلام، ويعاين ببصيرته معالم النهضة الإنسانية التي غدّتها دماؤه الطاهرة.

وبعبارة مجملّة: التنمية الذاتية على وفق النهج الحسيني هي دورة تدريب في مدرسة الولاء، تستهدف بناء الذات وتنمية مهارتها؛ لتستقي من معين العشق الإلهي، وتنبجس منها منظومة قيمية تكاملية هدفها ترشيد الفرد والمجتمع.

(١) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤١١.

### ٣. زيارة الامام الحسين عليه السلام تفعيل لمشروع الملوكوت

هُنْدَسَ مشروعَ الملوكوت على وفق نسق يعطي قيمَ الفطرة الإلهية السيادة. وحتى يُفَعِّلَ الإنسان ذلك المشروع في بناء ذاته، لا بدّ أن يعلم أن حياته الدنيوية والأخروية متوقّفة على حاكمية المنظومة القيمية الدينية. وسأشير فيما يلي إلى نسق (مقاربة الأمانة الإلهية)، وهو نسق ديني بامتياز، يقضي بأنّ عنصر الاختيار المغروس في الذات الإنسانية إيجاباً، يصحّح إرجاع كلّ فعل اختياري على مستوى العبادة والتدبير إلى مبدأ الأمانة الإلهية التي تقبلها النوع الإنساني، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾<sup>(١)</sup>.

وهو نفس المبدأ الذي يؤسّس منظومة يتساوق فيها الديني والتدبري؛ إذ يمكننا تأسيسُ مقاربة الائتمان على الأمانة الإلهية في ضمن ثلاثة مقدّسة، وهي: الشهادة، والوداعة، والفطرة.

فالأولى تضمن المراقبة الإلهية لأفعال الذات الإنسانية، ومدى رعايتها للأمانة، قال سبحانه: ﴿قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، كما يقول صاحب تفسير الميزان في ذيل الآية المباركة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>. «الشهادة معروفة، والقيامُ بالشهادة عدم الاستنكاف عن تحمّلها، وأداء ما تحمّل منها كما تحمّل، من غير كتمان ولا تغيير»<sup>(٤)</sup>.

والثانية تذكّر الذات الإنسانية أنّ كلّ ما تملكه هو عارية ووداعة أودعها الشاهد الحقّ أمانةً عندها، وتحملها مسؤولية الحفاظ على تلك الودائع، وعلى رأس تلك

(١) الأحزاب: الآية ٧٢.

(٢) الأنعام: الآية ١٩.

(٣) المعارج: الآية ٣٣.

(٤) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ٢٠، ص ١٩.



الودائع القيم، تلك القيم التي فُتيت في ذوات المعصومين عليهم السلام فقد ورد عن أبي جعفر عليه السلام قال: «نحن شجرة النبوة، وبيت الرحمة، ومفاتيح الحكمة، ومعدن العلم، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وموضع سر الله، ونحن وديعة الله في عباده، ونحن حرم الله الأكبر، ونحن عهد الله. فَمَنْ وفي بَذْمَتَنَا فقد وفي بَذْمَةَ الله، وَمَنْ وفي بعهدنا فقد وفي بعهد الله، وَمَنْ خفَرْنَا فقد خفَر ذَمَّةَ الله وعهده»<sup>(١)</sup>.

والثالثة تحرك الذات نحو تحصيل القيم المرضية للحق تعالى؛ لأنَّ الفطرة هي وديعة إلهية تكوينية ترتبط بالبُعد الروحي والمعنوي. وتجلّي تلك الوديعة الإلهية في مرآة الذات الإنسانية بصفائها ونقائها التكويني، من شأنه أن يكون حائلاً لها على حركتها التكاملية، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وعليه؛ يكون استذكار يوم الطفّ هو استذكار لسيادة الأمانة الإلهية ومنهاج السماء، واسترجاع القيم الإنسانية التي غيبتها الحكم الأموي الغاصب من خلال الكشف عن النماذج الزائفة من المتخاذلين والساكّتين عن الحقّ. وهذا ما جاء على لسان سيّد الشهداء عليه السلام حين قال: «... وأتّى لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً. وإنّا خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله. أريد أن آمر بالمعروف، وأنهي عن المنكر...»<sup>(٣)</sup>.

وما جاء على لسان ابنه جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، حيث قال في زيارته: «الحمد لله العلي العظيم، والسلام عليك أيها العبد الصالح الزكي، أودعك شهادة منّي لك تُقربني إليك في يوم شفاعتك. أشهد أنّك قُتِلت ولم تَمُت، بل برجاء حياتك حَيِّتْ

(١) الصقّار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات في فضائل آل محمد عليهم السلام: ج ١، ص ١٣٠.

(٢) الروم: الآية ٣٠.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٩.

قلوبُ شيعتك، وبضياء نورك اهتدى الطالبون إليك، وأشهد أنك نور الله الذي لم يُطفأ ولا يُطفأ أبداً...»<sup>(١)</sup>.

بناءً على ما مرّ ذكره يتعيّن على الزائر التفطّن لهذا الأمر الخطير؛ لأنّه بزيارته يحاكي الحقّ المتجلّي في الإمام الحسين عليه السلام، حقّ يتراءى عند رقيّ قلوب الزوّار الوالهة إلى التغيّر الذاتي على المستوى الإيماني والروحي، فيُذعن كلّ زائر بأنّ من هندس تلك الزيارة هي يد القدرة الإلهية التي أجرتها على لسان أهل البيت عليه السلام.

#### ٤. روحانية الزيارة وتأسيس القيم التكاملية

إنّ التخلّق بأخلاق الله يُشير إلى حالة التمازج بين الأخلاق الإلهية والأخلاق الإنسانية، وانصبغ الذات بصبغة الله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً﴾<sup>(٢)</sup>. والزيارة هي المصداق الأبرز للتخلّق بأخلاق الله التي عكستها مرآة الوجود المقدّس لسيد الشهداء عليه السلام؛ لهذا صدق في حقّها قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾<sup>(٣)</sup>، أي: إنّ الهدف من إحياء هذه الشعيرة المقدّسة هو العروج ببركة التخلّق والتقوى من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، كلّ بحسبه. الذات الإنسانية تتجاذبها قوتان: قوّة إلهية متعالية، وقوّة طاغوتية متسافلة. وزيارة سيد الشهداء هي إقرار ضمّني من الزائر بتسليم زمام أموره للقوّة الإلهية، والانخراط في مصفّ الملكوت، وفي الوقت نفسه هي امتناع عن الانخراط في مصفّ الحيوانية والضلال، وإزهاق لقوّة الطاغوت. وعليه؛ يكون التحقّق بالزيارة هو انتقال الزائر من الأفق الحسّي إلى العقلي، فالشهودي، وهذا ما يتعيّن علينا دركه في أثناء قراءتنا لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، فإذا قلنا في زيارتنا: «سلم لمن سالكم»،

(١) المصدر السابق: ج ١٠١، ص ٣٤٢.

(٢) البقرة: الآية ١٣٨.

(٣) الحجّ: الآية ٣٢.





فعلينا مشاهدة ذلك في ذواتنا حسياً وعقلياً وشهودياً؛ لأنّه يتعيّن أن يكون التسليم الظاهري حاكياً لتسليم قلبيّ باطنيّ يلزم منه التبعية المطلقة للإمام «وأمرى لأمركم مُتَّبِع، ونصرتي لكم مُعَدَّة حتى يأذن الله لكم. فمعكم معكم لا مع عدوكم»<sup>(١)</sup>. وبعبارة مجملة: على الزائر أن يعيش الإمام الحسين عليه السلام ونهضته شهوداً؛ لأنّ الإمام هو تمثّل لتلك القيم الفطرية التوحيدية.

وثمررة الظفر بالقيم الحسينية تكمن في روح الزيارة؛ وحتى نعانق تلك الروح علينا أن نواصلها عبر موجات العشق الحسيني، واستحضار حركة التغيّر التكاملية في ذواتنا، حركة تبدأ بتقديرنا لذواتنا قبل الزيارة وبعدها، لكن علينا التنبّه لأمر مهمّ جدّاً، ألا وهو اجتناب التعامل مع النفس إفراطاً أو تفريطاً، أي: لا يجب أن نتعامل معها بازدراء واحتقار، كما لا يتعيّن أن نعاملها بالإطراء مع عدم أهليّتها لذلك؛ لأنّه سيبعدها عن الاعتدال.

إنّ التّأصيل للقيم من خلال أفق الزيارة هو تأصيل من منظار استخلافي، يحكي العلاقة بين المرتبة الإنسانية والمرتبة الإلهية، ويكون واسطة الفيض بين المرتبتين هو (المزور)، أي: الإمام الحسين عليه السلام؛ وذلك باعتباره الإنسان الكامل، وتلك العلاقة هي العلاقة التي تُوصّل لارتقاء ذات الزائر عبر قيمة (الحبّ الذوقي) و(الولاء الرسالي) للإمام باعتباره حيّاً دائماً. وعليه؛ تكون القيمة الأصلية هي تحليّ الحقّ تعالى في (المزور)، وارتباط وعي الزائر به ارتباطاً عهدياً؛ إذ الشاهد هو الدالّ على الغائب، والغائب حاضر فيه.

## ٥. الزيارة وتنزيل الزائر لمقتضيات القيم التكاملية

لا شكّ أنّنا في هذا الزمان في حاجة ماسّة إلى رؤية تكاملية أخلاقية تتراءى فيها القيم الأخلاقية المغيّبة بثوب جديد، من قبيل التقوى مثلاً؛ حيث إنّ هذه الأخيرة

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١١٤.



بشمولها لمفاصل الحياة الإنسانية تصبح لها اليد الطولى في تقويم أفعال الذات الإنسانية: كإتقان العمل، وتطوير العمل، والمحافظة على الوقت، وحسن إدارته، وترشيد الاستهلاك...

كما أن تكامل البذور الأخلاقية في ذاتنا هو رهن إخصاب تلك البذور عملياً من خلال الامتحان العبادي والولائي والإنساني؛ إذ يعضد ذلك وجود علاقة جدلية بين ما هو نظري وما هو عملي. فيكون الفعل العبادي الارتقائي على وفق منظومة (مكارم الأخلاق) متوقفاً على عنصر الرقابة لكمالات الذات الإنسانية، وتحقيق حالة الاعتدال بينها، تلك الحالة التي تُسوّغ للإنسان التنامي والاستمرار تحت ظلّ الأحكام الأخلاقية، وفي المقابل يكون الانصراف عن تلك الرقابة هو انصراف إلى العناية بالجسد، ومن ثمّ انحطاط القيم.

يحتكم تكامل (المنظومة القيمية) على مستوى بناء الذات الإنسانية إلى المعرفة المشفوعة بالاختيار الإنساني، واستنهاض الوجدان، وذلك من خلال درك جلال القيمة وجمالها، وكذا التمثّل السلوكي للقيمة؛ إذ المنظومة القيمية في الدين الإسلامي تحتكم جميعها إلى (قيمة التوحيد المطلقة) التي تمثّل العلة الغاية الأخلاقية لتلبّس النفس بالأخلاق المحمودة، بل كلّ قيمة تتعارض معها تكون خارجة تخصّصاً عن تلك المنظومة.

#### ١.٥: التوأمة بين القيمة المعرفية والقيمة الأخلاقية في الزيارة

الارتقاء بالقيمة الخلقية إلى رتبة الحاكمية والإطار المرجعي الناظم للحياة الإنسانية، لا يعني أبداً حصرها في خدمة المقاصد الأخلاقية، وإنّما هو التوأمة بين البعد الأخلاقي والبعد المعرفي، وهو المنهج الآمن لارتقاء الذات الإنسانية؛ إذ لا مأمّن من أخلاق لا تركز على معرفة، ولا مأمّن من معرفة دون أفق أخلاقي موجه. فالصلاح في حقيقته هو إيجاد حالة اعتدال بين الكمال المعرفي والأخلاقي من شأنها



إفاضة الاستقامة على السلوك والفكر معاً. والزائر للإمام الحسين عليه السلام تعيش ذاته حالة اللبس بعد اللبس وصولاً إلى تلك المكارم الأخلاقية.

وفي ضمن هذا العنوان سأحاول مجانبة السرد الكلاسيكي لمجموعة من المفاهيم؛ معتبراً إياها آداباً ومقتضيات مختزنة في فعل الزيارة، وبدلاً من ذلك أذكر أنموذجاً مبسطاً للنسق القيمي السلوكي والمعرفي في فعل الزيارة؛ لتنزيل تلك المقتضيات بطريقة إجرائية سلوكية.

أولى تلك المقتضيات لقبول الفيض هو الشوق المتوقّف على المعرفة، فمعرفة حقّ الإمام علينا تمثل أساس الزيارة، فقد ورد في كتاب (كامل الزيارات): «عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: مَنْ أتى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه، غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر»<sup>(١)</sup>. وتلك المعرفة تفضي إلى دركنا لواجباتنا تجاه ذلك الحقّ الذي في أعناقنا، وكلّما كانت معرفة الزائر أكبر، كان استقاؤه من معينها أكثر، واستقامته أحكم، وذلك إذا جرت على وفق نهج المزور بملازمة الطريق المستقيم، ورعاية الاعتدال في كلّ عمل جوارحي أو جوانحي؛ ولتحقيق ذلك يُشرع بتقويم النفس من خلال تأديبها، وإقامة أمتها واعوجاجها عبر تهذيبها، واستقامتها باستشعارها لحضور الكمالات الحسينية في مرآة أفعالها كافة.

والإخلاص شرط الوقوف على تلك المعرفة والانتفاع بالزيارة؛ إذ لا معرفة لمن كان قلبه غافلاً عن محضر الإمام عليه السلام، وإذا غفل القلب لم تعدّ عبارات الزيارة إلا مجرد لقلقة لسان.

إنّ الصورة النمطية للإنسان الغافل تكمن في غفلته عمّا يجب أن يكون عليه كموجود كرمه الله تعالى على باقي الموجودات، فهو وإن كان بحسب الظاهر قد سخر متعلّقات الدنيا لاستيفاء حاجته، إلّا أنّه باعتبار وجوده قد غيّب ذاته، وجانب القيم الأساسية التي بها يعرج ويتكامل نحو الحياة الحقيقية. وعلى هذا؛ يكون عرفان

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٦٤.

مقام الشهادة والكرامات الأبدية التي نالها الإمام الحسين عليه السلام هو في الحقيقة كرامة لمحبيه ومواليه، وإحياء لقلوبهم، واستنقاذ لهم من الجهالة.

وبعبارة أخرى: حكمة زيارة سيّد الشهداء هي في الحقيقة وقوف الزائر على فلسفة تضحية الإمام الحسين عليه السلام التي تقضي بأن الذات الإنسانية عرضة على الدوام لسهام الأبالسة، فتقذف بها في قعر الضلال والجهالة. والإمام الحسين عليه السلام بشهادته الفدّة أخذ على عاتقه إخراج تلك الذات من ظلمة الضلالة إلى نور الهداية. وهذا ما جاء على لسان الإمام الصادق عليه السلام خلال عرضه لزيارة الأربعين بقوله: «وبذل مهجته فيك؛ ليستنقذ عبادك من الجهالة، وحيرة الضلالة»<sup>(١)</sup>.

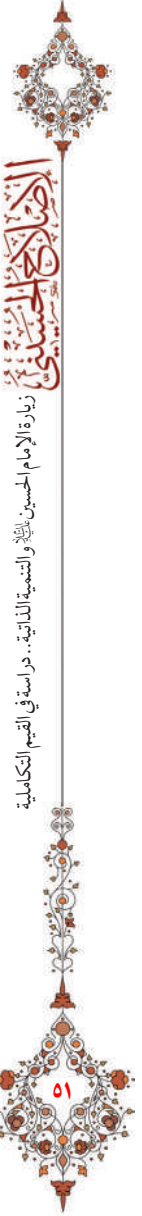
كما أن الإقرار لسيّد الشهداء بأنه قد أدّى الأمانة ليس شهادة منّا على إجراء عبادي صرف، إنّما هو إشهاد على شأنية ذلك النور الحسيني لإخراج ذواتنا من ظلماتها، وإيصالها إلى قابلية النور الإلهي. وشهادة الزائر للإمام الحسين عليه السلام بقوله: «أشهد أنك قد أقمّت الصلاة، وآتيت الزكاة»<sup>(٢)</sup>، تعني: أن الخطّ الرسالي لرسالة النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله ومَن جاء بعده من الأوصياء عليهم السلام يدين للإمام الحسين عليه السلام بالاستمرارية والدوام، خطّ غايته تكميم مكارم الأخلاق وتزكية النفوس.

يقول الإمام الصادق عليه السلام في زيارة الإمام الحسين عليه السلام: «بل برّ جاء حياتك حيث قلوب شيعتك، وبضياء نورك اهتدى الطالبون إليك، وأشهد أنك نور الله الذي لم يُطفأ ولا يُطفأ أبداً»<sup>(٣)</sup>. وعليه؛ يكون استجداء الزائر من زيارة الإمام الحسين عليه السلام هو استجداء لمكارم القيم الأخلاقية، وهو طلب استرقائي من الله تعالى بأن يقبله من خلال الزيارة، ويُقلّده وسام الخطّ الحسيني.

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١١٣.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ١٥٩.

(٣) المصدر السابق: ج ١٠١، ص ٣٤٢.



## ٢٥٥ : البكاء في أثناء الزيارة تنزيل لمقتضيات الرحمة الإلهية

أشرنا سابقاً أنّ الزيارة تحكي تلك المعية، معية الزائر والإمام الحضورية، والإقرار له بأنّه: «قتيل العبرة»، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «قال الحسين عليه السلام: أنا قتيل العبرة، قُلت مكروباً، وحققت عليّ ألا يأتيني مكروب قطّ إلّا ردّه الله، وأقلبه إلى أهله مسروراً»<sup>(١)</sup>.

وعنه عليه السلام أيضاً: «إذا كان يوم العاشر من المحرم تنزل الملائكة من السماء، ومع كلّ ملك منهم قارورة من البلّور الأبيض، ويدورون في كلّ بيت ومجلس، ويكون فيه على الحسين عليه السلام، فيجمعون دموعهم في تلك القوارير، فإذا كان يوم القيامة، فتلتهب نار جهنّم، فيضربون من تلك الدموع على النار، فتهرب النار عن الباكي على الحسين مسيرة ستين ألف فرسخ»<sup>(٢)</sup>.

دموعنا التي تنهمل في أثناء زيارتنا للمولى أبي عبد الله عليه السلام علامة على توجّه إيماننا بخطّ الإمام الحسين عليه السلام، وارتقاء للقيمة الإيمانية في ذواتنا، أي: ارتقاء سلوكنا الإيماني بعناية المزور الذي يرمقنا بعين الله تعالى، ويعرف خصوصياتنا؛ حيث تقتضي تلك الدموع استغفار الإمام عليه السلام لنا، كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله في جدّه الحسين عليه السلام: «وإنّه ليرى من يبكيه، فيستغفر له، ويسأل آباءه عليه السلام أن يستغفروا له»<sup>(٣)</sup>؛ إذ لا يخفى أنّ ماهية الاستغفار من الباكي تُحاكي في أدنى مراتبها (طلب العفو)، إلّا أنّها في مرتبتها المتعالية، أي: تنزيلها لمقتضى استغفار النبي والأئمة (عليه وعليهم السلام)، تُحاكي الرضا عن الباكي، ومن ثمّ انتشاؤه من إكسير الرحمة الإلهية حتى

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ج ١، ص ١٠٩.

(٢) الطريحي، فخر الدين، المنتخب في جمع المراثي: ص ٤٥٠.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ج ١، ص ٥٥.

تنبجس من ذلك الانتشاء بركات لا حدّ لها، أشرفها أن يكون الزائر موضعاً لدعاء أهل البيت عليه السلام والملائكة، ومحطّ مغفرة الله تعالى وعنايته<sup>(١)</sup>.

### ٣٥: التحقق بالزيارة تنزيل لمقتضيات القداسة الربانية

زيارة الإمام الحسين عليه السلام مقدّسة في ذاتها، مقدّسة للزائر، أمّا كونها مقدّسة في ذاتها؛ فلتعلّقها بالزور، أي: الوجود المقدّس لسيدّ الشهداء عليه السلام. وأمّا كونها مقدّسة للزائر؛ فلنورانية تلك الزيارة التي تتشعّشع في وجود الزائر، وتكشف الغطاء عن كمالاته المتحصّلة من خلال ارتباطه الوثيق بخطّ الإمام الحسين عليه السلام.

وبيان ذلك يكمن في أنّ الأفكار أئمة القلوب، وفعل القلب يدفع الذات الإنسانية إلى الارتقاء - بحسب استعداداتها الإيمانية - من مرتبة إلى مرتبة، بل يشمل ذلك الارتقاء أيضاً الفعل الدنيوي على أساس قيمي، فيأتي الفعل مُتَقَنّاً ومفيداً، وحينها يكون الزائر مستحقّاً للتقديس، والذي يباشر فعل التقديس هم الملائكة، جاء في المصحّح عن الحارث بن المغيرة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنّ لله ملائكةً مُوَكَّلِينَ بقبر الحسين عليه السلام، فإذا همّ الرجل بزيارته، أعطاهم الله ذنوبه، فإذا خطأ نحوها، ثمّ إذا خطأ ضاعفوا له حسناته، فما تزال حسناته تضاعفُ حتّى تُوجِبَ له الجنة. ثمّ اكتنفوه، وقَدَسُوهُ، وينادون ملائكة السماء: أن قدسوا زوّار حبيب حبيب الله»<sup>(٢)</sup>. فإذا قدّس نال مقام النجوى مع الله.

وكذلك ورد قوله أيضاً: «... ثمّ لم يزل يُقدّس بكلّ خطوة حتّى يأتيه، فإذا أتاه ناجاه الله»<sup>(٣)</sup>. والتقديس يسانخ الكمال الملوكوتي الذي يُسوِّغ عروج الزائر إلى ذلك المقام<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنظر: دعاء الإمام الصادق عليه السلام لزوّار الإمام الحسين عليه السلام، وقد ذكرناه مفصّلاً في هذه المقالة في ضمن عنوان: (خصوصية زيارة الأربعين في اقتناص مكارم الأخلاق).

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٨٧.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص ٩١.

(٤) لمزيد من التوضيح يراجع: كتاب (زيارة قبر الحسين عليه السلام وتكامل روح المؤمن) للشيخ محمد السند: ص ١٢-١٣.

ومن هذا القبيل روايات مستفيضة تشير إلى تكامل الزائر بزيارته، منها: ما رواه ابن قولويه في (كامل الزيارات)، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مَنْ زَارَ قَبْرَ الْحُسَيْنِ عليه السلام وهو يريد الله عزَّ وجلَّ، شيعه جبرئيل وميكائيل وإسرافيل، حتَّى يُرَدَّ إِلَى مَنْزِلِهِ»<sup>(١)</sup>. وفي رواية أخرى: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِي كَرَامَةِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَفِي شَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فليكن للحسين زائراً، ينال من الله الفضل والكرامة»<sup>(٢)</sup>.

#### ٤٥: الزيارة تنزيل لمقتضيات المحبة الإلهية

حينما يخفق القلب شوقاً إلى الزيارة، فهذا يعني أنّه يخفق لملاقاة معشوق فدى مهبته ومهج أولاده من أجل أن تبقى كلمة الله هي العليا، وتظلَّ شريعة جدّه عليه السلام وسيلة إلى التكامل الأخلاقي. كما يشير في الوقت نفسه إلى الالتذاذ بذلك الوصال اللوائي؛ لأنَّ المعصوم هو الدليل إلى الله تعالى؛ فقد ورد في زيارة الجامعة الكبيرة: «السلام على الدعاة إلى الله، والأدلاء على مرضاة الله»<sup>(٣)</sup>.

وورد في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ الْخَيْرَ، قَذَفَ فِي قَلْبِهِ حُبَّ الْحُسَيْنِ عليه السلام وَحُبَّ زيارته»<sup>(٤)</sup>.

وهذا يعني أنّ الله سبحانه وتعالى علاوةً على الهداية العامة يفتح أبواب هدايته الخاصة لزوّار الإمام الحسين عليه السلام، فيرفعهم بزيارتهم الخالصة لوليّه إلى مقام المحيّن لأوليائه، قال الإمام الباقر عليه السلام: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلْيَعْرِضْ حُبَّنَا عَلَى قَلْبِهِ، فَإِنْ قَبِلَهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ كَانَ لَنَا مُحِبًّا، فَلْيَرْغَبْ فِي زيارَةِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، فَمَنْ كَانَ لِلْحُسَيْنِ عليه السلام زَوَّارًا، عَرَفْنَاهُ بِالْحُبِّ لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لِلْحُسَيْنِ زَوَّارًا، كَانَ نَاقِصَ الْإِيمَانِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ج ١، ص ١٥٣.

(٢) المصدر السابق: ص ٦٢.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٩، ص ١٢٨.

(٤) المصدر السابق: ج ٩٨، ص ٧٦.

(٥) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٩٣.

## ٦. خصوصية زيارة الأربعين في اقتناص مكارم الأخلاق

تنفطر قيمة التضحية والشهادة في زيارة الأربعين؛ لتتفجّر عنها قيم لا متناهية، ينتجها التلاحق الثقافي والاجتماعي بين الذوات الإنسانية المشاركة في مسيرة الأربعين، وتتجلّى من خلالها الرؤية الأخلاقية التكاملية التي تعكسها رمزية المشاهد، وترسمها حركات الزائرين وسكناتهم، مشاهد تتنامى لتشكّل نسقاً قيماً واحداً، مبدؤه الذات الفردية، ومنتهاها الذات الجمعية.

إنّ عزم الزائر على السير الظاهري والباطني إلى الإمام الحسين عليه السلام، والاستقاء من معين القرب الإلهي، من شأنه أن يقوّي إرادته في تحصيل كمالات النفس وتخلّيتها بالقيم الفاضلة، ثمّ الالتذاذ بذلك الارتقاء والعزم على نقله إلى غيره، فتشتدّ عنده لذّة الأخوة والمحبة والتكافل وحبّ الخير؛ إذ لا شكّ أنّ كنوزاً من القيم الأخلاقية المتعالية مخترنة وراء الزيارة الأربعينية؛ لهذا خصّصت بركات أكبر وأهمّ على المستوى الفردي والاجتماعي، حتى صارت - بحق - أشرف مدرسة أخلاقية يتخرّج فيها الصالحون، فهي مدرسة القرب والبصيرة. وبعبارة أدقّ: مدرسة الحياة الطيبة.

ونذكر من بين تلك الخصوصيات لا على سبيل الحصر، ما يلي:

١. تأصيل الاقتداء بالأوصياء، وتجديد العهد بالولاية لصاحب العصر عليه السلام، وتحقيق النصر المؤزّر على يديه: «أشهد أنّ لك من الله ما وعدك من النصر والفتح»<sup>(١)</sup>.
٢. إنماء روح المساواة، وتألف القلوب على حبّ محمد وآل محمد عليهم السلام.
٣. إظهار المودة والمحبة لأهل البيت عليهم السلام على المستوى الفردي والجمعي، وكونها في طول محبة الله تعالى: «مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بَدْءَ بَكْم»<sup>(٢)</sup>.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ١٥٠.

(٢) المصدر السابق: ص ١٥٣.





٤ . العروج بالروح إلى مقام مكارم الأخلاق، واتّصاف الذات الإنسانية بالسجايا الفاضلة.

٥ . إنشاء بصيرة الزائر؛ حتّى يقف على مواصفات يزيد زمانه ومن يواليه من الظالمين والطّغاة: «اللهمّ العن الذين بدّلوا نعمتك، وخالفوا ملّتك، ورجبوا عن أمرك»<sup>(١)</sup>. فجدير بالزائر أن يُمعن النظر في قيم الحقّ، وبصائر الحياة المبنوثة في ثنايا الزيارة، كقيمة التوّليّ والتبرّي، وتحكيم القرآن، والاهتداء بالمعارف الدّنيّة.

«عن معاوية بن وهب، قال: استأذنت على أبي عبد الله عليه السلام، فقبل لي: ادخل. فدخلت، فوجدته في مُصَلَّاه في بيته، فجلست حتى قضى صلاته، فسَمِعته وهو يناجي ربّه، ويقول: يا مَنْ خَصَّنَا بالكرامة، وخصَّنَا بالوصية، ووعدنا الشفاعة، وأعطانا علم ما مضى وما بقي، وجعل أفتدّةً من الناس تهوي إلينا، اغفر لي ولإخواني ولزوّار قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام الذين أنفقوا أموالهم، وأشخصوا أبدانهم رغبةً في برِّنا، ورجاءً لما عندك في صلّتنا، وسروراً أدخلوه على نبيّك صلواتك عليه وآله، وإجابةً منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدوّنا. أرادوا بذلك رضاك، فكافهم عتاً بالرضوان، وأكلأهم بالليل والنهار، واخلف على أهاليهم وأولادهم الذين خُلّفوا بأحسن الخلف، واصحبهم واكفهم شرّ كلّ جبارٍ عنيدٍ، وكلّ ضعيف من خلقك أو شديد، وشرّ شياطين الإنس والجنّ، وأعطهم أفضل ما أملوا منك في غربتهم عن أوطانهم، وما آثرونا به على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم»<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر السابق: ص ١٥٨.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٨٢-٥٨٣.



خلاصة القول: أنَّ زيارة الأربعين في أفقها الرسالي تبني الفرد الحسيني؛ ليكون في حد ذاته قيمة وجودية ودينية واجتماعية تُنمي استعدادات الزوّار؛ للارتباط الروحي والمعنوي بالإمام المهدي عليه السلام، وهي أوج مظاهر التلبّس بفلسفة الولاء لصاحب الأمر، كيف لا وأصواتهم في تلك الزيارة تُردّد ما ردّده إمامهم صاحب العصر والزمان، أرواحنا فداه: «ألا يا أهل العالم، إنّ جدّي الحسين قتلوه عطشاناً... ألا يا أهل العالم، إنّ جدّي الحسين عليه السلام طرحوه عُرياناً... ألا يا أهل العالم، إنّ جدّي الحسين عليه السلام سحقوه عُدوناً!»<sup>(١)</sup>.

## الخاتمة

اتضح لنا ممّا مرّ أنّه من الخطأ الفاحش ربط مسألة التنمية الذاتية في نسختها الغربية بمسألة الزيارة دون تغيير ماهيّتها من الأساس؛ لأنّ التنمية الذاتية على وفق الرؤية الإسلامية لا تحتكم إلى تجربة مهارات الآخرين بنحو تلقينيّ وتقليديّ، فضلاً عن غاياتها المادّية، إنّما هي عملية إبداع لتجربة ذاتية تحكمها قيم الفطرة الإلهية، تجربة إذا ما تجلّت في أفق الزيارة، كشفت عن العُلاقة الخاصّة بين الزائر والإمام الحسين عليه السلام، ومدى استفائه من معين تعاليم النهضة الحسينية؛ حيث إنّ لكل فرد ارتباطاً خاصّاً بالإمام أشتدّ أم ضعف. وما يجعل الزائر يتلذذ بفعل الزيارة هو اعتقاده بمبدأ التكامل القيمي المتغيّر في حركته، والمتوحّد في وجهته، فتكون الزيارة من جهة آليّة لتذوّق حضور الغائب الحيّ في عمق ذات الزائر، ومن جهة أخرى آليّة فعّالة لبناء ذات إنسانية ذات كفاءات عالية تؤهّلهم لتزريق القيم المشهودة في مجتمعاتهم، وتحقيق الارتقاء على جميع المستويات.

(١) الحائري اليزدي، علي، إلزام الناصب في إثبات الحجّة الغائب: ج ٢، ص ٢٤٦.

## المصادر والمراجع

\* القرآن الكريم.

١ . أبو الشهداء الحسين بن علي، عباس محمود العقّاد، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ١٩٤٥ م.

٢ . إلزام الناصب في إثبات الحجّة الغائب عجل الله فرجه، علي اليزدي الحائري (ت ١٣٣٣ هـ)، تحقيق: علي عاشور.

٣ . بحار الأنوار، محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (ت ١١١١ هـ)، مؤسّسة الوفاء، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ.

٤ . بصائر الدرجات في فضائل آل محمد ﷺ، محمد بن الحسن الصفّار القمّي (ت ٢٩٠ هـ)، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف - العراق، ١٣٨١ هـ.

٥ . تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي (ت ١١٠٤ هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، قم المقدّسة - إيران.

٦ . تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، دار الكتب العلمية، طهران - إيران، الطبعة الرابعة، ١٣٦٥ هـ.

٧ . ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، محمد بن علي بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، دار الشريف الرضي، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ.

٨ . زيارة قبر الحسين ﷺ وتكامل روح المؤمن، الشيخ محمد السند، مركز الأمير الثقافي، النجف الأشرف - العراق، الطبعة الأولى، ٢٠١٣ م.

٩ . الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، إسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ)، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧ هـ.

١٠ . عصر الوصول (الثقافة الجديدة للرأسمالية المفرطة)، جيري مي ريفكين، ترجمة صباح صديق الدمولوجي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩ م.

١١ . الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.

١٢ . كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمي (ت ٣٦٨هـ)، النجف الأشرف - العراق، المطبعة المرتضوية، ١٣٥٦هـ.

١٣ . معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، دار الفكر، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩ م.

١٤ . مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الحسين بن محمد بن الفضل الراغب الإصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، دار القلم، دمشق - سوريا، وبيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

١٥ . منتخب جمع المراثي والخطب المشتهر بالفخري، فخر الدين الطريحي النجفي (ت ١٠٨٥هـ)، الأعلمي، بيروت - لبنان، ١٣٧٣هـ.

١٦ . الميزان في تفسير القرآن، السيّد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، الأعلمي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م.

## المجلّات

١٧ . مجلّة الإصلاح الحسيني، العدد ١١، (تغيب القيم وانتهاكها في سياسات الحكم الأموي)، السيّد خالد سيساوي، مؤسسة وارث الأنبياء، العتبة الحسينية المقدّسة، ٢٠١٥ م.





الاستئذان عند زيارة الأضرحة المشرفة

زيارة سيد الشهداء عليه السلام أنموذجاً

دراسة تحليلية

د. الشيخ محمد صالح الحلفي

أستاذ في جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية، ومدير مركز الهدف للدراسات، من العراق

**Asking for Entry Permission When Visiting  
the Holy Shrines**

**– The Visit of the Master of the Martyrs (PBUH) as a Sample  
(An Analytical Study)**

**Dr. Shaykh Muhammad Saleh al-Hilfi**

Lecturer at al-Mustafa International University,  
and director of al-Hadaf Center for Studies, from Iraq



## ملخص البحث

حاول المقال أن يتوصّل إلى حكم ومشروعية الاستئذان وفلسفته، بدءاً بمقدمة عرض فيها معنى الاستئذان لغةً واصطلاحاً، مع التطرّق إلى التفرقة بين التعريف الفقهي والتعريف الأخلاقي، الذي تلخّص بنقصان أحد الأركان في الثاني؛ وهذا ما فرض الدخول في موضوعة تحديد المناط الذي يدور مداره لزوم الاستئذان في دخول مرقد أولياء الله المعصومين عليهم السلام، وذلك عبر إجراء مقارنة بين الآداب والأحكام التي جعلتها الشريعة للأماكن المقدّسة: كالكعبة والمسجد الحرام والمسجد النبوي ومقابر المؤمنين من جهة، ومرقد الأئمة الأطهار عليهم السلام من جهة أخرى، وثبوت سريانها في الأخيرة أيضاً بحسب ما ذهب إليه العلماء؛ وذلك لاتّحاد الملاك فيها جميعاً، وهو الحرمة والقداسة، وبناءً على ذلك تمّ ذكر مجموعة من الاعتبارات الخاصّة التي تكشف عن عظمة حرمة مرقد المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

الكلمات المفتاحية: الإذن، الاستئذان، الإمام الحسين عليه السلام، مرقد، زيارة، الدخول،

الأماكن المقدّسة.



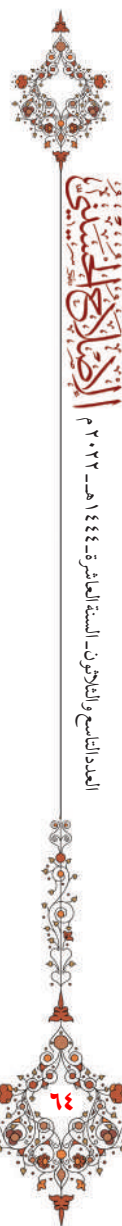
## Abstract

This study attempts to address the ruling on asking for entry permission at the shrines when conducting Ziyara, its legitimacy, and its philosophy. It starts with an introduction that presents the meaning of asking permission linguistically and terminologically while addressing the difference between the jurisprudential and ethical definitions. The study then addresses the central main criteria that define the necessity of asking permission to enter the shrines of the Vicegerents of Allah, the Infallibles (PBUT), through comparing the traditions and rules set by the Holy Law for holy places such as the Kaaba, the Haram Mosque, the Prophet's Mosque and the graves of the believers on one hand, and the shrines of the pure Imams (PBUT) on the other hand. These traditions and rules also apply to the latter according to the scholars' opinions, due to their sacredness and holiness.

To explain the status of asking permission in visits more clearly, we observed the ruling during the Imams' (PBUT) lifetime, and at their death, and it became evident that said etiquette was obligatory. Evidence from the Quran, narrations, and the traditions of the religious and rational people are also mentioned to prove this.

At the end of the study, we briefly mentioned the terms of permission mentioned in the Ziyara texts narrated from them.

**Keywords:** permission, asking permission, Imam al-Husayn (PBUH), shrines, Ziyara (visitation), entry, holy scenes.





## مقدمة

إنّ مسألة الاستئذان واحدة من الموضوعات التي اهتمت الشريعة بأمرها، ووضعت لها مجموعة من الحدود والضوابط، وبما أنّ زيارات النبي والأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) - ولا سيّما زيارة سيّد الشهداء عليه السلام - قد اشتملت على الاستئذان وطلب الرخصة في الدخول إلى مراقدهم ومشاهدتهم المقدّسة، حاولنا - بصورة وبأخرى - أن نُسلّط الضوء على هذه الموضوعات لتعرّف على مجموعة من الأمور الأساسية فيها، كمعنى الاستئذان في الزيارة، وأنّه هل يتطابق مع معناه الفقهي الذي صرّحت به كتب الفقه، أو أنّه يوجد ثمة اختلاف بين الحالين؟ وما هو مناط الاستئذان بالتحديد بالنسبة للمؤمنين بصورة عامّة وللمعصومين عليه السلام بصورة خاصّة؟ وهل هو نفسه في حياتهم، وبعد مماتهم، أو يوجد ثمة اختلاف بينهما؟ وعلى فرض ثبوت عدم الفرق، فهل تتوفّر شواهد ومؤيّدات من الشريعة تدلّ على ذلك؟ وبعد الخروج بالنتائج من خلال الإجابات عن هذه الأسئلة، يتحتّم علينا بيان الوجوه المستلزمة من أدب الاستئذان الوارد في زيارات الإمام الحسين عليه السلام.

وحتىّ يتّضح حال الإذن في الزيارة بصورة أجلى قمنا بملاحظة حكم الاستئذان في الدخول عليهم عليه السلام أيام حياتهم، وعدم الاكتفاء فيه بالأمارات كالتنحج وغيره، حيث يظهر وجوب الإذن والاستئذان القوليين بصورة واضحة، وذكرنا الأدلة عليه من القرآن الكريم والروايات وسيرتي المشرّعة والعقلاء. وبعده انتقلنا إلى حال الاستئذان عليهم عليه السلام بعد مماتهم، وأوضحنا عدم الفرق في ضرورته بين الحالتين من خلال الروايات صريحة الدلالة على ذلك، ومن إثبات الحياة لهم باعتبارهم من الشهداء، بل سادتهم على الإطلاق، بيد أنّ الاستئذان واجب شرعاً في حياتهم ويلزم عنده الإذن القولي، وواجب أخلاقي يقتضيه الأدب، ولا يتوقّف على الرخصة القولية بعد مماتهم.



وبعد الفراغ من ذلك عمدنا إلى بيان مجموعة من الوجوه المستوحاة من أدب الاستئذان في زيارات سيّد الشهداء عليه السلام، وانتهينا في آخر المطاف إلى ذكر ألفاظ الاستئذان الواردة في الزيارات المروية عنهم عليهم السلام بصورة موجزة.

## الإذن في اللغة والاصطلاح

### الإذن لغةً

ذكر أبواب اللغة لهذه المفردة عدّة معانٍ، من قبيل:

- ١ . الإباحة<sup>(١)</sup>.
  - ٢ . الإطلاق في الفعل<sup>(٢)</sup>.
  - ٣ . الإعلام بالإجازة والرخصة<sup>(٣)</sup>.
- ومن الإذن الاستئذان بمعنى الاستدعاء والطلب<sup>(٤)</sup>، أي: طلب الإذن والرخصة وإباحة الفعل، كالاستسقاء في طلب السقيا، أي: إنزال الغيث<sup>(٥)</sup>.

### الإذن اصطلاحاً

بما أنّ هذه المفردة يتمحور معناها في البُعد الفقهي، ومن ثمّ يتفرّع وتظهر آثاره في الجوانب الأخلاقية والنفسية والتربوية للإنسان صار لزاماً علينا أن نُسلّط الضوء على ما اصطُلح عليه بين الفقهاء أوّلاً، حيث عرّفوه: «رخصة المالك أو مَنْ بحكمه في التصرّف وإثبات اليد»<sup>(٦)</sup>.

- 
- (١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: مادّة (إذن).
  - (٢) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: مادّة (إذن).
  - (٣) أنظر: الراغب الإصفهاني، محمد، المفردات في غريب القرآن: ص ١٤.
  - (٤) أنظر: الثعالبي، عبد الملك، فقه اللغة وسرّ العربية: ص ٣٤١.
  - (٥) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: مادّة (سقي).
  - (٦) الحسيني المراغي، مير عبد الفتّاح، العناوين الفقهية: ج ٢، ص ٥٠٦.

والمقصود من المالك هو الأعم من الحقيقي وهو الله تعالى، والاعتباري وهم سائر الملاك. والمراد بقولهم: «من بحكمه»: ما كان بمنزلة المالك كسائر ذوي الحقوق، مثل: الأب والجدّ والزوج، ومن ينوب عنهم، كالوكيل والوصي والقيم والناظر. والسّر في جعل الإذن بيد المالك؛ كونه هو من له حق التصرف بشئ أنواعه فيما يملكه حقيقة أو اعتباراً، ويشهد له ما روي من أن أعرابياً قعد عند رسول الله ﷺ، فاستحسن كلامه، فاستأذنه في أن يقبل وجهه، فأذن له، فلما كان تقبيله لجهة النبي ﷺ تصرّفاً احتاج إلى إذن ورخصة منه ﷺ وإن كان هذا الفعل ينطوي على إبراز للمحبّة والتكريم والتبجيل للنبي ﷺ.

ثم لما أراد تقبيل يده استأذنه أيضاً - رغم أنّ هذا التصرف من قبل الأعرابي يتم عن التقديس - فأذن له، ولكن لما استأذنه في أن يسجد له - وهو فعل يكشف عن تمام الخضوع والاحترام والتقديس - لم يسمح له؛ لأنّ السجود ليس أمره ولا إباحته بيد الرسول ﷺ؛ لأنّه لا يملك من أمر السجود شيئاً؛ لذا لم يأذن له<sup>(١)</sup>؛ فإنّ من شروط الإذن أن يكون مالكا، وهذا الشرط غير متحقّق في المقام.

وبناءً على ما تقدّم؛ فإنّ استئذان الزائر القاصد لدخول المراقد المقدّسة هنا هو طلبه الإذن بأن يبدأ الحوار الروحي والمعنوي، والسماح له بأن يجعل المعصوم شفيعاً له ووسيلة بينه وبين الله تعالى؛ فيستغفر له ويدعو الله تعالى له بقضاء حوائجه الدنيوية والأخروية.

### معنى الإذن والاستئذان في زيارة المشاهد المشرفة

تواجهنا مشكلة فيما لو أردنا تسرية التعريف الفقهي المتقدّم إلى ما هو متعارف من الاستئذان للدخول في زيارات مراقد المعصومين عليهم السلام، وتنشأ هذه المشكلة من عدم تحقّق جميع أركان الاستئذان التي هي قوام المعنى المتقدّم، والتي هي: المستأذن،

(١) أنظر: الحلي، الحسن بن يوسف، تذكرة الفقهاء: ج ٩، ص ٢٤.



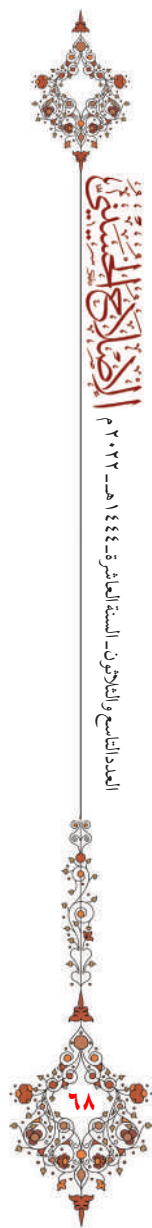
والمستأذن منه، والإعلام بالرخصة. فالركن الأول متحقق بصورة قطعية، وكذلك الثاني نوعاً ما، لكن الثالث غير متحقق.

هذا مضافاً إلى جهة أخرى أشار إليها التعريف الفقهي، وهي شرط الملكية أو ما بحكمها، وهذا المعنى يصعب تحقيقه بالنسبة إلى المراقد المقدسة؛ لعدم تشخيص المالك أو مَنْ بحكمه. وحتى لو حُلَّت هذه المعضلة بلحاظ إذن الواقف أو نحوه، تبقى المعضلة الأولى - تسرية التعريف الفقهي - على حالها؛ وهذا يقودنا للقول بأن الاستئذان عند الزيارات للدخول إلى المراقد المقدسة لا ينطبق عليه التعريف الفقهي، إلا مع التجوُّز والتسامح.

فالإتيان بالإذن لا يتصور في الدخول للمراقد المشرفة، ما يكشف عن كون الاستئذان هنا تغطي عليه الجنبه الأخلاقية، وتأتي ضرورته من باب الأدب لا من الجانب الفقهي؛ لعدم تمامية أركانه؛ ولهذا لم يلزم معرفة الإذن بالدخول وإحرازه حتى يجوز الدخول للمراقد المقدسة.

### تحديد المناطق في الاستئذان

حينما نلقي نظرة متأمله فيما ذكرته الشريعة الإسلامية من أحكام تتعلق بالدخول إلى الأماكن المقدسة، مثل بيت الله - المسجد الحرام - والمسجد النبوي، بل كل مسجد، نجد أنها قد قامت برسم مجموعة من الآداب والأخلاق التي تناسب المقام، وحثت الداخل إليها على العمل وفقها، والتقيد بها ورعايتها خلال تواجده وحضوره فيها، وفي أثناء قيامه بالأعمال الخاصة التي تؤدي فيها، وعندما نبحت عن السرّ والمغزى الكامن وراء كل تلك المستحبات والأفعال نجد أن الحرمة والمكانة والعظمة التي تتمتع بها تلك الأماكن، هي العلة والسبب وراء هذا التأكيد الشرعي المتمثل بكثرة الأحكام والآداب التي تُحيط ببعض المواضع المعظمة، ومن تلك الأحكام والآداب:



١ . وجوب الإحرام لدخول مكة المكرمة.

٢ . حرمة القتال فيها، بحيث صار كل ظلم فيها إلحاداً، حتى شتم الخادم؛ وما ذلك إلا لحرمتها؛ ولأنها - بحسب أحد الأقوال - أشرف بقاع الأرض؛ لاختصاصها بالبيت الحرام المأمور بتقريب أركانها واستلامها، وأنها حرم الله وحرّم رسوله، وابتداء الوحي والإسلام فيها، وبها ولد سيّد البشر ﷺ، والوصي من بعده، واجتماع الناس والملائكة فيها في كلّ عام<sup>(١)</sup>.

٣ . أمان المعتصم: من الأحكام التي حدّتها الشريعة في تلك البقعة المقدّسة، هي الأمان لمن اعتصم بالحرم، عملاً بإطلاق قوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾<sup>(٢)</sup>، وصرّح قول الإمام الصادق عليه السلام في الغريم يطوف: «... تُسَلِّمُ عَلَيْهِ، وَلَا تُرْوَعُهُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الْحَرَمِ»<sup>(٣)</sup>. وقد قال بعض الأعلام: وألحق بعض الأصحاب مسجد النبي ﷺ والمشاهد المشرفة بالحرم<sup>(٤)</sup>.

٤ . حرمة دخول المجنب إلى المساجد، وألحقت بها بيوت الأئمة وهم أحياء، وهكذا المشاهد المقدّسة لهم عليه السلام.

ويمكن الاستدلال عليه - كما ذكر بعض الأعلام - بظاهر آية تعظيم شعائر الله، وبالأخبار الدالة على عدم جواز دخول الجنب بيوتهم أحياء، ولا ريب أنّ حرمتهم أموالاً كحرمتهم أحياء<sup>(٥)</sup>.

٥ . العقوبة زيادة عن الحدّ في الزنا، حيث يمثّل لذلك وقوعه في مكان شريف كالمسجد والحرم والمشاهد المشرفة<sup>(٦)</sup>؛ للدلالة على الاشتراك في الحرمة التي ينبغي مراعاتها.

(١) أنظر: الأحسائي، ابن أبي جمهور، الأقطاب الفقهية: ص ٩٣.

(٢) آل عمران: الآية ٩٧.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٢٤١.

(٤) أنظر: الكركي، علي بن الحسين، جامع المقاصد: ج ٥، ص ١٣.

(٥) أنظر: البحراني، يوسف، الحقائق الناطرة: ج ٣، ص ٥٤.

(٦) أنظر: الطباطبائي، علي، رياض المسائل: ج ١٣، ص ٤٩٥.



٦ . حرمة دخول الحائض للمسجد، وغيرها من الأحكام الأخرى الثابتة للمساجد في المقام؛ وذلك تعظيماً لهذه الأماكن وتقديساً لها.

وقد ألحق بالمساجد الضرائح المقدسة والمشاهد المشرفة، وهو لا يخلو من قوة، ويبيّن صاحب (الرسائل الفشاركية) وجه القوة في ذلك بوحدة المناط في الحكم، وهو شرف القبة، ويرى أنّ إلحاقها بالحرمين أقوى، ويؤيده ما دلّ من منع دخول الجنب عليهم عليهم السلام أحياءً، وحرمتهم أمواتاً كحرمتهم أحياءً<sup>(١)</sup>.

ويتبيّن ممّا تقدّم أنّ منشأ الحرمة بالنسبة للأماكن يعود إلى ما جرى فيها؛ ولهذا لِمَا دار البحث في تحديد أشرف موضع على وجه الأرض أخذ كلّ ذي رأي يسرد الوجوه المؤيدة لما يرى، واشتملت في جانب منها على موضع ولادة النبي والوصي أو دفنه، أو موضع قبر المعصوم عليه السلام ومدفنه.

ف قيل: إنّ مكة أشرف بقاع الأرض؛ لاختصاصها بالبيت الحرام المأمور بتقريب أركانها واستلامها، وأنها حرم الله وحرم رسوله، وابتداء الوحي والإسلام فيها، وبها وُلد سيّد البشر صلى الله عليه وآله والوصي عليه السلام.

وقيل: المدينة؛ لاستواء الإسلام وظهوره فيها، ولأمر الله نبيه بالمهاجرة إليها، وأوجبه على الكلّ، وكانت محلّ نصره، ومدفنه، ومحلّ أمره وعلوّ كلمته، ومجتمع أهل الصلاح، ومقام الأئمة عليهم السلام، وما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة.

وقال بعض: لا أرى لهذا الخلاف كثير فائدة. والظاهر: أنّ موضع قبر رسول الله صلى الله عليه وآله أشرف البقاع، ويتبعها باقي مواضع قبور الأئمة عليهم السلام، وبقاع أخرى غيرها خصّها الله بالفضل والشرف، متفاوتة فيه كالكوفة وبيت المقدس، والمشاهد المشرفة على ساكنيها السلام. وجاء في حائر الحسين مَرَجّحات<sup>(٢)</sup>.

(١) أنظر: الفشاركي، محمد، الرسائل الفشاركية: ص ٣٢٧.

(٢) أنظر: الأحسائي، ابن أبي جمهور، الأقطاب الفقهية: ص ٩٣.

## حرمة المرقد الطاهر لسيد الشهداء عليه السلام

لو عطفنا النظر إلى المراقد المقدسة للمعصومين عليهم السلام، ولا سيّما المرقد الطاهر لسيد الشهداء عليه السلام ستمثل أمامنا تلك الحرمة والمكانة بأجلى صورها؛ لعدة اعتبارات: أولها: وجود الجسد المبارك للمولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وكفى تلك البقعة الطاهرة فخراً أن يكون فيها. وإذا صار الحديث حول كربلاء، فالكلام يأخذ بالاتساع بسعة رقعة المعركة التي شهدت إراقة الدماء الطاهرة لشهداء كربلاء، وفي مقدّمتهم سيد الشهداء أبو عبد الله الحسين عليه السلام، حيث نقرأ في الزيارة: «طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم»<sup>(١)</sup>.

ثانيها: حضور الأرواح الزاكية للطاهرين؛ ولهذا ورد في بعض الزيارات التسليم على أنبياء أولي العزم عليهم السلام، وفي بعضها تبدأ بالسلام على الرسول وأمير المؤمنين والزهراء (سلام الله وصلواته عليهم)، ثم على أبي عبد الله عليه السلام وعلى ولده المعصومين عليهم السلام، كما في الزيارة المروية عن الإمام الصادق عليه السلام: «السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا خاتم النبيين، السلام عليك يا سيد المرسلين، السلام عليك يا حبيب الله. السلام عليك يا أمير المؤمنين، السلام عليك يا سيد الوصيين، السلام عليك يا قائد الغر المحجلين. السلام عليك يا ابن فاطمة سيّدة نساء العالمين، السلام عليك وعلى الأئمة من وُلدك، السلام عليك يا وصي أمير المؤمنين، السلام عليك أيها الصديق الشهيد»<sup>(٢)</sup>.

ثالثها: حضور الملائكة وإقامتهم في تلك البقعة الطاهرة، حيث يتم التسليم عليهم أيضاً كما في بعض الزيارات: «السلام عليكم يا ملائكة الله المقيمين في هذا المقام الشريف، السلام عليكم يا ملائكة ربّي المحدقين بقبر الحسين عليه السلام، السلام عليكم منّي أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار»<sup>(٣)</sup>.

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص ٧٢٣.

(٢) المصدر السابق: ص ٧١٩.

(٣) القمي، عباس، مفاتيح الجنان: ص ٦٢٩.





وقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «ما بين قبر الحسين عليه السلام إلى الساء السابعة مختلف الملائكة»<sup>(١)</sup>.

رابعها: دماء الشهداء الذين نالوا الشهادة معه (سلام الله عليهم جميعاً) وأجسادهم الطاهرة التي دُفنت في تلك البقعة المباركة.

خامسها: شهادة المعصوم عليه السلام على طيب تلك الأرض، إذ ورد عنه عليه السلام: «طبتم وطابت الأرض التي فيها دُفنتم»<sup>(٢)</sup>. وكذلك ورد في بعض الروايات التصريح بحرمتها كما في قول الزائر: «أشهد أنك طهر طاهر من طهر طاهر، طُهرت وطُهرت بك البلاد، وطُهرت أرض أنت بها، وطُهر حرمك...»<sup>(٣)</sup>.

سادسها: أن المرقد الشريف روضة من رياض الجنة، كما ورد في الخبر: عن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «موضع قبر الحسين عليه السلام منذ يوم دُفن فيه روضة من رياض الجنة»، وفي رواية أخرى: «... ترعة من ترع الجنة»<sup>(٤)</sup>. فلا بد أن تكون لهذا المكان حرمة ومكانة وقداصة بمقتضى امتيازته عن غيره وفضيلته.

من خلال هذه الجولة التي قمنا بها آنفاً، عرفنا المناطق في الأحكام الخاصة بالمسجد الحرام والمسجد النبوي وغيرهما، ولا حظنا إلحاق الكثير من الفقهاء المراقدين المطهرة لأهل البيت عليهم السلام بها؛ لوحدة المناطق، وهي حرمة تلك الأماكن وعظمتها وقداستها. هذا؛ ونلفت النظر هنا إلى مؤيد لما نحن فيه قد أورده بعض الأعلام، حيث جعل سبب حرمة المسجد هو اشتماله على مدفن معصوم أو نبي أو وصي، فقال: «أحق جملة من الأصحاب - منهم الشهيدان (قدس سرهما) - بالمساجد الضرائح المقدسة والمشاهد

(١) الصدوق، محمد بن علي، مَنْ لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٥٧٩.

(٢) القمي، عباس، مفاتيح الجنان: ص ٦٣٣.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٦٠.

(٤) أنظر: الصدوق، محمد بن علي، مَنْ لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٥٧٩.



المشرفة، وهو المحكي عن غرية المفيد، واستدل له بوجوب تعظيمها المنافي لدخول الجُنُب والحائض فيها، وبفحوى الحكم في المسجد، بناء على ما يُستفاد من النصوص من أنّ ملاك حرمة المسجد هو اشتماله على مدفن معصوم من نبيّ أو وصيّ، كما قيل: السرّ في فضل صلاة المسجد قبر لمعصوم به مستشهد. وبجملة من الأخبار الدالة على المنع من دخول الجُنُب في بيوتهم في حال حياتهم مع ما ثبت من أنّ حرمتهم أمواتاً كحرمتهم أحياء، وبالسيرة المستمرة على تجنّب المتورّعين - بل غيرهم - عن الدخول في مشاهدهم جُنُباً، بل لعلّ هذا معلوم عند العوام فضلاً عن الخواصّ<sup>(١)</sup>.

فإذا ثبت ذلك؛ تبيّن أنّ الحرمة في الحقيقة تنبع من حرمة وليّ الله، سواء لولادته أم شهادته أم مدفنه، وهذا ما يُفسّر تخصيص الشريعة الفرد المسلم بالحرمة والحصانة والأمان له، ونفيها عن الكافر الحربي والناصب العداء لأهل البيت عليه السلام، فلا حرمة لهم ولا لأموالهم؛ ما يؤكّد في النفس أنّ الحرمة بكلّ مخرجاتها وما يترتب عليها تتمحور حول شخصية وليّ الله المعصوم، والمتمثّل فيما نحن فيه بشخصية سيّد الشهداء عليه السلام.

من المؤيّدات والشواهد على ما نحن فيه بعض الآداب التي ذكرها الأعلام ووردت في الروايات عند زيارة القبور، كاستحباب خلع النعلين إذا دخل الزائر المقبرة<sup>(٢)</sup>، مع أنّ بعض الفقهاء يرى مقتضى الإطلاقات هو جواز المشي بين القبور مع النعل والخفّ ونحوهما، خصوصاً بعد إطلاق قوله عليه السلام: «يسمع قرع نعالهم...»<sup>(٣)</sup>، غير أنّه يعدل عن ذلك إلى القول بأنّ مقتضى الخضوع والتأدّب خلع النعل، لا سيّما مع خلع الإمام علي عليه السلام نعله في التشيع، فيكون بين القبور أولى<sup>(٤)</sup>. إنّ هذا الأدب

(١) الآملي، محمد تقى، مصباح الهدى في شرح العروة الوثقى: ج ٤، ص ١٤٤.

(٢) أنظر: كاشف الغطاء، جعفر، كشف الغطاء: ج ٢، ص ٣٠٠.

(٣) المتقى الهندي، علاء الدين علي، كنز العمال: ج ١٥، ص ٦٣٤.

(٤) أنظر: السبزواري، عبد الأعلى، مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام: ج ٤، ص ٢٦٢.



منشؤه احترام وتقديس قبور المؤمنين، فكيف إذا كان صاحب القبر هو حجة الله في أرضه على عباده؟

يُضاف إلى ذلك استحباب المشي حافياً بسكينة ووقار في الدخول للمسجد الحرام والطواف<sup>(١)</sup>. وهكذا فيما لو دخل المسجد للإحرام استحب له أن يدخله حافياً، وبسكينة ووقار<sup>(٢)</sup>، فقد ورد عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا دخلت المسجد الحرام، فادخله حافياً على السكينة والوقار والخشوع...»<sup>(٣)</sup>. بل يُستحب ذلك حتى في دخول مكة، كما جاء في تعبير العلامة الحلي، حيث قال: «... ودخول مكة من أعلاها حافياً بسكينة ووقار»<sup>(٤)</sup>.

ومن الواضح أن ذلك كله للتبجيل والتعظيم، وهذا يتحقق بصورة أشد وأكد في زيارة قبور المعصومين عليهم السلام، لا سيما قبر المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام الذي أريقت دماؤه على تلك الأرض؛ فأفاضت عليها القداسة.

ولما كان المرقد الطاهر له سلام الله عليه - وكذا لجميع المعصومين عليهم السلام - يمتاز بتلك الحرمة والعظمة والقداسة صار ذلك العمل تقديساً وتبجيلاً وتعظيماً لهم عليهم السلام، فيكون مشمولاً لإطلاق أدلة التعظيم. وقد ورد في الرواية التصريح بتلك الحرمة: «قلت: جعلت فداك، إني أريد أن أزوره، فكيف أقول؟ وكيف أصنع؟ قال: إذا أتيت أبا عبد الله عليه السلام فاغتسل على شاطئ الفرات، ثم البس ثيابك الطاهرة، ثم امش حافياً؛ فإنك في حرم من حرم الله ورسوله...»<sup>(٥)</sup>.

ومنه يفهم الحال بالنسبة للاستئذان عند دخول الأضرحة المقدسة، حيث يدخل هنا عنصر مهم في ضرورة هذا الأدب، وهو وجود المعصوم في ذلك المكان،

(١) أنظر: القاضي ابن البراج، المهذب: ج ١، ص ٢٤٤.

(٢) أنظر: الطوسي، ابن حمزة، الوسيلة: ص ١٧٧.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٤٠١.

(٤) العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، إرشاد الأذهان: ج ١، ص ٣٢٥.

(٥) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٦٣.

وحتى تتبين فلسفة الإذن في الزيارة بصورة أجلى، نتعرض لبيان الأدلة القائمة على الاستئذان في الدخول على المعصومين عليهم السلام وملاحظتها ضمن صورتين: الأولى: أيام حياتهم، والآخرة: بعد وفاتهم وعند زيارتهم.

### الاستئذان في الدخول على الإمام في حياته

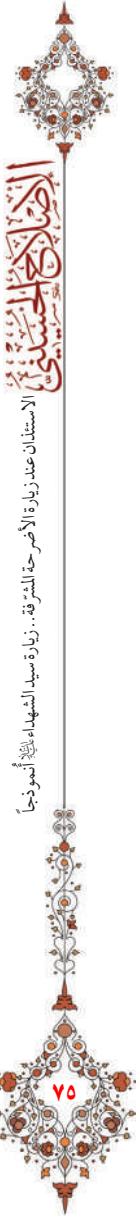
مما تسالم عليه في الشريعة الإسلامية وجوب الاستئذان عند الدخول على الآخرين؛ حفظاً لحرماتهم، وهذا الحكم في غاية الوضوح، بحيث لم يقع فيه خلاف بين فقهاء الإسلام على اختلاف مذاهبهم. ويعود منشأ هذا التسالم إلى ما يأتي من الأدلة:

#### الدليل الأول: القرآن الكريم

أ) قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعِذَّ بَكُمُ الَّذِينَ ءَمَنُوا وَأَلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَوةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَوةِ الْعِشَاءِ... (٥٨) وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذُّوا كَمَا اسْتَعِذَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ...﴾<sup>(١)</sup>.

لقد استدل بهاتين الآيتين على وجوب الاستئذان للدخول إلى بيوت الآخرين، حتى العبيد والأطفال الذين لم يبلغوا الحلم، مع فارق بسيط وهو تأكيد الاستئذان في بعض الأوقات المعينة؛ لأنها مظنة اختلال الستر وكشف العورة، وقد أشار بعض الأعلام إلى وجه التحديد والتخصيص بهذه الأوقات الثلاثة.

أما كلمة (مِنْكُمْ) في الآية الثانية من الآيتين أعلاه، فهي خطاب للأحرار؛ وذلك لأن بلوغ الأحرار قد يؤدي إلى رفع الحكم المذكور بتخصيص الاستئذان بالأوقات الثلاثة، أما بالنسبة لبلوغ الأرقاء، فالحكم باقٍ كما هو على التخصيص؛ لأجل بقاء



السبب المذكور، وهو الاحتياج إلى الخدمة والاستخدام. ومعنى (فَلَيْسَتْ أَذْنُوا)، أي: في جميع الأوقات. و(مِنْ قَبْلِهِمْ)، أي: كالذين بلغوا من قبلهم من الأحرار<sup>(١)</sup>.

ب) قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

تنهى هذه الآية عن الدخول إلى بيوت الآخرين بصورة عامة من دون استئذان، وبشكل مطلق، ويُفهم منها الحرمة، وبخصوص قوله: ﴿تَسْتَأْذِنُوا﴾، فلقد ذكر لهذه المفردة لغوياً معانٍ عدة، منها: ما عن الفراء أنه قال: الاستئناس في كلام العرب: النظر، يقال: اذهب فاستأنس هل ترى أحداً؟ فيكون معناه: هل ترى أحداً في الدار؟... واستأنس الرجل: استأذن وتبصر.

وقال الزجاج: معنى تستأنسوا في اللغة: تستأذنوا؛ ولذلك جاء في التفسير تستأنسوا: فتعلموا أيريد أهلها أن تدخلوا، أم لا؟

وقال الأزهري: قرأ أبي وابن مسعود (تستأذنوا) كما قرأ ابن عباس<sup>(٣)</sup>، فيكون استفعال من أنس الشيء إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً، والمعنى: حتى تستكشفوا وتستعلموا الحال، هل في الدار أحد؟ وهل يراد دخولكم أو لا<sup>(٤)</sup>؟

ويحصل الاستئناس بكل ما يُستعلم به الحال، من قبيل: التنحنح، أو وقع النعل، أو السلام، أو التكبير والتهليل، ونحو ذلك مما وضع له، كطرق الباب بوسائله المختلفة والمعاصرة.

ومن خلال هاتين الآيتين يتضح حال الاستئذان بالنسبة للمعصومين عليه السلام، إذ ليس لأحد أن يناقش في وجوبه وضرورته بعدما أثبتنا ذلك لمن هم دون

(١) أنظر: الفيض الكاشاني، محسن، الوافي: ج ٢٢، ص ٧٠٠.

(٢) النور: الآية ٢٧.

(٣) أنظر: الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط: ج ٢، ص ١٩٨.

(٤) أنظر: الكاشاني، الملا فتح الله، زبدة التفاسير: ج ٤، ص ٤٩٣.

المعصوم عليه السلام، فمما لا شك فيه أن الوجوب يتأكد ويشتد أكثر بالنسبة لهم؛ لتحقيق ملاك الوجوب فيهم بصورة أعمق وأشد.

ج) قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ...﴾<sup>(١)</sup>.

تندرج بيوت الأئمة عليهم السلام جميعها ضمن بيوت النبي صلى الله عليه وآله من باب التعميم؛ بلحاظ كونهم أهل بيته، وبلحاظ مقامهم ومنصبهم الإلهي، وهذا في الواقع ما صرحت به الروايات، فقد روى الصّفّار في كتابه (بصائر الدرجات) في الصحيح عن بكر بن محمد، قال: «خرجنا من المدينة نريد منزل أبي عبد الله عليه السلام، فلحقنا أبو بصير خارجاً من زقاق، وهو جُنّب ونحن لا نعلم، حتّى دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام، قال: فرفع رأسه إلى أبي بصير، فقال: يا أبا محمد، أما تعلم أنّه لا ينبغي لجُنّب أن يدخل بيوت الأنبياء والأوصياء؟ قال: فرجع أبو بصير ودخلنا»<sup>(٢)</sup>.

وروى الكشي بسنده عن بكير، قال: «لقيت أبا بصير المرادي، فقال: أين تريد؟ فقلت: أريد مولاك. قال: أنا أتبعك. فمضى فدخلنا عليه، وأحدّ النظر إليه، وقال: هكذا تدخل بيوت الأنبياء وأنت جُنّب؟! فقال: أعوذ بالله من غضب الله وغضبك، فقال: أستغفر الله ولا أعود»<sup>(٣)</sup>. وقد روى نحوه الشيخ المفيد في (الإرشاد)، ورواه في (كشف الغمّة) نقلاً عن دلائل الحميري<sup>(٤)</sup>.

### الدليل الثاني: الروايات

هناك روايات كثيرة دلّت على وجوب الاستئذان بشكل عامّ، مضافاً إلى الروايات التي أكّدت بشأن المعصومين عليهم السلام، ونكتفي في الاستدلال على خصوص

(١) الأحزاب: الآية ٥٣.

(٢) الصّفّار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات: ص ٢٦١.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ج ١، ص ٣٩٩.

(٤) أنظر: البحرائي، يوسف، الحقائق الناطرة: ج ٣، ص ٥٤.

الاستئذان العام بصحيح ابن قيس عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «**لَيْسَتْ زَيْنَةُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَفَاتٌ عَلَيْكُمْ**»، وَمَنْ بَلَغَ الْحُلُمَ مِنْكُمْ فَلَا يَلِجُ عَلَى أُمِّهِ، وَلَا عَلَى أُخْتِهِ وَابْنَتِهِ، وَلَا عَلَى مَنْ سِوَى ذَلِكَ إِلَّا بِإِذْنٍ»<sup>(١)</sup>.

وأما الاستئذان الخاص عند الدخول على المعصومين عليهم السلام، فنلاحظ التركيز عليه بشكل واضح، وإليك بعض الروايات في ذلك:

١. استأذن رجل على النبي صلى الله عليه وآله وهو في بيت، فقال: أألج؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله لخادمه: «أخرج إلى هذا وعلمه الاستئذان، فقل له يقول: السلام عليكم، أأدخل؟»<sup>(٢)</sup>.

٢. ما عن أبي جعفر عليه السلام، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله يريد فاطمة عليها السلام وأنا معه، فلما انتهيت إلى الباب وضع يده عليه فدفعه، ثم قال: «السلام عليكم». فقالت فاطمة: عليك السلام يا رسول الله. قال: أدخل؟ قالت: ادخل يا رسول الله. قال: أدخل أنا ومن معي؟ فقالت: يا رسول الله ليس عليّ قناع. فقال: يا فاطمة، خذي فضل ملحفتك فتنعي به رأسك. ففعلت، ثم قال: السلام عليكم. فقالت فاطمة: وعليك السلام يا رسول الله. قال: أدخل؟ قالت: نعم يا رسول الله. قال: أنا ومن معي؟ قالت: ومن معك. قال جابر: فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله ودخلت...»<sup>(٣)</sup>.

٣. ما جاء في الصحيح عن أبي حمزة الثمالي، قال: «كنت عند أبي جعفر عليه السلام إذ استأذن عليه رجل، فأذن له، فدخل عليه، فسلم فرحّب به أبو جعفر وأدناه وسأله...»<sup>(٤)</sup>.

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٥، ص ٥٣٠.

(٢) السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود: ج ٢، ص ٥١٣.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٥، ص ٥٢٩.

(٤) المصدر السابق: ص ٣٣٩.

٤ . ما رواه هارون بن موسى التلعكبري - أستاذ شيخنا المفيد (قدّس سرّهما) -  
عن عبد الله بن سنان، قال: «أردت الدخول على أبي عبد الله عليه السلام، فقال لي مؤمن  
الطاق: استأذن لي على أبي عبد الله عليه السلام، فدخلت عليه فأعلمته مكانه، فقال: لا  
تأذن له...»<sup>(١)</sup>.

٥ . ما عن علي بن أبي حمزة، قال: «كان لي صديق من كُتّاب بني أمّية، فقال: استأذن  
لي على أبي عبد الله عليه السلام، فاستأذنت له، فأذن له، فلما أن دخل سلّم وجلس، ثم  
قال...»<sup>(٢)</sup>.

يتّضح من هذه الروايات مدى التأكيد على استحصال الإذن القولي من  
المعصومين عليه السلام في الدخول عليهم، ما يكشف عن عظمة حرمة الأئمة عليهم السلام، بحيث  
لا يُكتفى باستفادة الإذن بطرق الباب، أو التنحج، أو التنعل، بل لا بدّ من إحراز  
الإذن القولي.

### الثالث: السيرة العقلانية

بناءً على ما سار عليه العقلاء في تعاملهم القائم على أساس بعض المرتكزات  
العقلانية، من قبيل أنّ لوجود الإنسان بُعدين: بُعد فردي، وآخر اجتماعي؛ ولهذا  
فله نوعان من الحياة: حياة خاصّة، وأخرى عامّة. ولكلّ واحدة منهما خصائصها  
وآدابها، حيث يضطرّ الإنسان في البيئة الاجتماعية إلى تحمّل قيود كثيرة من حيث  
اللباس والحركة، ومواصلة الإنسان حياته على هذا النسق وحده - خلال الأربع  
والعشرين ساعة - مُتعب يبعث على الضجر؛ إذ إنّه يرغب في أن يكون حرّاً خلال  
فترة من الليل والنهار ليستريح بعيداً عن هذه القيود، مع أسرته وبين أولاده؛ لهذا  
يلجأ إلى منزله الخاصّ به، وينعزل بذلك عن المجتمع بشكل مؤقت، ليتخلّص من  
قيوده، فيجب أن يكون مُحيط المنزل آمناً إلى حدّ كافٍ.

(١) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ٢٠٢.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٥، ص ١٠٦.





وأما إذا أراد كلّ عابر الدخول إلى منازل الآخرين، فلا تبقى حرمة لمنازل الناس، ويُسلب منها أمنها وحرّيتها، وبهذا تتحوّل إلى بيئة عامّة كالسوق والشارع. ولهذا السبب كانت بين الناس - على مرّ العصور - أعراف خاصّة في هذا المجال، حتّى أنّ جميع قوانين العالم تمنع الدخول إلى منازل الآخرين دون استئذان وتُعاقب عليه، وحتّى في حالات الضرورة القصوى، ولغرض حفظ الأمن - وغايات أخرى - قد أُجيز وفقاً للقانون لعدد قليل بالدخول إليها<sup>(١)</sup>.

مضافاً إلى ما أشار إليه النبي ﷺ في قصّة سمرة بن جندب حينما كان يدخل إلى عذقه في بيت الأنصاري دون أن يستأذنه، حيث قال له: (أنت رجل مضارب)، أو (لا ضرر ولا ضرار في الإسلام) حسب اختلاف الرواية. وكما أشرنا سابقاً أنّ هذه المرتكزات يتأكّد العمل بها في خصوص سادة البشر وحجج الله على الإنسانية جمعاء.

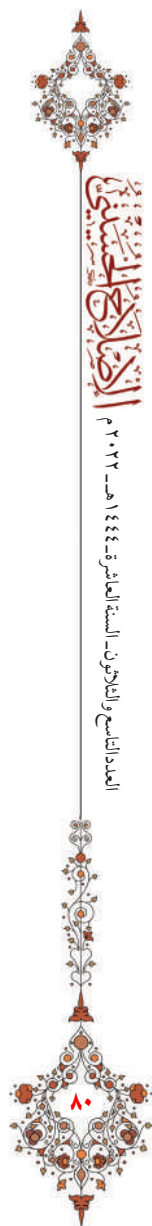
#### الرابع: سيرة المتشرّعة

يتأكّد أخذ الإذن بما سار عليه أصحاب الأئمّة ﷺ - كما نقلنا جانباً منه في الدليل الثاني - وقد اتّبعوا في ذلك سيرة النبي الأكرم ﷺ، وكيف كانت طريقتة في التعامل مع بيت ابنته الزهراء ﷺ، ونحو استئذانه منها. وهكذا سيرة جميع الأئمّة ﷺ، فقد روي عن أمير المؤمنين ﷺ أنّه قال: «كنت إذا جئت رسول الله استأذنت، فإن كان يصليّ سبّح، فعلمت فدخلت، وإن لم يكن يصليّ أذن لي فدخلت»<sup>(٢)</sup>.

وحتّى بعض الملائكة ما كان لهم الدخول على النبي ﷺ حتّى يستأذنوا، والمنقولات كثيرة في هذا المضمار، ومَن أراد التوسّع فليراجع الكتب الحديثية، ونكتفي بهذه الرواية التي اشتملت على ذكر الإمام الحسين ﷺ، فقد ورد عن أنس بن مالك: «أنّ عظيمًا عن عطاء الملائكة استأذن ربّه عزّ وجلّ في زيارة النبي ﷺ فأذن له، فبينما هو عنده إذ دخل عليه الحسين ﷺ، فقبله النبي ﷺ، وأجلسه في حجره، فقال له الملك:

(١) أنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في كتاب الله المنزل: ج ١، ص ٧٠.

(٢) المغربي، القاضي النعمان، دعائم الإسلام: ج ١، ص ١٧٢.





أَتَجِبُهُ؟ قال: أجل أشدَّ الحبِّ، إنَّه ابني. قال له: إنَّ أُمَّتَكَ ستقتله. قال: أُمَّتِي تقتل ابني هذا؟! قال: نعم، وإن شئتَ أريتكَ من التربة التي يُقتل عليها. قال: نعم. فأراه تربة حمراء طيبة الريح، فقال: إذا صارت هذه التربة دماً عبيطاً، فهو علامة قتل ابنك هذا<sup>(١)</sup>. ما تقدّم من أدلة كلّ في حكم الاستئذان عليهم حال حياتهم (صلوات الله عليهم أجمعين)، ولا حظنا تأكّد وجوبه، بل التركيز على وقوعه قولياً والردّ كذلك، وننتقل الآن إلى زمن وفاتهم وزيارة مراقدهم الشريفة لنستوضح الحال فيه.

### الاستئذان في الدخول على الإمام بعد وفاته

لا يختلف حال الاستئذان في مماتهم (صلوات الله عليهم) ودخول مشاهدتهم المقدّسة عمّا عليه الحال في حياتهم والدخول عليهم للقائهم؛ لتوفّر اعتبارات عدّة في هذا المقام، منها:

عدم الفرق بين حياتهم ومماتهم: فقد ورد بهذا الشأن ما يدلّ على ذلك بصراحة، كما في بعض الروايات التي تجعل حياة المعصوم ومماته واحدة، وبما أنّه ثبت عرفاً وسيرةً، وبحسب الآيات السابقة، ضرورة الاستئذان؛ صار الإذن في الزيارات بصورة عامّة أمراً راجحاً. ومن تلك الروايات التي تساوي بين الزيارة حال الحياة والممات: ما روي عن النبي ﷺ أنّه قال: «مَنْ زَارَنِي فِي حَيَاتِي أَوْ بَعْدَ مَوْتِي، فَقَدْ زَارَ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ»<sup>(٢)</sup>.

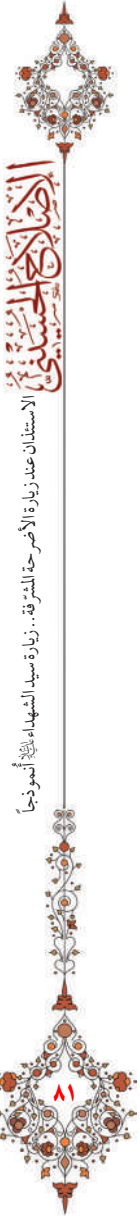
وما روي عن الإمام الحسين عليه السلام أنّه قال لجده رسول الله ﷺ: «يَا أَبَتَاهُ، مَا جَزَاء مَنْ زَارَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا بَنِيَّ، مَنْ زَارَنِي حَيّاً أَوْ مَيِّتاً، أَوْ زَارَ أَبَاكَ، أَوْ زَارَ أَخَاكَ، أَوْ زَارَكَ، كَانَ حَقّاً عَلَيَّ أَنْ أَزُورَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأُخَلِّصَهُ مِنْ ذُنُوبِهِ»<sup>(٣)</sup>.

وقال عليه السلام لأُمير المؤمنين علي عليه السلام: «مَنْ زَارَنِي فِي حَيَاتِي أَوْ بَعْدَ مَوْتِي، أَوْ زَارَكَ فِي

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص ٣١٤.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ٥٤٥.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه: ج ٢، ص ٥٧٧.



حياتك أو بعد موتك، أو زار ابنك في حياتها أو بعد مماتها، صمّنت له يوم القيامة أن أخلصه من أهوالها وشدائدها حتى أصيره معي في درجتي»<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث: أنه شهد أبو عبد الله عليه السلام عيداً بالمدينة، فانصرف، فدخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه، ثم قال لمن حضره: «لقد فضلنا أهل البلدان كلهم؛ مكة فما دونها؛ لسلامنا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»<sup>(٢)</sup>.

وروى الشيخ الطوسي رحمه الله في كتابه (التهذيب)، عن يزيد بن عبد الملك، عن أبيه، عن جده أنه قال: «دخلت على فاطمة سلام الله عليها فبدأتني بالسلام، ثم قالت: ما غدا بك؟ قلت: طلب البركة. قالت: أخبرني أبي وهو ذا هو، أنه من سلم عليه وعليّ ثلاثة أيام أوجب الله له الجنة. قلت لها: في حياته وحياتك؟ قالت: نعم، وبعد موتنا»<sup>(٣)</sup>.

لتأكد حياتهم عليهم السلام بعد وفاتهم؛ باعتبار أنهم شهداء، والشهداء - بصريح القرآن - أحياء يرزقون، وخير توضيح على هذا ما قاله الشريف المرتضى: «وقد نهى الله سبحانه عن القول بأن الشهداء أموات، وأخبر أنهم أحياء عند ربهم يرزقون، وقال بعد ذلك:

﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(٤)</sup>. هذا مع العلم حساً ومشاهدةً بموتهم، وكون أجسادهم

طريحة لا حياة فيها، مثل: جسم مولانا الحسين عليه السلام، وكونه بالطفّ طريحاً، وبقاء رأسه مرئياً محمولاً أياماً، وقد انضاف إلى هذا العلم الضروري شهادات الحجج عليهم السلام بأن الجسم الطريح جسمه والرأس المحمول رأسه... فإن كانت هذه الحياة المأمور بالقطع عليها على الفور، فهو دفع للضرورات وتكذيب المشاهدات والشهادات والمتناقضة نفسها، وإن كانت على التراخي وفي المعاد العام، ففيه بطلان ما اتفقت الطائفة (حرسها

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٧٩.

(٢) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٣٤٩.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٩.

(٤) آل عمران: الآية ١٧٠.

الله) عليه، بأنّ المسلم عند قبورهم مسموع الكلام مردود عليه الجواب؛ ولذلك يقولون عند زياراتهم: أشهد أنّك تسمع كلامي وتردّ جوابي»<sup>(١)</sup>.

بل راح بعض الفقهاء يلحق المشاهد المقدّسة لأهل البيت عليهم السلام بالحرم المكيّ في أمان من التجأ إليه، مستدلاً على ذلك بحياتهم عليهم السلام، فكما أنّ الذي يلتجئ إليهم وهم أحياء يكون ذلك أماناً له - ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾<sup>(٢)</sup> - كذلك فيما إذا التجأ أحد إلى مراقدهم عليهم السلام.

وقد أشار بعض العلماء إلى معنى حياتهم (سلام الله عليهم أجمعين) ضمن قصّة دارت أحداثها مع قاضي قضاة المدينة، خلال مُناظرة جرت بين أهلها وبينه، وذلك أنّه قال: أتم غالون؛ تستشفون بالنبي والإمام، وتقولون: إنهم أحياء... فقالوا في جوابه: «... إنّ هذه الأمور ليست غلوّاً في شأنهم؛ فإنّ المراد من حياتهم هو أنّهم بعد الموت يسمعون الكلام، ويطلعون على الحوادث والوقائع، كما تقول في زيارة الإمام أمير المؤمنين: (أشهد أنّك تسمع كلامي وتشهد مقامي)، وهذه المزايّا وإن لم تكن عادية يجدها كلّ الناس وعامّتهم، إلّا أنّها ليست من صفات الله الخاصّة به؛ لأنّ الاطلاع على الأمور والعلم بالحوادث حتّى بعد الموت ليس من صفات الباري تعالى»<sup>(٣)</sup>.

مضافاً إلى عبارات الزيارات الصريحة الدلالة على حياتهم، التي يعلمنا المعصوم عليه السلام فيها كيف نشهد على بعض العقائد كقولنا: وأعلم أنّ رسولك وخلفاءك عليهم السلام أحياء عندك يُرزقون، يرون مقامي، ويسمعون كلامي، ويردّون سلامي....

وقد وردت هذه العبارة وشبهاتها في العديد من زيارات الإمام الحسين عليه السلام والأئمّة الآخرين عليهم السلام، كمثّل زيارة أمير المؤمنين ومولى المتّقين عليه السلام التي جاء في نصّها:

(١) الشريف المرتضى، علي بن الحسين، رسائل الشريف المرتضى: ج ١، ص ٤٠٦.

(٢) التوبة: الآية ٦.

(٣) الكلبيكاني، محمد رضا، نتائج الأفكار: ج ١، ص ٢٠٢.

«أشهد أنك تسمع كلامي، وتشهد مقامي، وأشهد لك يا وليّ الله ووليّ رسوله بالبلاغ والأداء...»<sup>(١)</sup>.

### وجوه حكمية وأحكام مستوحاة من أدب الاستئذان

ثمة وجوه تُستفاد من هذا الأدب المؤكّد عند زيارة المعصومين عليهم السلام، والذي ورد نصّه في بعض زيارات سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، ومنها:

أولاً: تعظيم مقام الإمام الحسين عليه السلام ومكانته الإلهية، حيث يقف الزائر حال الاستئذان أمام مُقتداه وسيّده وشفيعه، فيستشعر عظمة هذا المشهد المقدّس، حيث ورد في الروايات حضور الأنبياء والرّسل عنده في مشهده.

ثانياً: إشعار الزائر بالحياء؛ لعلم الإمام به، وإحاطته بأعماله، وهذا ما أكّده الكثير من الروايات، وجاءت ألفاظه في الزيارات حينما يُعبّر الزائر: تسمعون كلامي، وترون مقامي. وانطلاقاً من عقيدته بعلم الإمام بصحيفته وما عليه حاله يشعر بالحياء عند طلب الدخول؛ لتقصيره، أو لذنوبه، أو لسوء سريرته وظلمة باطنه، فيستأذن من الإمام الحسين عليه السلام، بل والرسول صلى الله عليه وآله من قبله، ثم أمير المؤمنين عليه السلام، ثم الزهراء عليها السلام، وبعدهم ملائكة الله المقيمين في ذلك المشهد العظيم.

واللافت للنظر أنّ كثيراً من علمائنا ذكر علامة تدلّ على إعطاء الإذن والسماح له بالدخول، وهي انكسار القلب وخشوعه، وهي في الواقع علامة وأمانة ذكرها الإمام الصادق عليه السلام حينما علّم صفوان كيفية زيارة المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

ثالثاً: أنّ مرقّد الإمام الحسين عليه السلام يُعدّ بيتاً من بيوت النبي صلى الله عليه وآله - كما تقدّمت الإشارة إليه - والقرآن قد نهى عن الدخول إلى بيوت النبي صلى الله عليه وآله من دون إذن في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ...﴾<sup>(٢)</sup>؛

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص ٧٤٣.

(٢) الأحزاب: الآية ٥٣.

ما يكشف عن ضرورة رعاية هذا الأدب؛ لما فيه من تبجيل للنبي وأهل بيته عليه السلام وتكريم واحترام لهم، فمشهده ومشاهدهم كذلك؛ للروايات التي تؤكد دخول أهل البيت عليه السلام حقيقةً ضمن بيوت النبي صلى الله عليه وآله، فيكون مرقد سيّد الشهداء عليه السلام، بل مرقد جميع الأئمة عليه السلام من بيوت النبي التي يجب الاستئذان عند دخولها.

رابعاً: ما جرى عليه العُرف من وجود عادات وآداب خاصّة عند الدخول لأيّ مكان ذي شأن ومنزلة، وهذا ما صار متعارفاً اليوم بين الناس عند الحضور في التجمّعات الخاصّة، بل وحتى في التجمّعات العامّة، ويزداد الأمر أهميّة إذا كان الدخول على ذوي المكانة والشأن، حتّى يصل أعلى درجاته عند الدخول على الملوك والسلّاطين في هذه الدنيا، فكيف يجب أن يكون الحال بالنسبة للدخول على ملوك الآخرة، وشفعاء يوم الدين، ومن ضحّى بكلّ ما لديه في سبيل الدين مع شدّة إيمان وعقيدة الزائر؟!

فإذا كان ديدن الإنسان بالتعامل مع عظماء الدنيا هو التبجيل والاحترام والتقديس إلى درجة ألاّ يفتح فاهه ببنت شفة في محضرهم، بل يمتنع حتّى من النظر إلى وجوههم، فكيف بالزائر إذا أراد الدخول على عظيم من عظماء الآخرة؟! وأيّ عظيم! إنّه سيّد الشهداء عليه السلام.

خامساً: نظراً للاستئذان من آثار نفسية تربوية، حيث يؤثر بشكل واضح في روحية الزائر ويجعله يشعر بقيمة موقفه وفعله - وهو أمام شخصية حملت كلّ القيم الإنسانية والإسلامية، وضحت لأجلها بكلّ ما تملك - وما ينبغي له فعله، ويعيد إلى ذهنه شريط أفعاله وتصرفاته حتّى يدخل على الإمام مُحمّلاً بمعاني الرجاء وطلب الشفاعة.

سادساً: أنّ الاستئذان فعل وموقف يفرضه تقديس المزار وعرفان حرمة منزله، هذا العرفان الذي يقود الزائر إلى طلب الإذن والرخصة في الدخول للزيارة والدعاء.



وبعبارة أخرى: أن فرض الاستئذان على الزائر في المقام هو نتيجة الإحساس والشعور بحرمته المرقد الشريف، وضرورة رعاية الأدب عند صاحبه في جميع التصرفات؛ لأنه في حضرة رسول الله وأمير المؤمنين والزهراء البتول عليهن السلام وملائكة الله، وحجته سيّد الشهداء عليه السلام.

### ألفاظ الاستئذان الواردة في الروايات

لم ترد ألفاظ خاصّة ومعينة وبصياغة المعصوم عليه السلام عند الاستئذان للدخول إلى كلّ واحد من المراقد المقدّسة أثناء الزيارة، سوى ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام - ونقله الشيخ الطوسي في (مصباح المتجّد) - حينما سأله صفوان عمّا يفعله عندما يُريد زيارة المولى أبي عبد الله عليه السلام، حيث ورد فيها التصريح بطلب الإذن بالدخول بشكل واضح، حيث يقول الزائر بعد تسليمه على أبي عبد الله الحسين عليه السلام: «السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا بن رسول الله، عبدك وابن عبدك وابن أمتك، المقرّ بالرقّ، والتارك للخلاف عليكم، والموالي لوليّكم والمعادي لعدوّكم، قصد حرّمك، واستجار بمشهدك، وتقرب إليك بقصدك، أأدخل يا رسول الله؟ أأدخل يا نبيّ الله؟ أأدخل يا أمير المؤمنين؟ أأدخل يا سيّد الوصيّين؟ أأدخل يا فاطمة سيّدة نساء العالمين؟ أأدخل يا مولاي يا أبا عبد الله؟ أأدخل يا مولاي يا بن رسول الله؟»<sup>(١)</sup>.

كما نقل الشهيد الأوّل الكيفية نفسها مستفيداً ذلك من ذات الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام<sup>(٢)</sup>.

وأما الكيفية الخاصّة للاستئذان المعروفة والمشهورة في زيارات النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام، فيعود نقلها إلى القرن السادس، حيث وردت زيارة النبي صلى الله عليه وآله في (المزار)

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتجّد: ص ٧١٩.

(٢) المصدر السابق: ص ١٢٢.

للمشهدى، وذكرها من بعده الشهيد الأول في مزاره<sup>(١)</sup>، والكفعمي في مصباحه<sup>(٢)</sup>، وهي أن الزائر إذا أراد الدخول يقف على الباب ويقول: «اللهم إني قد وقفت على باب بيت من بيوت نبيك وآل نبيك (عليه وعليهم السلام)، وقد منعت الناس الدخول إلى بيوته إلا بإذن نبيك، فقلت: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا دَخُلُوا بِيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾. اللهم وإني أعتقد حرمة نبيك في غيبته كما أعتقد في حضرته، وأعلم أن رسلك وخلفاءك أحياء عندك يرزقون، يرون مكاني في وقتي هذا وزماني، ويسمعون كلامي، ويردّون عليّ سلامي، وأنت حجبت عن سمعي كلامهم، وفتحت باب فهمي بلذيد مناجاتهم. فإني أستاذنك يا ربّ أولاً، وأستاذن رسولك (صلواتك عليه) ثانياً، وأستاذن خليفتك المفروض عليّ طاعته في الدخول في ساعتى هذه إلى بيته، وأستاذن ملائكتك الموكلين بهذه البقعة المباركة المطيعة لله السامعة.

السلام عليكم أيّها الملائكة الموكلون بهذا المشهد المبارك ورحمة الله وبركاته. بإذن الله وإذن رسوله وإذن خلفائه وإذنكم (صلوات الله عليكم أجمعين)، أدخل هذا البيت متقرباً إلى الله بالله ورسوله محمد وآله الطاهرين، فكونوا ملائكة الله أعواني، وكونوا أنصاري حتى أدخل هذا البيت، وأدعو الله بفنون الدعوات، وأعترف لله بالعبودية، وللرسول ولأبنائه (صلوات الله عليهم) بالطاعة»<sup>(٣)</sup>.

ونقل الشهيد الأول في (مزاره) كيفية الإذن، وذلك في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام، بأن يقف الزائر على باب القبلة ويقول: «أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، جاء بالحق من عنده وصدّق المرسلين، السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا حبيب الله وخيرته من خلقه، السلام على أمير المؤمنين عبد الله وأخي رسول الله. يا مولاي يا أمير المؤمنين، عبدك وابن أمتك، جاءك مستجيراً بدمّتك، قاصداً إلى حرمك، متوجّهاً إلى مقامك، متوسّلاً إلى الله تعالى بك، أدخل يا

(١) أنظر: الشهيد الأول، محمد بن مكي، المزار: ص ٣٨.

(٢) أنظر: الكفعمي، إبراهيم، المصباح: ص ٤٧٣.

(٣) المشهدى، محمد بن جعفر، المزار: ص ٥٦.





رسول الله؟ أأدخل يا أمير المؤمنين يا حجة الله؟ أأدخل يا ملائكة الله المقيمين في هذا المشهد؟ يا مولاي، أتأذن لي بالدخول أفضل ما أذنت لأحد من أوليائك؟ فإن لم أكن له أهلاً، فأنت أهل لذلك»<sup>(١)</sup>.

وفي (المصباح): «فإذا أردت الدخول على النبي ﷺ أو أحد مشاهد الأئمة عليهم السلام، فتقول: اللهم إني وقفت على باب من أبواب بيوت نبيك (صلواتك عليه وآله)، وقد منعت الناس أن يدخلوا إلا بإذنه، فقلت: ﴿يَتَأَيَّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَدْخُلُوا بِيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾. اللهم إني (أعتقد) اعتقدت حرمة صاحب هذا المشهد الشريف في غيبته كما أعتقدها في حضرته، وأعلم أن رسولك وخلفاءك عليهم السلام أحياء عندك يُرزقون، يرون مقامي، ويسمعون كلامي، ويردّون سلامي، وأنك حجبت عن سمعي كلامهم، وفتحت باب فهمي بلذيت مناجاتهم، وإني أستأذنك يا ربّ أولاً، وأستأذن رسولك ﷺ ثانياً، وأستأذن خليفتك الإمام المفترض عليّ طاعته - وتسميه باسمه واسم أبيه - والملائكة الموكلين بهذه البقعة المباركة ثالثاً، أأدخل يا رسول الله؟ أأدخل يا حجة الله؟ أأدخل يا ملائكة الله المقربين المقيمين في هذا المشهد؟ فأذن لي يا مولاي في الدخول أفضل ما أذنت لأحد من أوليائك، فإن لم أكن أهلاً لذلك، فأنت أهل لذلك.

ثم قبل العتبة، وادخل وقل: بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله ﷺ، اللهم اغفر لي وارحمني وتب عليّ، إنك أنت التواب الرحيم»<sup>(٢)</sup>.

وتناقلت هذه النصوص كتب الأدعية والزيارات، وتداولتها حتى بعض الكتب الفقهية، لا سيما في تعرّضها للأحكام المتعلقة بمناسك الحجّ وزيارة الروضة النبوية المباركة في المدينة<sup>(٣)</sup>.

(١) الشهيد الأول، محمد بن مكي، المزار: ص ٣٨.

(٢) الكفعمي، إبراهيم، المصباح: ص ٤٧٣.

(٣) أنظر: الكلبيكاني، محمد رضا، مناسك الحجّ: ص ١٨٧. السبزواري، عبد الأعلى، مهذب

الأحكام: ج ١٥، ص ٣٩. الفيّاض، محمد إسحاق، مناسك الحجّ: ٢٦٠.



وفي (مفاتيح الجنان) يذكر نحوين للاستئذان: أولهما: نفس ما تقدّم بيانه، وثانيهما: الاستئذان الذي رواه المجلسي عن نسخة قديمة من مؤلفات الأصحاب للدخول في السرداب المقدّس، وفي البقاع المنوّرة للأئمة عليهم السلام، وهو أن يقول: «اللهم إنّ هذه بقعة طهرتها، وعقوة شرّفتها، ومعالم زكّيتها، حيث أظهرت فيها أدلّة التوحيد، وأشباح العرش المجيد، الذين اصطفيتهم ملوكاً لحفظ النظام، واخترتهم رؤساء لجميع الأنام، وبعثتهم لقيام القسط في ابتداء الوجود إلى يوم القيامة، ثمّ مننت عليهم باستنابة أنبيائك؛ لحفظ شرائعك وأحكامك، فأكملت باستخلاصهم رسالة المنذرين، كما أوجبت رئاستهم في فطر المكلفين، فسبحانك من إله ما أرأفك، ولا إله إلا أنت من ملك ما أعدلك، حيث طابق صنعك ما فطرت عليه العقول، ووافق حكمك ما قرّرته في المعقول والمنقول، فلك الحمد على تقديرِكَ الحسن الجميل، ولك الشكر على قضائك المعلّل بأكمل التعليل.

فسبحان مَنْ لا يُسأل عن فعله ولا يُنازع في أمره، وسبحان مَنْ كتب على نفسه الرحمة قبل ابتداء خلقه، والحمد لله الذي منّ علينا بحكّام يقومون مقامه لو كان حاضراً في المكان، ولا إله إلا الله الذي شرّفنا بأوصياء يحفظون الشرائع في كلّ الأزمان، والله أكبر الذي أظهرهم لنا بمعجزات يعجز عنها الثقلان.

لا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم، الذي أجرنا على عوائده الجميلة في الأمم السالفين، اللهم فلك الحمد والثناء العليّ كما وجب لوجهك البقاء سرمدي، وكما جعلت نبينا خير النبيّين، وملوكنا أفضل المخلوقين، واخترتهم على علم على العالمين، وفقنا للسعي إلى أبوابهم العامرة إلى يوم الدين، واجعل أرواحنا تحنّ إلى موطنهم، وأقدامهم، ونفوسنا تهوى النظر إلى مجالسهم وعرصاتهم؛ حتّى كأننا نخاطبهم في حضور أشخاصهم، فصلّى الله عليهم من سادة غائبين، ومن سلالة طاهرين، ومن أئمة معصومين.



اللهم فأذن لنا بدخول هذه العرصات التي استعبدت بزيارتها أهل الأرضين والسموات، وأرسل دموعنا بخشوع المهابة، وذلل جوارحنا بذل العبودية وفرض الطاعة، حتى نقر بما يجب لهم من الأوصاف، ونعترف بأنهم شفعاء الخلائق إذا نُصبت الموازين في يوم الأعراف، والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين<sup>(١)</sup>.

## الخاتمة

بهذا نصل إلى ختام بحثنا الذي بينا فيه معنى الاستئذان لغةً واصطلاحاً، وابتدأنا فيه بذكر التعريف الفقهي له، ومنه انتقلنا إلى معناه في المجال الأخلاقي وميدان الأدب والتأدب، وبيننا فرقه عن الاستئذان الفقهي، الذي يتلخص بنقصان أحد أركانه؛ وعلى هذا وجدنا من الضروري أن نُحدّد المناط الذي يدور مداره لزوم الاستئذان في دخول مرقد أولياء الله المعصومين عليهم السلام، وذلك عبر إجراء مقارنة بين الآداب والأحكام التي جعلتها الشريعة للأماكن المقدّسة، كالكعبة والمسجد الحرام والمسجد النبوي، بل المساجد بصورة عامّة، وحتى قبور المؤمنين من جهة، ومرقد الأئمة الأطهار عليهم السلام من جهة أخرى، وثبت سريانها فيها أيضاً بحسب ما ذهب إليه العلماء، وإلحاقهم المرقد المقدّسة بها.

وبعد إثبات الوجه المشترك بينها جميعاً، المتمثل بالحرمة والقداسة تبيّن من خلال أقوال بعض الأعلام أنّ وجه الحرمة والقداسة والتعظيم نابع - حتى في المساجد - من وجود الأجساد الطاهرة لرسول أو نبيّ أو وصيّ فيها، وذكرنا مجموعة من الاعتبارات الخاصّة لعظمة حرمة مرقد المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام كمؤيّدات لما نحن فيه.

وحتى نقف على فلسفة الاستئذان في زيارة الإمام الحسين عليه السلام قمنا بداية بملاحظة حكم الاستئذان للدخول عليهم أيام حياتهم، وتأكيد عدم الاكتفاء

(١) القمي، عباس، مفاتيح الجنان: ص ٤٧٦-٤٧٨.

فيه بالأمارات كالتنحج وغيره، حيث يظهر وجوب الإذن والاستئذان القوليين بصورة واضحة، وذكرنا الأدلة عليه من القرآن الكريم والروايات والسيرة العقلية والمشرعية.

وبعد انتقلنا إلى بيان حال الاستئذان عليهم بعد مماتهم المتمثل بزيارة أضرحتهم المقدسة، وأوضحنا عدم الفرق في ضرورته بين الحالتين، لكنه في حياتهم واجب شرعاً، وإعطاء الإذن والرخصة خلالها يكون قولياً، وبعد مماتهم يكون واجباً أخلاقياً، ومن مقتضيات الأدب والاحترام، ولا يتوقف على الرخصة القولية، وسقنا مجموعة من الوجوه التي تثبت عدم الفرق بين الحالتين في ضرورة الاستئذان من خلال الروايات صريحة الدلالة على ذلك، ومن خلال إثبات الحياة لهم؛ باعتبارهم من الشهداء، بل سادتهم على الإطلاق.

ولما فرغنا من ذلك عمدنا إلى بيان مجموعة من الوجوه الحكيمة المستوحاة من أدب الاستئذان في زيارات سيد الشهداء (سلام الله عليه)، وانتهينا - في آخر المطاف - بذكر ألفاظ الاستئذان الواردة في الزيارات المروية ومصادرها الأولية بصورة موجزة.

## المصادر والمراجع

\* القرآن الكريم.

١. اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، أبو جعفر محمد بن الحسن الشيخ الطوسي، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المقدسة - إيران، ١٤٠٤ هـ.
٢. إرشاد الأذهان، الحسن بن يوسف بن المطهر العلامة الحلي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.
٣. الأقطاب الفقهية، ابن أبي جمهور الأحسائي، نشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المقدسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.



- ٤ . الأمالي، أبو جعفر محمد بن الحسن الشيخ الطوسي، قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، نشر: دار الثقافة، قم المقدسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
- ٥ . الأمالي، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي الشيخ الصدوق، قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم المقدسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
- ٦ . الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، نشر: مدرسة أمير المؤمنين عليه السلام، قم المقدسة - إيران، الطبعة الثانية.
- ٧ . بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، مؤسسة الأعلمي، طهران - إيران، ١٣٦٢ ش / ١٤٠٤ هـ.
- ٨ . تذكرة الفقهاء، الحسن بن يوسف بن المطهر العلامة الحلي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
- ٩ . تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسة - إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.
- ١٠ . تهذيب الأحكام، أبو جعفر محمد بن الحسن الشيخ الطوسي، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، الطبعة الثالثة، ١٣٩٠ هـ.
- ١١ . جامع المقاصد، علي بن الحسين المحقق الكركي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.
- ١٢ . الخدائق الناضرة، المحقق يوسف البحراني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة - إيران، نشره الشيخ علي الآخوندي.
- ١٣ . دعائم الإسلام، النعمان بن محمد القاضي المغربي، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، نشر: دار المعارف، القاهرة - مصر، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م.
- ١٤ . رسائل الشريف المرتضى، علي بن الحسين الشريف المرتضى، نشر: دار القرآن الكريم، قم المقدسة - إيران، ١٤٠٥ هـ.

١٥ . الرسائل الفشاركية، محمد الفشاركي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين قم المقدّسة - إيران، ١٤١٣ هـ.

١٦ . رياض المسائل، السيّد علي الطباطبائي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.

١٧ . سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.

١٨ . العناوين الفقهية، مير عبد الفتّاح الحسيني المراغي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة - إيران، ١٤١٧ هـ.

١٩ . فقه اللغة وسرّ العربية، عبد الملك الثعالبي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م.

٢٠ . القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي.

٢١ . الكافي، ثقة الإسلام أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨ ش.

٢٢ . كامل الزيارات، جعفر بن محمد ابن قولويه القميّ، مؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة نشر الفقاهة، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.

٢٣ . كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، الشيخ جعفر كاشف الغطاء، تحقيق: مكتب الإعلام الإسلامي فرع خراسان، خراسان - إيران، قسم إحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ / ١٣٨٠ ش.

٢٤ . كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م.

٢٥ . لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، نشر: أدب الحوزة، قم المقدّسة - إيران، ١٤٠٥ هـ / ١٣٦٣ ش.

٢٦ . المزار الكبير، محمد بن جعفر بن علي المشهدي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ.



- ٢٧ . المزار، محمد بن مكي العاملي الشهيد الأول، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.
- ٢٨ . مصباح المتهجد، أبو جعفر محمد بن الحسن الشيخ الطوسي، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م.
- ٢٩ . المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
- ٣٠ . مصباح الهدى في شرح العروة الوثقى، محمد تقي الآملي، المطبعة: فردوسي، إيران، الطبعة الأولى، ١٣٧٧ هـ / ١٣٣٧ ش.
- ٣١ . المصباح، إبراهيم بن علي الكفعمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠ هـ / ١٩٨٣ م.
- ٣٢ . معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدسة - إيران، ١٤٠٤ هـ.
- ٣٣ . مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي، نشر: مكتبة العزيزي، مطبعة البعثة، قم المقدسة - إيران، الطبعة الثالثة، ١٣٨٥ ش / ٢٠٠٦ م.
- ٣٤ . مفردات ألفاظ القرآن، محمد الراغب الإصفهاني، طليعة النور، إيران، الطبعة الثانية، ١٤٢٧ هـ.
- ٣٥ . من لا يحضره الفقيه، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي الشيخ الصدوق، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة - إيران، الطبعة الثانية.
- ٣٦ . مناسك الحج، محمد إسحاق الفياض، نشر: مكتبة العزيزي، مطبعة أمير، نشر: عزيزي، قم المقدسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.
- ٣٧ . مناسك الحج، محمد رضا الكلبايكاني، دار القرآن الكريم، قم المقدسة - إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ.

٣٨ . مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام، عبد الأعلى السبزواري، مؤسسة المنار، الطبعة الرابعة، ١٤١٣ هـ، مطبعة فروردين، نشر: مكتب آية الله العظمى السيد السبزواري رحمته الله.

٣٩ . المهذب، عبد العزيز القاضي ابن البراج، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة - إيران، ١٤٠٦ هـ.

٤٠ . نتائج الأفكار، محمد رضا الكلبيكاني، دار القرآن الكريم، قم المقدسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.

٤١ . الوافي، محمد محسن الفيض الكاشاني، مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامة، أصفهان - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.

٤٢ . الوسيلة إلى نيل الفضيلة، محمد بن علي الطوسي المعروف بابن حمزة، الوسيلة، مطبعة الحثام، قم المقدسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.







**مفهوم الجهاد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام**  
**دراسة تحليلية**

الشيخ حبيب عبد الواحد الساعدي  
مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية/ العراق

**The Concept of Jihad in the Ziyara-texts**  
**of Imam al-Husayn (PBUH)**  
**– An Analytical Study**

**Dr. Shaykh Habib Abd al-Wahid al-Saidi**  
The Warith al-Anbiya Institute for Specialized Studies  
on the Uprising of Imam al-Husayn (PBUH), Iraq



## ملخص البحث

يُعدّ الجهاد من أهمّ أركان الإسلام ودعائمه، وهو الدرع الحصين الذي يضمن للإسلام حياته واستمراره. ويُشكّل الجهاد العمود الفقري لنهضة عاشوراء؛ ومن هذا المنطلق يُطرح السؤال الآتي: ما هي حقيقة الجهاد؟ وما هي حدوده ومراحله في ضوء نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام؟

وهذا المقال يحاول الإجابة عن السؤال الآنف الذكر من خلال تتبع نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام وفقراتها المشتملة على لفظة الجهاد ودراستها دراسة تحليلية وصفية، وبعد دراسة معمّقة توصّلنا إلى أنّ الجهاد في نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام لا يقتصر على القتال في سبيل الله، بل هو أوسع من ذلك، فيشمل جهاد النفس والشيطان، وجهاد الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس. كما يُستفاد من نصوص الزيارات أنّ جهاد الإمام الحسين عليه السلام والمعصومين عليهم السلام هو أعلى مراتب الجهاد، وهو الجهاد في سبيل الله حقّ جهاده.

الكلمات المفتاحية: الجهاد، حقّ الجهاد، زيارات الحسين عليه السلام، جهاد النفس والشيطان، جهاد الدعوة، جهاد المال، الجهاد القتالي.

## Abstract

Jihad is one of the most important pillars and foundations of Islam. It is the strong shield that guarantees the durability and continuity of Islam. Moreover, it constitutes the backbone of the uprising of Ashura. Thus, the following question arises: What is the reality of Jihad? What are its limits and stages in the light of the Ziyara-texts related to Imam al-Husayn (PBUH)?

This study attempts to answer the aforementioned question by scrutinizing the Ziyara-texts related to Imam al-Husayn (PBUH) and the sections containing the word Jihad and studying them analytically and descriptively. After an in-depth study, it is concluded that Jihad in the Ziyara-texts related to Imam al-Husayn (PBUH) is not limited to fighting for the sake of Allah, it is rather broader than that. It includes the Jihad against oneself and Satan, the Jihad of calling to the path of Allah with wisdom and good advice, and the Jihad with wealth and self for the sake of Allah. These Ziyara-texts also reflect that the Jihad of Imam al-Husayn (PBUH) and the Infallibles (PBUT) is the highest level of Jihad, and the true Jihad for the sake of Allah.

**Keywords:** Jihad, the right of Jihad, Ziyara of al-Husayn (PBUH), Jihad against oneself and Satan, Jihad of propagation, Jihad of wealth, military Jihad.

## المقدمة

اشتملت نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام على مضامين عميقة وتعاليم مهمة، ركزت على عناوين أساسية في الدين، كالاصطفاء، والوصاية، والإمامة، ووراثه الأنبياء، والطواغيت والظلمة، والتبرّي والتوليّ، ومن جملة أهمّ العناوين التي تناولتها زيارات الإمام الحسين عليه السلام مفهوم الجهاد في سبيل الله تعالى، الذي عدّ من أهمّ دعائم الدين، وقد ورد تأكيده والحثّ عليه في القرآن الكريم.

وعنوان الجهاد في سبيل الله بحاجة إلى دراسة في ضوء نصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام، لا سيّما وأنّ قوام نهضة الإمام الحسين عليه السلام وعمادها هو الجهاد في سبيل الله؛ لذا انعكس ذلك على نصوص الزيارة، فنلاحظ أنّ زيارته عليه السلام تناولت - بكثرة - هذه المفردة في فقرات مختلفة ومتعدّدة.

قد يُتصوّر في بادئ النظر أنّ مفردة الجهاد تعني القتال في سبيل الله عزّ وجلّ، ولكنّ هذا الفهم السطحي لمفهوم الجهاد في سبيل الله يزول حينما نلاحظ استعمالات هذه المفردة في نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام، وحتى في آيات القرآن الكريم؛ فإنّ القتال في سبيل الله هو آخر مراحل الجهاد في سبيل الله؛ ومن هنا مسّت الحاجة إلى دراسة هذا المفهوم وتحليله في نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام، وكذا في الفقرات والمقاطع التي تناولت مفردة الجهاد في سبيل الله.

ويمكن في ضوء هذه الفقرات والمقاطع الواردة في زيارات الإمام الحسين عليه السلام المشتملة على مفردة الجهاد، تحليل هذا المفهوم وتبيين معانيه ومراحله وأهدافه، ويمكن في ضوء نصوصها التعرّف على حقيقة جهاد الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، وفي الوقت نفسه نستطيع أن نستلهم دروس الجهاد وتعاليمه من فقرات الزيارة التي وردت فيها هذه المفردة.

وهذا يعني أنّنا سندرس مفهوم الجهاد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام في ثلاثة محاور:



المحور الأول: تحليل معنى الجهاد، وبيان مراحل، وأهدافه، في ضوء نصوص الزيارة.

المحور الثاني: بيان نوعية جهاد الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه في ضوء نصوص الزيارة.

المحور الثالث: الدروس والتعاليم المستوحاة من نصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام التي تناولت مفهوم الجهاد.

### المحور الأول: تحليل مفهوم الجهاد، ومراحله، وأهدافه، في ضوء نصوص زيارته عليه السلام

سنركّز في هذا المحور على تحليل مفهوم الجهاد ومراحله وأهدافه في ضوء نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام؛ لما في ذلك من فائدة في فهم جهاده عليه السلام وأصحابه، وفي كيفية أخذ الدروس والعبر من ذلك الجهاد في حياة الإنسان الموالي والمتأسّي بالحسين عليه السلام؛ وهذا ما يستدعي البحث في ثلاث نقاط:

#### النقطة الأولى: تحليل معنى الجهاد في ضوء نصوص الزيارة

إذا لاحظنا نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام نجد أنّها تعرّضت لعدّة نماذج من الجهاد، وهذه النماذج متقاربة من حيث المعنى، وفيما يلي إشارة إجمالية إليهما مع ذكر فقرات الزيارة التي تدلّ عليها:

النموذج الأول: الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته، بمعنى استخدام جميع الوسائل، وبذل كلّ الجهود من أجل نصرّة دين الله تعالى وإعلاء كلمته، وهذا ما تُشير إليه بعض فقرات زيارات الحسين عليه السلام، كقوله: «وجاهدت في سبيله حتّى أتاك اليقين»<sup>(١)</sup>. أي جاهدت بكلّ وسيلة من وسائل الجهاد في سبيل الله تعالى حتّى قُتلت شهيداً. وقد جاء بحق أصحاب الحسين عليه السلام: «أشهد أنّكم قد جاهدتم في سبيل الله»<sup>(٢)</sup>.

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ج ٢، ص ٧٨٩.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٧٣. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٧٥، الزيارة المروية عن الكناسي.

النموذج الثاني: جهاد التبيين والدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة، فقد ورد في نصوص الزيارات ما يُشير إلى هذا النموذج من الجهاد، كقوله: «وجاهدت في سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة»<sup>(١)</sup>.

ولم يرد هذا النموذج من الجهاد في الزيارات فحسب، بل ورد ما يدل عليه في القرآن الكريم أيضاً، كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَطْعَمُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>، أي: جاهدكم ببيان القرآن.

النموذج الثالث: الجهاد في سبيل الله حقّ جهاده، كما ورد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام مخاطباً الأئمة عليهم السلام «وجاهدتم في الله حقّ جهاده، حتّى أتاكم اليقين»<sup>(٣)</sup>.  
وورد الخطاب بحقّ الإمام الحسين عليه السلام فقط: «وجاهدت في الله حقّ جهاده... حتّى أتاك اليقين»<sup>(٤)</sup>.

ولم يُخاطَب بهذا النوع من الجهاد إلا الأئمة المعصومون عليهم السلام، فهو يُعدّ من مختصّاتهم عليهم السلام، فلا يُخاطَب به غيرهم.

ولم يرد هذا النوع من الجهاد في الزيارات فحسب، بل ورد في القرآن الكريم أيضاً؛ حيث قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ...﴾<sup>(٥)</sup>، وقد ذكرت بعض التفاسير - استناداً لروايات أهل البيت عليهم السلام - أنّ هذا النوع من الجهاد خاصّ بالأئمة عليهم السلام<sup>(٦)</sup>.

النموذج الرابع: الجهاد في ميدان الحرب والقتال بالسلاح في يوم عاشوراء؛

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٩١، وهي الزيارة المروية عن بيّاع السابري.

(٢) الفرقان: الآية ٥٢.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ٣، ص ٧٠.

(٤) المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص ١٠٦.

(٥) الحجّ: الآية ٧٨.

(٦) القمّي، علي بن إبراهيم، تفسير القمّي: ج ٢، ص ٨٨.



حيث إنَّ الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه جاهدوا في ميدان الحرب، وقتلوا الأعداء بالسيف، وإليه يُشير النصُّ الوارد في زيارة الأربعين: «فجاهدكم فيك صابراً محتسباً حتّى سفك في طاعتك دمه»<sup>(١)</sup>.

كما يُشير إلى هذا النوع من الجهاد الفقرة التي وردت في إحدى زيارات الإمام الحسين عليه السلام، وهي: «أشهد أنّه قاتل معك ربّيون كثير»<sup>(٢)</sup>. وهذا النوع من الجهاد هو الجهاد الاصطلاحي الذي يُبحث عنه في الفقه.

وهذا يعني أنّ نماذج الجهاد التي تعرّضت لها فقرات زيارات الإمام الحسين عليه السلام هي عبارة عن: الجهاد في سبيل الله بالمعنى العامّ بشتّى وسائل الجهاد وأدواته. جهاد الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة. الجهاد في الله حقّ جهاده، الذي هو مرتبة عالية منه تختصّ بالأئمة المعصومين عليه السلام. الجهاد بالمعنى الاصطلاحي له، وهو القتال بالسلاح في ميدان الحرب.

### النقطة الثانية: أنواع الجهاد في ضوء نصوص الزيارة

إذا ألقينا نظرة على نصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام لوجدنا أنّها تتعرّض إلى عدّة أنواع من الجهاد في سبيل الله، فهي تُشير إمّا تلويحاً وإمّا تصرّيحاً إلى تلك المراحل، وفيما يلي إشارة مختصرة إليها:

١. جهاد الشيطان: يُعرّف لنا القرآن الكريم أنّ الشيطان عدوّ للإنسان: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾<sup>(٣)</sup>، فيجب مجاهدة الشيطان ومحاربتة وعدم اتّباع خطواته، وأنّ من نتائج مجاهدة الشيطان وغلبته والانتصار عليه، الانتماء إلى صفّ الأولياء والأوصياء والدفاع عنهم، كما حصل لأصحاب الإمام الحسين عليه السلام.

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ج ٢، ص ٧٨٩.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٨٧. الزيارة المروية عن أبي بصير، عن بعض أصحابنا، عن الصادق عليه السلام.

(٣) فاطر: الآية ٦.



كما أنَّ من نتائج ترك جهاد الشيطان والاستسلام له الانتفاء إلى أئمة الكفر والطغاة وسلاطين الجور، فيُصبح في حزب الشيطان كما عبّر القرآن الكريم، ولذا جاء لعن الطغاة وسلاطين الجور وأعوانهم بلعنة الله التي لعن بها الشيطان الرجيم: «وافتح لهم وعليهم... لعناتك التي لعنت بها كلّ ظالم... وكلّ شيطان رجيم»<sup>(١)</sup>.

وورد في زيارة أخرى لعنهم أيضاً بوصفهم شياطين الإنس وشرك الشيطان، كما في قوله: «وأعوذ بك من... شرّ شياطين الجنّ والإنس... ومن شرّ كلّ ذي شرّ وشرك إبليس»<sup>(٢)</sup>.

فالطغاة إنّما أقدموا على قتل الإمام الحسين عليه السلام؛ لأنّهم اتّبعوا خطوات الشيطان، بل استحوذ عليهم كما قال الإمام الحسين عليه السلام: «استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم»<sup>(٣)</sup>.

إذاً؛ فهذه هي المرحلة الأولى من مراحل الجهاد في سبيل الله المستفادة من نصوص الزيارة.

٢ . جهاد النفس والهوى: هذه المرحلة الثانية من الجهاد، ومن فوائد الانتصار على النفس والهوى هو الدخول في حزب الله، والانتفاء إلى أوصياء الله وأوليائه، والدفاع عنهم بالقول والفعل والسلاح. وهذا ما صنعه أصحاب الإمام الحسين عليه السلام؛ حيث جاهدوا أنفسهم وفازوا في هذا الجهاد، فأصبحوا في صفّ أنصار الله ورسوله وأهل بيته: «السلام عليكم يا أولياء الله وأحبّاءه... السلام عليكم يا أنصار أبي عبد الله»<sup>(٤)</sup>.

(١) النوري، الميرزا حسين، مستدرک الوسائل: ج ١٠، ص ٣٠٨.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٩٥ - ٣٩٦.

(٣) ابن شهر آشوب المازندراني، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٤٩.

(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص ٧٢٢.

ومن نتائج الخسارة في معركة النفس والهوى الانخراط في صف الظلمة وأعدائهم والدفاع عنهم قولاً وعملاً: «وقد توازر عليه مَنْ غرته الدنيا... وتردى في هواه، وأطاع من عبادك أهل الشقاق والنفاق، وحملة الأوزار المستوجبين النار»<sup>(١)</sup>. وهاتان المرحلتان من الجهاد مهمتان جداً ومصيريتان؛ لأن الانتصار في هاتين المرحلتين من الجهاد يعني الانتماء إلى صف الأوفياء والدفاع عنهم، والخسارة فيهما تعني الانخراط في صف الظلمة وأئمة الجور. وينفتح الطريق لمن فاز فيهما ويكون مستعداً لقطع المراحل الأخرى من الجهاد، كجهاد الدعوة إلى الله والقتال في سبيل إعلاء كلمته، وهذا هو السر في وصف هاتين المرحلتين من الجهاد بالجهاد الأكبر، ووصف المرحلتين الآتيتين بالجهاد الأصغر، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ بِسِرَّةٍ، فَلَمَّا رَجَعُوا قَالَ: مَرْحَبًا بِقَوْمٍ قَضَوْا الْجِهَادَ الْأَصْغَرَ وَبَقِيَ الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ؟ قَالَ: جِهَادُ النَّفْسِ»<sup>(٢)</sup>.

٣. جهاد الدعوة إلى الله: بعد أن يجتاز المجاهد مرحلة جهاد الشيطان ظافراً، ويخرج من مرحلة جهاد النفس منتصراً، سيكون مؤهلاً ومستعداً لهذه المرحلة - الثالثة - من الجهاد، وهي الدفاع عن الدين والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فلا يبدأ بالقتال حتى يدعو الناس إلى دين الله والعمل بأوامره، ولذا ورد في القرآن الكريم: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ، جِهَادًا كَبِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>. من هذا المنطلق؛ تكون الدعوة إلى الله هي المرحلة الثالثة من مراحل الجهاد في سبيل الله، وقد ورد في نصوص الزيارة ما يدل على هذه المرحلة: «وجاهدت في سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة»<sup>(٤)</sup>.

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١١٣.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٥، ص ١٢.

(٣) الفرقان: الآية ٥٢.

(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٩١، وهي الزيارة المروية عن بيع السابري.

ونقرأ في نص آخر أن الإمام الحسين عليه السلام جاهد: «ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة»<sup>(١)</sup>.

وجاء في حق الأصحاب: «أشهد أنكم قُلتُم على الدعاء إلى الحق»<sup>(٢)</sup>.

ومن الملاحظ أن هذه المرحلة من الجهاد لا يصح الانطلاق منها إلى مرحلة القتال إلا بعد إحراز أن الطرف الآخر لا ينفع معه النصح والوعظ، وطبع الله على قلبه، وجعل على سمعه وبصره غشاوة، عند ذلك ينتقل المؤمن إلى المرحلة التالية والأخيرة من الجهاد في سبيل الله؛ ولهذا السبب كان الإمام الحسين عليه السلام لا يبدأهم بالقتال حتى يعظهم وينصحهم.

٤ . جهاد أئمة الكفر وأعدائهم: إذا لم ينفع النصح والوعظ والدعوة إلى الله، وأصروا واستكبروا، ينتقل المجاهد في سبيل الله إلى المرحلة الأخيرة، والأسلوب الأخير من الجهاد، وهو قتال العدو بالسيف، أو بشتى أنواع السلاح التي ينتهي المجاهد منها إما بالظفر والانتصار على العدو، وإما بالشهادة في سبيل الله، اللذين عبّر عنهما في القرآن الكريم بـ: ﴿إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾<sup>(٣)</sup>. وبها تنتهي مراحل جهاد المجاهد في سبيل الله.

ويدل على هذه المرحلة من الجهاد في سبيل الله عدّة فقرات من زيارة الإمام الحسين عليه السلام، منها: «السلام على الحسين الذي سمحت نفسه بمهجته»<sup>(٤)</sup>. وفيما يخص الأصحاب: «أشهد أنه قاتل معك ربّون كثير»<sup>(٥)</sup>. وأيضاً: «وجاهدتم في سبيل الله، وقُلتُم على منهاج رسول الله»<sup>(٦)</sup>.

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١١٣.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ٣، ص ٣٤٦.

(٣) التوبة: الآية ٥٢.

(٤) ابن المشهدي، محمد، المزار: ص ٤٩٧.

(٥) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٨٧.

(٦) المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص ١٢٠.



وفي نص آخر: «وأصحاب الحسين، الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام»<sup>(١)</sup>. فهذه النصوص تدلّ على أنّ هذه المرحلة هي المرحلة الأخيرة من الجهاد في سبيل الله، وهي القتال ولو استلزم ذلك بذل النفس والمهجة.

### النقطة الثالثة: أهداف الجهاد في سبيل الله

يختلف هدف جهاد الأنبياء والأوصياء وأنصارهم عن الهدف الذي يُقاتل من أجله أئمة الكفر الذين يدعون الناس إلى عبادة النفس والشيطان اختلافاً كلياً، فهما على طرفي نقيض، فهدف الطائفة الأولى نصرّة الله وإقامة دينه، وردع الظالمين ونصرة المظلومين، وإقامة العدل ونشره. وهدف الطائفة الثانية وأعوانهم وأتباعهم وأشياعهم هو نصرّة الشيطان والطاغوت وأتباع النفس والهوى، وطلب المال وزبارج الدنيا وملذّاتها، والسلطة والتسلّط على المستضعفين واستعبادهم. فأهداف الأنبياء والأولياء من الجهاد في سبيل الله أهداف إلهية وأخروية، مطابقة للعقل والفطرة والشرعية، وأهداف أئمة الكفر وأتباعهم وأشياعهم من القتال أهداف شيطانية دنيوية غير مشروعة<sup>(٢)</sup>.

ولا بأس في بيان أهداف الأنبياء والأوصياء وأنصارهم من الجهاد في سبيل الله، مستلهمين ذلك من نصوص زيارة الإمام الحسين عليه السلام نفسها.

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٣٢.

(٢) ويدلّ عليه قول الإمام الحسين عليه السلام في خطبته: «اللهم إنّك تعلم أنّه لم يكن ما كان ممّا تنافساً في سلطان، ولا التماساً من فضول الخطام، ولكن لثري العالم من دينك، ونُظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويُعمل بفرائضك وسنتك وأحكامك. فإنّكم إلّا تنصرونا وتنصفونا قومي الظلمة عليكم، وعملوا في إطفاء نور نبيّكم، وحسبنا الله وعليه توكلنا، وإليه أنبنا، وإليه المصير». ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول: ص ٢٣٩.

ومثله قول أمير المؤمنين عليه السلام: «لولا حضور الحاضر، وقيام الحجّة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء إلّا يقارّوا على كظّة ظالم، ولا سغب مظلوم...». نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام:

## الهدف الأول: نصره الله وإعلاء كلمته

الأنبياء والأوصياء وأنصارهم يُجاهدون من أجل نصره الله، ونصرة دينه وإعلاء كلمته، ويدلّ على هذا الأمر من الزيارة عدّة فقرات:

منها: «حتّى لقيتم الله على سبيل الحقّ، ونصرة كلمة الله التامة»<sup>(١)</sup>.

ومنّها: «ونصري لكم معدّة»<sup>(٢)</sup>.

ومنّها: «اللهم اجعلنا ممن تنصره وتنتصر به، وتمنّ عليه بنصرك لدينك في الدنيا والآخرة»<sup>(٣)</sup>.

وغيرها من فقرات الزيارة الدالّة على نصره الله تعالى.

## الهدف الثاني: إقامة دين الله

ويدلّ على هذا الهدف من نصوص الزيارة قوله: «وكنتم... لعباد الدين رافعاً»<sup>(٤)</sup>.

وورد أيضاً: «وتنصر الدين وتُظهره»<sup>(٥)</sup>.

وقوله: «السلام عليك يا عمود الدين»<sup>(٦)</sup>.

فقد جاهد الإمام الحسين عليه السلام في الله حقّ جهاده من أجل إقامة الدين والحكم بما أنزل الله.

## الهدف الثالث: دحر الظالمين ونصرة المظلومين

يدلّ على قمع الظالمين ما ورد في زيارة الناحية، حيث يصف الإمام الحسين عليه السلام بما نصّه: «وللطغيان قامعاً، وللطغاة مقارعاً... وتكفّ العايب وتزجره». وفيما يتعلّق

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٧٣. الكليني محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٧٥.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٠٢.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٧١.

(٤) ابن المشهدي، محمد، المزار: ص ٥٠١.

(٥) المصدر السابق: ص ٥٠٢.

(٦) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ٣، ص ٣٤١.



بنصرته للمظلوم يقول: «تأخذ للدني من الشريف، وتسوي في الحكم بين القوي والضعيف، كنت ربيع الأيتام، وعصمة الأنام»<sup>(١)</sup>، فكان يدافع عنهم، ويطلب بحقوقهم، ويجاهد الظالم من أجل نصرتهم.

#### الهدف الرابع: تحقيق العدالة

من جملة أهداف الجهاد في سبيل الله هو تحقيق العدل في الأرض، ويدل على هذا الهدف جملة من فقرات الزيارة، نكتفي بذكر بعضها: «أشهد أنك أمرت بالقسط والعدل، ودعوت إليهما»<sup>(٢)</sup>.

وفي نص آخر: «وتبسط العدل وتنشره»<sup>(٣)</sup>.

#### الهدف الخامس: الشهادة في سبيل الله

وهذا الهدف يتحقق على تقدير عدم النصر الظاهري، فإذا لم ينتصر المجاهد في سبيل الله ظاهراً، فإنه سينال الشهادة في سبيل الله، وهي إحدى الحسنين اللتين وردتا في الآية الكريمة ﴿إِحدى الْحُسَيْنَيْنِ﴾<sup>(٤)</sup>، إما الظفر، وإما الشهادة في سبيل الله.

ويدل على هذا الهدف من نصوص الزيارة عدة فقرات تُشير إليها: «السلام على الحسين المظلوم الشهيد... أكرمته بالشهادة... فجاهدهم فيك صابراً محتسباً حتى سفك في طاعتك دمه»<sup>(٥)</sup>، بل ورد أنه شهيد الشهداء، نال هذا الوسام بشهادته يوم عاشوراء: «السلام على شهيد الشهداء»<sup>(٦)</sup>، وأن أصحابه سادة الشهداء أيضاً: «أنتم سادة الشهداء في الدنيا والآخرة»<sup>(٧)</sup>.

(١) ابن المشهدي، محمد، المزار: ص ٥٠٢.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ٣، ص ٣٤٢.

(٣) ابن المشهدي، محمد، المزار: ص ٥٠٢.

(٤) التوبة: الآية ٥٢.

(٥) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ٣، ص ١٠١-١٠٢.

(٦) ابن المشهدي، محمد، المزار: ص ٥٠٢، زيارة الناحية.

(٧) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٦٠، الزيارة المروية عن الحسن بن عطية.

## المحور الثاني : جهاد الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه في ضوء نصوص الزيارة

تُشير بعض فقرات الزيارة ومقاطعها إلى جهاد الإمام الحسين عليه السلام الطويل الواسع، كما تُشير إلى جهاد أصحابه المستمر حتى شهادتهم في سبيل الله. ونُشير هنا إلى مفصل هذا الجهاد بجميع مراحلها، وبما أنّ سنخ جهاد الإمام الحسين عليه السلام يختلف عن سنخ جهاد أصحابه، ينبغي أن نتكلّم أولاً عن جهاد الحسين عليه السلام، ثمّ نتعرّض إلى جهاد أصحابه، وهذا ما يستدعي الحديث عنه في نقطتين:

### النقطة الأولى: جهاد الإمام الحسين عليه السلام (حقّ الجهاد)

بعد تتبّع نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام نجد أنّ (حقّ الجهاد) لم يُطلق إلّا على أئمة الهدى عليهم السلام، فقد ورد في إحدى الزيارات: «وجاهدتم في الله حقّ جهاده، حتّى أتاكم اليقين من وعده»<sup>(١)</sup>. ومنهم الإمام الحسين عليه السلام، فلم تُطلق هذه اللفظة في الزيارات على أحد غيرهم.

وقد وردت فقرات متعدّدة في الزيارات تصف الإمام الحسين عليه السلام بأنّه جاهد في الله حقّ الجهاد، من جملتها: «وجاهدت في الله حقّ جهاده، وصبرت على الأذى»<sup>(٢)</sup>. فهذا اللقب في الجهاد لم يُطلق - في نصوص الزيارات، بل حتّى في غير الزيارات - إلّا على أهل البيت عليهم السلام، فهذه المرتبة العالية من الجهاد تصدق على الأئمة المعصومين عليهم السلام دون غيرهم.

وإنّما اختصّ الإمام الحسين عليه السلام وسائر الأئمة عليهم السلام بهذا اللقب وبهذا التكليف؛ بسبب اصطفائهم وانتجابهم من قبل الله عزّ وجلّ للإمامة، وقد أُشير في الزيارات إلى هذا الاصطفاء، فقد ورد في زيارة الأربعين: «السلام على صفي الله وابن صفيه... اللهم إني أشهد أنّه وليّك وابن وليّك، وصفيك وابن صفيك... وجعلته سيّداً من السادة، وقائداً

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ٣، ص ٧٠.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص ١٠٦.





من القادة، وذائدًا من الذادة، وأعطيته مواريث الأنبياء، وجعلته حجة على خلقك من الأوصياء».

هذا ما يخص الإمام الحسين عليه السلام من الاجتباء والاصطفاء، وأمّا ما يخص الأئمة عليهم السلام فقد ورد في الزيارة نفسها: «وأشهد أنّ الأئمة من ولدك كلمة التقوى، وأعلام الهدى، والعروة الوثقى، والحجة على أهل الدنيا»<sup>(١)</sup>.

فالمطلوب من أئمة الهدى عليهم السلام أن يجاهدوا في الله حق جهاده؛ لأنهم قد اجتباهم الله واصطفاهم، فالجهاد في الله حق الجهاد متفرّع على الاجتباء، وإذا لم يكن الإنسان مجتبي فمن الطبيعي لا يطلب منه هذا المرتبة العالية جدًّا من الجهاد؛ لأنّه لا يتمكّن من أدائها، وإنّما يطلب منه أن يجاهد في سبيل الله تعالى فحسب، كما ورد هذا بشأن غير الأئمة عليهم السلام من دون التعبير: بحق الجهاد.

ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال القمي في تفسير الآية: «فهذه خاصّة لآل محمد عليه السلام، وقوله: ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾، يعني يكون على آل محمد. ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾، أي: آل محمد يكونون شهداء على الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله»<sup>(٣)</sup>.

ومقتضى هذا التفسير أنّ الأمر بالجهاد حقّ الجهاد متوجّه إلى الأئمة عليهم السلام، ولذا اختصّ التعبير به في الزيارة بالأئمة عليهم السلام، وهذا إن دلّ على شيء فيدلّ على أنّ هذه الزيارات لم ترد إلّا عن المعصومين عليهم السلام العارفين بالقرآن الكريم.

وبناء على هذا؛ فالإمام في غنى عن المرحلة الأولى والثانية من الجهاد، أعني جهاد

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص ٧٨٩.

(٢) الحجّ: الآية ٧٨.

(٣) القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي: ج ٢، ص ٨٨.



الشیطان والنفس؛ لأنَّ الإمام هو إمام هدی من عباد الله المُخلَّصین، وهم أولیاء الله الذین لا سلطان للشیطان علیهم، ونفس الإمام طاهرة مطهَّرة كما ورد: «أشهد أنَّک طهر طاهر»<sup>(١)</sup>، بل جاء وصفه بأنَّه کان نوراً من أنوار الله، كما ورد: «أشهد أنَّک كنت نوراً فی الأصلاب الشاخحة، والأرحام المطهَّرة، لم تُنجسک الجاهلیة بأنجاسها، ولم تُلبسک من مدلهمات ثیابها»<sup>(٢)</sup>.

فالإمام قد اجتاز مراحل علیا، واتَّصفت نفسه الشریفة بصفات عالیة جدّاً، وعلى أساسها تمَّ اصطفاؤه وانتجابه من قبل الله تعالى: «السلام على صفی الله وابن صفیّه»<sup>(٣)</sup>. ومن هنا؛ فالإمام فی غنی عن هاتین المرحلتین من الجهاد.

### المرحلة الأولى: جهاد البیان والتبیین

یبدأ جهاد الإمام عليه السلام - بحسب ما تُفیده نصوص زیارة - بجهاد البیان بالحكمة والموعظة الحسنة، وهذه المرحلة من الجهاد هی عبارة عن بذل کلّ الوسع والطاقة من أجل بیان الحقّ ورسالة النبی الأکرم صلی الله علیه وآله بكلّ ما تحمل من مبادئ وقيم إلى الناس، واستخدام جمیع الطاقات والوسائل فی إیصال هذه المبادئ والقيم إلیهم، وتفهمهم بذلك بشتّى وسائل التبیین والإیضاح.

ویؤیّد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَطْعَمُ الْكَافِرِينَ وَجَهْدُهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾<sup>(٤)</sup>. فالله عزّ وجلّ یأمر النبی صلی الله علیه وآله أن یجاهد الکافرین بالقرآن الکریم من خلال بیانه وتلاوته، والاستدلال بآیاته والبراهین الموجودة فیهِ.

وهذه المرحلة قام بها الإمام الحسین عليه السلام خیر قیام؛ فإنَّه قد استخدم جمیع أسالیب الدعوة والنصیحة للناس من أجل اتّباع مبادئ وقيم الرسالة، فكان مجاهداً حقّ

(١) ابن قولویه، جعفر بن محمد، کامل الزیارات: ص ١٠١.

(٢) الطوسی، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ج ٢، ص ٧٨٩.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الفرقان: الآیة ٥٢.



الجهاد في هذه المرحلة. ويُرشدنا إلى هذا الأمر ما ورد في فقرة من الزيارة الشريفة:  
«وجاهدت في سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة»<sup>(١)</sup>.

وورد في الزيارة أيضاً: «فاعذر في الدعاء، ومنح النصيح»<sup>(٢)</sup>.

ففي يوم عاشوراء كان يقول لهم: «أيها الناس، اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظمكم بما يحق لكم عليّ، وحتى أعذر إليكم»<sup>(٣)</sup>.

فهو يرى أنّ مشروعه الجهادي ينبغي أن يكون على أتم وجه، ولا ينبغي إغفال الجهاد على مستوى الموعظة والحكمة.

وكان قبل يوم عاشوراء قد بين في خطبة له - خطبها في منى - طواغيت الأئمة، وأئمة الكفر، وعبد الشيطان وحزبه، وأتباع الجبت والطاغوت، وحذر العلماء والناس من اتباعهم والانخراط في زميرتهم، وبين فيها أئمة الهدى وعباد الله الصالحين، وحثهم على اتباعهم ونصرتهم.

وكان عليه السلام يؤكد هذا الأمر يوم عاشوراء بقوله: «فإنما أنتم من طواغيت الأئمة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ونفثة الشيطان، وعصبة الآثام، ومحرفي الكتاب، ومطفئي السنن، وقتلة أولاد الأنبياء، ومبيري عترة الأوصياء، وملحقي العهار بالنسب، ومؤذي المؤمنين، وصراخ أئمة المستهزئين، الذين جعلوا القرآن عضين»<sup>(٤)</sup>.

كما كان يركّز طيلة حياته على ضرورة محاربة الشيطان، والنفس الأمّارة بالسوء والهوى، وترك الغرور بالدنيا، وهذا هو الجهاد الأكبر؛ فإنّ الفوز في هذا الجهاد هو

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٩١، وهي الزيارة المروية عن بيّاع السابري.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح التهجد: ج ٢، ص ٧٨٨. الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١١٣. بالطريق نفسه ومن دون اختلاف.

(٣) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٩٧.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنور: ج ٤٥، ص ٨. ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول: ص ٢٤١.

مدعاة إلى اتّباع أئمة الهدى، والابتعاد عن الانخراط في حزب الشيطان، والجبت والطاغوت، وأئمة الكفر، وعبد الشيطان.

والخسارة في هذا الجهاد تعني اتّباع الهوى والشيطان، وإطاعة أئمة الكفر والطواغيت وإعانتهم ونصرتهم، وهو السبب في خذلان أئمة الهدى، وترك نصرتهم، بل قتلهم وظلمهم، ولذا قال عليه السلام فيما يتعلّق بالشيطان: «قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن»<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً: «فالمغرور من غرته، والشقي من فتته، فلا تغرّركم هذه الدنيا؛ فإنّها تقطع رجاء من ركن إليها، وتُخَيّب طمع من طمع فيها... لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم»<sup>(٢)</sup>.

#### المرحلة الثانية: الجهاد بالمال والنفس

بالرغم من أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان محاصراً مالياً، لكنّه بذل كلّ ما عنده من أموال في سبيل الدفاع عن الدين، وفي سبيل السير بسيرة جدّه وأبيه أمير المؤمنين عليه السلام، فجاهد بأمواله في سبيل الله حقّ جهاده، بل إنّ التاريخ يحدث بأنّه كان يضطرّ إلى استرجاع الأموال المنهوبة التي يتمّ إرسالها إلى أئمة الضلال - كمعاوية ويزيد - ويتنزعها منهم بالقوّة والغلبة، ويصرفها في خدمة الدين وتقوية معالمه<sup>(٣)</sup>.

وقد ورد في الزيارات بعض الإشارات إلى ما بذله من مال: «والعن اللهمّ الذين نهبوا ماله، وسبوا حريمه»<sup>(٤)</sup>. وفي الحقيقة إنّ هؤلاء سلبوا أمواله الشخصية، وقبل ذلك سلبوا أمواله التي له ولاية عليها بما هو إمام يصرفها في خدمة الإسلام والمسلمين.

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٠٤.

(٢) ابن شهر آشوب المازندراني، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٤٩.

(٣) أنظر: ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج ١٨، ص ٤٠٩.

(٤) النوري، الميرزا حسين، مستدرک الوسائل: ج ١٠، ص ٤١٤.

وأما جهاده ببذل مهجته الطاهرة، فهي المرحلة الأخيرة من جهاده في الله حقّ جهاده، وبها تنتهي مراحل حقّ الجهاد التي قطعها الإمام عليه السلام خلال حياته، فعمره حافل بحقّ الجهاد في سبيل الله حتى الانتصار أو الشهادة، فختم حياته بالشهادة، وببذل مهجته ودمه الطاهر في سبيل إعلاء كلمة الله عز وجل، ولذا ورد في زيارة الناحية مخاطباً الإمام الحسين عليه السلام: «وجاهدت في الله حقّ الجهاد»<sup>(١)</sup>.

وفي فقرة من زيارة الأربعين: «وبذل مهجته فيك، ليستنقذ عبادك من الجهالة وحريرة الضلالة»<sup>(٢)</sup>.

ونقرأ في نص آخر: «السلام على الحسين الذي سمحت نفسه بمهجته»<sup>(٣)</sup>.

### النقطة الثانية: جهاد أصحاب الإمام الحسين عليه السلام

لو ألقينا نظرة إلى فقرات الزيارة التي تعرّضت إلى ذكر أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، نجد أنها تشير إلى مراحل الجهاد في سبيل الله تعالى التي مرّوا بها، بدءاً من الجهاد الأكبر - جهاد النفس والشیطان - وانتهاءً بجهاد الكفار بالسلاح في ميدان الحرب. وفيما يلي إشارة إجمالية لمراحل جهادهم:

### المرحلة الأولى والثانية: جهاد الشيطان والنفس

إنّ المنتصر في هذه المعركة الكبرى - معركة الجهاد الأكبر - ينضمّ إلى زمرة أتباع أئمة الهدى، ويكون في صفّهم، وقد كان أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ممن انتصر فيها، ومن الطبيعي أن ينضمّوا إلى زمرة أتباع أئمة الهدى عليهم السلام، فالله ولي الذين آمنوا يُخرجهم من الظلمات إلى النور، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يُخرجونهم من النور إلى الظلمات. ولذا جاء في الزيارة بشأن أصحاب الإمام الحسين عليه السلام: «أشهد أنكم جاهدتم في سبيل الله»<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن المشهدي، محمد، المزار: ص ٥٠١.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص ٧٨٨.

(٣) ابن المشهدي، محمد، المزار: ص ٤٩٧.

(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٧٥، الزيارة المروية عن الكناسي.

وهذه الفقرة تشمل جهاد النفس والشيطان، وإلا - لو لم يكونوا قد جاهدوا النفس والشيطان - لما استطاعوا أن ينضمّوا إلى أئمة الحق، ولما استطاعوا أن يكونوا أنصار الله وأنصار دينه، ولذا قال في الزيارة: «السلام عليكم يا أولياء الله وأحبّاءه، السلام عليكم يا أصفياء الله وأودّاءه، السلام عليكم يا أنصار دين الله»<sup>(١)</sup>.

والخاسر في هذه المعركة الباطنية الكبرى سينخرط في زمرة أتباع أئمة الظلال والطواغيت وحزب الشيطان.

ومن هنا؛ فإنّ أنصار الحسين عليه السلام جاهدوا في سبيل الله على هذا المستوى، ومنهم مَنْ أنضمّ إلى أئمة الهدى في آخر اللحظات - كزهير بن القين، والحرّ بن يزيد الرياحي، وغيرهما - فقد جاهدوا النفس والشيطان والهوى، وانتصروا في هذا الجهاد، فخرجوا بذلك من الظلمات إلى النور. ولذا قال الإمام الحسين عليه السلام: «مَنْ كَانَ بَاذِلًا فِينَا مَهْجَتَهُ، وَمَوْطِنًا عَلَى لِقَاءِ اللَّهِ نَفْسَهُ»<sup>(٢)</sup>. وهذا يعني أنّه لا يمكن أن يرحل معه أو ينضمّ إليه مَنْ لم يوطّن نفسه، وتوطّن النفس بحاجة إلى جهاد الشيطان والنفس.

### المرحلة الثالثة: الجهاد بالحكمة والموعظة الحسنة

لقد جاهد أنصار الإمام الحسين عليه السلام في هذه المرحلة من الجهاد أيضاً، فكانوا يخاطبون العدوّ بالنصيحة والموعظة والبيان قبل القتال: «أشهد أنّكم قُتِلْتُمْ عَلَى الدَّعَاءِ إِلَى الْحَقِّ»<sup>(٣)</sup>.

فلاحظ أنّهم قد أعذروا في النصّح والدعاء، بالأدلة والبراهين القاطعة حتّى شهادتهم، فكانوا يُبَيِّنُونَ للناس مَنْ هو إمام الهدى، وَمَنْ هو إمام الضلال، وَمَنْ يجب طاعته، وَمَنْ يجب محاربته، وكلّ ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة. وكان لهم في هذا الجهاد دور بارز، وقد بالغوا في النصّح والوعظ.

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص ٧٢٢.

(٢) ابن نما الحليّ، جعفر بن محمد، مثير الأحرار: ص ٢٩.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ٣، ص ٣٤٦.



وعلى سبيل المثال: إنّ الرسول الذي جاء إلى الحرّ بن يزيد بالكتاب الذي ورد فيه الأمر بمسيرة الإمام الحسين عليه السلام ومحاصرته في مكان ليس فيه ماء ولا كلاً، قد عرفه يزيد بن المهاجر الكندي، الذي هو من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره، فقال له: «ثكلتك أمّك، ماذا جئت فيه؟! قال: أطعت إمامي، ووفيت ببيعتي. فقال له ابن المهاجر: بل عصيت ربّك، وأطعت إمامك في هلاك نفسك، وكسبت العار والنار، وبئس الإمام إمامك، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾<sup>(١)</sup>، فإمامك منهم»<sup>(٢)</sup>.

ونموذج آخر: برير بن خضير، حيث كان يُثبت للناس بشتى الوسائل والطرق - وبالمباهلة أحياناً - من هم أئمة الهدى، ومن هم أئمة الضلال، فلمّا قال له يزيد بن معقل: يا برير، إنك ضالّ؛ لأنك تعتقد بضلال معاوية، وبأنّ عليّاً عليه السلام هو إمام الهدى. فقال له برير: إنّ هذا هو الحقّ، وإني مستعدّ لمباهلتك على أن يلعن الله الكاذب ويقتله، فخرج كلّ منهما يدعو الله أن يقتل الكاذب. فبرز كلّ واحد منهما لصاحبه، ونشب القتال بينهما، فقتل برير بن خضير يزيد بن معقل، فلعن الله الكاذب وقته<sup>(٣)</sup>.

فقام برير بهذه العملية لإثبات أنّ إمام الهدى هو علي عليه السلام وأبناؤه، وإمام الضلال هو معاوية وابنه يزيد، وهذا هو الجهاد التبيني على مستوى الأدلّة والبراهين والمباهلة. وهناك الكثير من المشاهد الرائعة في الجهاد على مستوى النصيحة والموعظة والبيان والتوضيح بالأدلّة القاطعة التي رسمها الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، يطول المقام بذكرها.

(١) القصص: الآية ٤١.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٠٩.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٢٨.

## المرحلة الرابعة: الجهاد بالمال والنفس

وهكذا بذل الأصحاب ما عندهم من مال وجاهدوا بأموالهم في سبيل الله: «أشهد أنكم جاهدتم في سبيل الله»<sup>(١)</sup>. فكلّ ما لديهم من مال بذلوه في خدمة الدين ونصرة أئمة الهدى عليهم السلام، بل إنهم تركوا أموالهم ومساكنهم وأزواجهم وأولادهم من أجل نصرة دين الله تعالى، ولذا ورد في الزيارة: «أتيتك بأبي وأمي ونفسي ومالي وولدي زائراً»<sup>(٢)</sup>، ومعنى ذلك أنّي أقدم أموالي من أجل نصرتك. وقبل ذلك كان أصحاب الحسين عليه السلام قد قدّموا أموالهم وكلّ ما يملكون من أجل نصرة الإمام الحسين عليه السلام. وكذلك بذل هؤلاء الأصحاب أنفسهم ومهجهم دون إمامهم الحسين عليه السلام، ونالوا الشهادة في سبيل الله تعالى، فقد جاء في الزيارة: «وجاهدتم في سبيل الله، وقتلتهم على منهاج رسول الله»<sup>(٣)</sup>.

وفي نصّ آخر: «وأصحاب الحسين، الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام»<sup>(٤)</sup>. وفي نصّ ثالث: «وعلى من ساعدك وعاونك وواساك بنفسه، وبذل مهجته في الذبّ عنك»<sup>(٥)</sup>.

وفي نصّ رابع: «وبذلتهم مهجكم مع ابن رسول الله»<sup>(٦)</sup>.

## المحور الثالث: التعاليم والدروس المستوحاة من زيارة الحسين عليه السلام فيما يخصّ الجهاد

المتأمل في نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام يلمس تعاليم ودروساً وعبراً يمكن استفادتها من خلال النظر في المواقف الجهادية التي سجّلها الإمام الحسين عليه السلام

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٧٥.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص ١١٣.

(٣) المصدر السابق: ص ١٢٠.

(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٣٢.

(٥) النوري، الميرزا حسين، مستدرک الوسائل: ج ١٠، ص ٤١٤.

(٦) العاملي (الشهيد الأول)، محمد بن مكّي، المزار: ص ١٥٤.





وأهل بيته عليه السلام وأصحابه، كما يمكن أن يأخذ العبرة أيضاً ممن حُرِّموا هذه المواقف الجهادية، واتبَعوا هوى النفس والشیطان، وغرَّتهم زخارف الدنيا، وهذا ما سنحاول التركيز عليه - في المقام - آخذين بنظر الاعتبار نصوص زیارات الإمام الحسين عليه السلام.

### الدرس الأول: محاربة الشيطان

تُعَلِّمُنا الزيارة أنَّه يجب محاربة الشيطان وجهاده، وأنَّ الشيطان هو من أوضح أعداء الإنسان؛ فإنَّ نصوص الزيارة قد ذكرت الطواغيت وأئمة الكفر وأتباعهم وأشياعهم وأعوانهم، وذكرت عاقبتهم المشينة، وهي نار جهنم، ولعنتهم، ثمَّ أردفت اللعنة على كلِّ شيطان رجيم.

وهذا من عطف العامِّ على الخاصِّ، وهذا يعني أنَّ هؤلاء الطغاة ينطبق عليهم عنوان الشيطان الرجيم؛ لأنَّهم قد اتَّبَعوا خطوات الشيطان، بل أصبحوا من أعوانه إلى درجة يصحَّ إطلاق لفظ الشيطان الرجيم عليهم، كما ورد في الزيارة: «وافتح لهم وعليهم، وعلى كلِّ من رضي بذلك، لعناتك التي لعنت بها كلَّ ظالم، وكلِّ غاصب، وكلِّ جاحد، وكلِّ كافر، وكلِّ مشرك، وكلِّ شيطان رجيم»<sup>(١)</sup>.

وهذا يعني أنَّ الشيطان زين لهم أعمالهم وخدعهم، حتَّى انتهى الأمر بهم أن أصبحوا من حزبه وأعوانه، وقد وصفهم الإمام الحسين عليه السلام في كلماته بأنَّهم «نفثة الشيطان»<sup>(٢)</sup>.

وفي نصِّ آخر: «قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن»<sup>(٣)</sup>.

وقال عليه السلام أيضاً: «استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم»<sup>(٤)</sup>.

(١) النوري، الميرزا حسين، مستدرک الوسائل: ج ١٠، ص ٣٠٨.

(٢) ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص ٢٤١.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٠٤.

(٤) ابن شهر آشوب المازندراني، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٤٩.



ففي عملية الجهاد يجب على الإنسان أولاً محاربة الشيطان الرجيم، وعدم اتباع خطواته، واتخاذ عدوًّا، والانتصار عليه وغلبته.

وهذا يعني أنّ الزيارة تُعطينا درساً في ضرورة مجاهدة الشيطان، الذي زين لهؤلاء وأغواهم، واستحوذ عليهم، ونفث فيهم حتّى أصبحوا طغاة وظلمة، ومن شياطين الإنس وشركاء إبليس. وفي كيفية محاربته والابتعاد عنه، واللجوء إلى الله منه، ولذا ورد في بعض الزيارات: «وأعوذ بك من الحبس واللّبس، ومن وسوسة الشيطان، وطوارق السوء، وشرّ كلّ ذي شرٍّ، ومن شرّ شياطين الجنّ والإنس، ومن شرّ من ينصب لأولياء الله العداوة، ومن أن يفرطوا عليّ أو أن يطغوا، وأعوذ بك من شرّ عيون الظلمة، ومن شرّ كلّ ذي شرٍّ، وشرك إبليس...»<sup>(١)</sup>.

إنّ في هذا الدعاء - الذي ورد في الزيارة - إشارة واضحة إلى أنّ الطغاة والظلمة ينطبق عليهم عنوان شياطين الإنس، وينطبق عليهم أنّهم شرك الشيطان، فعلى الإنسان ألا يقع في المصيدة نفسها التي وقعوا فيها.

ولذا نجد أنّ الزيارة توضّح لنا أبرز أمثلة أعوان الشيطان وأتباعه، وفي الوقت نفسه تُعلّمنا لعنهم والبراءة منهم، ومعنى البراءة من أتباع الشيطان وحزبه، هو عدم اتباع خطوات الشيطان ومحاربته وجهاده.

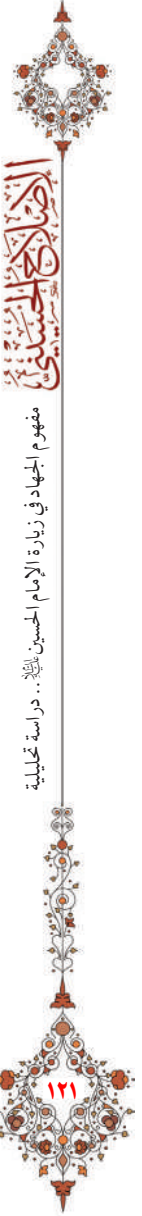
ومن جملة الوسائل التي يمكن للإنسان السيطرة على الشيطان من خلالها والغلبة عليه، هي زيارة الإمام الحسين عليه السلام، فقد ورد أنّ من زار الإمام الحسين عليه السلام: «لا يجعل للشيطان ولأوليائه عليه، ولا على نسله إلى أربعة أعقاب سبيلاً»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية أخرى: «ولم يزل محفوظاً سنته من كلّ آفة أهونها الشيطان»<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٩٥ - ٣٩٦.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتعبد: ص ٧٨٧.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ٢٧١.



## الدرس الثاني: جهاد النفس

ورد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام أن الزائر يشهد بأن أصحاب الإمام عليه السلام جاهدوا في سبيل الله: «أشهد أنكم جاهدتم في سبيل الله»، ومن جملة مراحل جهادهم العظيمة هو جهاد أنفسهم والتغلب على هواهم؛ فإن النفس تُحب العافية، ولا تُحب المكاره، ولكنهم خالفوها وتوجهوا مع الحسين عليه السلام للجهاد معه وبين يديه، فكانوا موطنين أنفسهم على لقاء الله تعالى، وترك زبارج الدنيا والغرور بها، ولذا قال الإمام الحسين عليه السلام: «مَنْ كَانَ «موطنًا على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا»<sup>(١)</sup>.

وهذا يعني أن الرحيل مع الإمام الحسين عليه السلام بحاجة إلى جهاد كبير وعظيم، وهو جهاد النفس وتوطئتها وترويضها على لقاء الله تعالى.

فلو أن أصحاب الإمام الحسين عليه السلام لم يجاهدوا أنفسهم لما أمكنهم الوصول إلى هذا المقام العظيم، ولما استطاعوا أن يكونوا من أنصار الإمام الحسين عليه السلام، ومنهم مَنْ انتصر على نفسه في آخر اللحظات كالحرّ بن يزيد الرياحي.

فالزيارة تركّز في ذهن الزائر أن يقتدي بهؤلاء الأنصار الذين وطّئوا أنفسهم على لقاء الله تعالى، واتباع هؤلاء الأنصار الذين جاهدوا أنفسهم وحاربوها من أجل ذلك اللقاء: «أنتم لنا فرط وسلف، ونحن لكم أتباع وأنصار»<sup>(٢)</sup>.

كما تحثّ الزيارة الزائر على البراءة ممّن اتّبع هواه ورغباته النفسية، ولم يجاهد نفسه، فأصبح أسيراً بيد الهوى وحبّ الدنيا، وهذه المصيدة قد وقع فيها الكثير في يوم عاشوراء، فقد تعاونوا على قتل الإمام الحسين عليه السلام طمعاً في الدنيا، واتباعاً لهوى النفس ورغباتها: «وقد توازر عليه من غرته الدنيا... وتردّى في هواه»<sup>(٣)</sup>. وهذا يعني أنّه ينبغي الحذر من هذه النفس والهوى الذي أوقع الكثير من الناس في المهالك.

(١) ابن نما الحلي، جعفر بن محمد، مثير الأحرار: ص ٢٩.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٧٢.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص ٧٨٨.

## الدرس الثالث: الجهاد بالحكمة والموعظة الحسنة

يشهد الزائر في الزيارة بأن الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه قد جاهدوا على مستوى الجهاد بالحكمة والموعظة الحسنة، فيقول: «وأشهد أنك قد... جاهدت في سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة»<sup>(١)</sup>. ويقول في نص آخر: «أشهد أنكم قد جاهدتم في سبيل الله»<sup>(٢)</sup>. ويشهد في نص ثالث: «أشهد أنكم قتلتم على الدعاء إلى الحق»<sup>(٣)</sup>.

ففي الوقت الذي يشهد الزائر فيه بهذه الشهادات، يتعهد بالاعتداء بالإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، والتسليم لهم واتباعهم: «وقلبي لقلبيكم سلم، وأمرني لأمركم متبع»<sup>(٤)</sup>. وفي نص آخر: «أنتم لنا فرط وسلف، ونحن لكم أتباع وأنصار»<sup>(٥)</sup>.

وهذا يقتضي أن يكون الزائر مجاهداً في سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وداعياً إلى الله تعالى وإلى دينه، وإلى المبادئ والقيم التي استشهد الإمام الحسين عليه السلام من أجل تحقيقها، فيجلي الجهل والضلال بالحكمة والموعظة الحسنة، وينصر المظلوم ويردع الظالم بالحكمة والموعظة الحسنة.

والمستفاد من النصوص أن هذا الجهاد لا ينتهي، وإنما هو مستمر حتى آخر لحظات حياة الإنسان، فيجب أن يدعو إلى الله ويجاهد الكفار والمنافقين بالحكمة والموعظة الحسنة، وبالبراهين الساطعة، وبالقرآن الكريم حتى آخر لحظات حياته. ونلاحظ أن الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه لم يتوقفوا عن هذا الجهاد حتى آخر لحظات حياتهم، بالرغم من أنهم كانوا يواجهون قوماً ختم الله على قلوبهم وأسماعهم، وجعل على أبصارهم غشاوة، لكنّ جهاد البيان كان مستمراً.

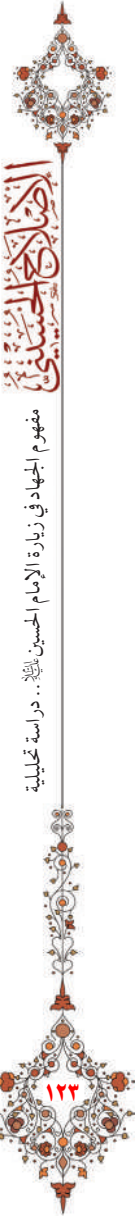
(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٩١، وهي الزيارة المروية عن بيت السابري.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٧٣.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ٣، ص ٣٤٦.

(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتعبد: ص ٧٢١.

(٥) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٧٢.



والأمر نفسه نلاحظه في جهاد الأنبياء الطويل؛ حيث كانوا يُجاهدون في البيان والتبيين للطغاة والجبابرة بالحكمة والموعظة الحسنة حتى آخر حياتهم، ومنهم خاتم الأنبياء والرسول؛ حيث قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ، جِهَادًا كَبِيرًا﴾<sup>(١)</sup>. وهذا يعني أنه ينبغي للإنسان الزائر أن يتحلّى بهذه الخصلة العظيمة، وهي الجهاد بالحكمة والموعظة الحسنة.

#### الدرس الرابع: الجهاد ببذل المال والنفس

هناك نصوص وفقرات متعدّدة في الزيارة تُشير إلى بذل المال والنفس في سبيل إعلاء كلمة الله، ونصرة الحق، والدفاع عن القيم والمبادئ الحقّة، وقد تقدّمت - في طيّات البحث - نصوص الزيارة الدالّة على بذل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه أموالهم ومهجهم دفاعاً عن الدين، ولم يتمكّن أصحابه عليه السلام من الوصول إلى هذه المرتبة إلّا بعد قطعهم مشوار الجهاد مع الشيطان والنفس والجهاد بالوعظ والإرشاد بالحكمة والموعظة الحسنة، فأصبحوا مستعدّين لهذه المرتبة من الجهاد. ومن الواضح أنّ من لم يتمكّن من جهاد الشيطان والنفس والهوى، لا يستطيع أن يصل إلى هذه المرحلة، ولا يتوقّع منه ذلك أبداً، بل سيكون في حزب الشياطين والطواغيت، ويقاتل معهم كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقِنُّونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقِنُّونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾<sup>(٢)</sup>.

ففي الوقت الذي يعترف الزائر فيه بأنّ الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه قد بذلوا مهجهم دون إعلاء كلمة الله، يلزم أن يكون مستعدّاً لهذه المرتبة من الجهاد، وهي بذل المال والنفس والمهجة من أجل إعلاء كلمة الله، ولذا يقول: «أتيتك بأبي

(١) الفرقان: الآية ٥٢.

(٢) النساء: الآية ٧٦.

وَأُمِّي وَنَفْسِي وَمَالِي وَوَلَدِي زَائِرًا<sup>(١)</sup>. وفي عدة فقرات من زيارته عليه السلام: «فيا ليتني كنت معكم فأفوز معكم»<sup>(٢)</sup>.

وهذه هي المرتبة الأخيرة من الجهاد، فإذا نجح الإنسان في مسار الجهاد الطويل، من جهاد الشيطان والنفس والهوى، وروّض نفسه بالتقوى، أصبحت نفسه مستعدة للقاء الله عز وجل وبذل المال والمهجة في سبيله، كما قال الإمام الحسين عليه السلام: «مَنْ كَانَ بَاذِلًا فِينَا مَهْجَتَهُ، مُوْطِنًا عَلَى لِقَاءِ اللَّهِ نَفْسَهُ، فَلْيَرْحَلْ مَعَنَا»<sup>(٣)</sup>.

فالزائر حينما يقطع مشوار الجهاد الطويل سيحظى بهذا المرتبة العظيمة، بأن يكون مستعداً للقاء الله، ولذا ورد في الزيارة: «ونصري لكم معدّة»<sup>(٤)</sup>، أي بعد مشوار الجهاد الطويل - من جهاد الشيطان والنفس الأتّارة بالسوء، ومجاهدة الهوى وحبّ الدنيا - فإنّ نصرتي لكم معدّة، وأنا حاضر لأقدم كلّ ما عندي من مال ونفس ونفيس من أجل إعلاء كلمة الحقّ.

ونقرأ في نصّ آخر «بأبي أنت وأُمِّي ونفسي ومالي»<sup>(٥)</sup>، وهذا يعني أنا مستعدّ لأن أقدم نفسي وأضحّي بها وبجميع ولدي وبأموالي، فأبذل هذه المهجة وكلّ شيء في نصرة الإمام عليه السلام وإعلاء كلمة الله تعالى: «ويرزقني طلب تارك مع إمام منصور من آل محمد صلّى الله عليه وآله»<sup>(٦)</sup>.

(١) المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص ١١٣.

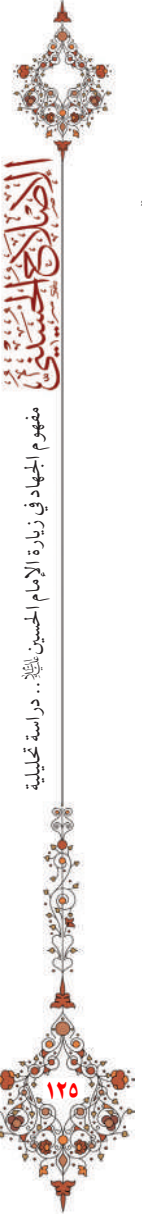
(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص ٧٢٢.

(٣) ابن نما الحليّ، جعفر بن محمد، مثير الأحرار: ص ٢٩.

(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص ٧٨٩.

(٥) المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص ١١٣.

(٦) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٢٩.



## الخاتمة

يُستفاد من المباحث المتقدمة النتائج التالية:

١. ورد الجهاد في فقرات زيارة الإمام الحسين عليه السلام بعدة معانٍ:

منها: الجهاد اللغوي بالمعنى العام، وهو بذل الطاقة لتحقيق الهدف.

ومنها: الجهاد في سبيل الله، والجهاد في سبيل الله حقّ الجهاد، والجهاد بمعنى القتال في سبيل الله.

وللجهاد مراحل أربع: جهاد الشيطان، وجهاد النفس، وهما الجهاد الأكبر. وجهاد البيان بالحكمة والموعظة الحسنة، والجهاد بالقتال، وهما الجهاد الأصغر.

٢. إنّ الجهاد يرجع - في الحقيقة - إلى وجود طائفتين، طائفة محقّة، وطائفة باطلة متّبعة للشيطان والهوى، فأصحاب الطائفة المحقّة يدعون إلى الحقّ، بينما أصحاب الطائفة الباطلة يدعون إلى الباطل، فينتهي مجموعة من الناس إلى الطائفة الأولى بعد الفوز في جهاد النفس والهوى، وتنخرط مجموعة أخرى مع الطائفة الثانية بسبب اتباعهم خطوات الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء، ثمّ يقع الجهاد والقتال بين الطرفين.

٣. إنّ أهداف الجهاد في سبيل الله هي: نصره الله وإقامة الدين، وردّ الظالمين ونصرة المظلومين، وإقامة العدل، والشهادة في سبيل الله.

٤. إنّ جهاد الإمام الحسين عليه السلام يختلف عن جهاد غيره؛ لأنّه عليه السلام من عباد الله المُخْلِصين والأوصياء وورثة الأنبياء، فليس للشيطان إليه سبيل كما أخبر الله تعالى بذلك في كتابه، وأمّا نفس الإمام عليه السلام فهي طاهرة ومطمئنة، بل هو نور من أنوار الله عزّ وجلّ كما نصّت على ذلك زيارات الإمام عليه السلام المتعدّدة، لذا يكون جهاده في سبيل الله حقّ الجهاد في مرحلتي الجهاد بالوعظ والإرشاد بالحكمة والموعظة

الحسنة، والجهاد بالقتال وببذل المال والمهجة الطاهرة. ويُعدّ جهاده في ذلك من أعلى أنواع الجهاد، وقد عبّر عنه في القرآن الكريم والزيارات بالجهاد في سبيل الله حقّ جهاده.

وأما غير الإمام عليه السلام - كأصحابه وأنصاره وشيعته وأتباعه - فيقطع جميع مراحل الجهاد، من جهاد الشيطان والنفس، والجهاد بالحكمة والموعظة الحسنة، والجهاد ببذل المال والمهجة في سبيل الله، كما دلّت على ذلك نصوص الزيارة.

٥. الدروس التي يُمكن استفادتها من نصوص الزيارة فيما يخصّ الجهاد، هي عبارة عن ضرورة جهاد الشيطان ومحاربته؛ فإنّ الذين انخرطوا في زمرة أعوان الطغاة وأتباعهم وأشياعهم، إنّما استزلّهم الشيطان واستحوذ عليهم، فأصبحوا من حزبه، فعلى الإنسان المؤمن مجاهدة الشيطان وترك اتباع خطواته؛ لكيلا يزلّه ويُصيرَه في زمرة الطغاة والشياطين.

وينبغي للزائر أن يتعلّم جهاد النفس من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام الذين رَوّضوا أنفسهم ووطّئوها على نصرته الإمام عليه السلام، ولقاء الله تعالى، وبذلوا مهجتهم دون الحسين عليه السلام نصرَةً لله؛ فإنّه إن لم يُجاهد الشيطان ونفسه لا يلتحق بهم أبداً. كما ينبغي له أخذ العبرة من الذين اتّبعوا أهواءهم وأنفسهم الأمارّة بالسوء، وانتموا إلى الطغاة طمعاً في الدنيا وزخارفها، فقاتلوا الحسين عليه السلام، فقادهم الشيطان وأنفسهم إلى النار وبئس المصير.

وعليه؛ فإذا استطاع الإنسان أن يُجاهد الشيطان ونفسه وهواه فحينئذٍ يؤهّل ويكون مستعدّاً للجهاد بالحكمة والموعظة والإرشاد، وبعدها يكون مستعدّاً - أيضاً - لبذل ماله وولده ونفسه ومهجته في سبيل نصرته إمامه، ودين الله وإعلاء كلمته.





## المصادر والمراجع

✽ القرآن الكريم.

١ . الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الشيخ المفيد (ت ١٣٤ هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.

٢ . إقبال الأعمال، السيّد رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني الحلّي (السيّد ابن طاووس) (ت ٦٦٤ هـ)، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني، الناشر: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.

٣ . تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت ٣١٠ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، بيروت - لبنان، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م.

٤ . تحف العقول عن آل الرسول، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني (من أعلام القرن الرابع الهجري)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرّسين، قم المشرفة - إيران، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ.

٥ . تفسير القمّي، أبو الحسن علي بن إبراهيم القمّي (ت نحو ٣٢٩ هـ)، تحقيق: طيب الجزائري، الناشر: دار الكتاب، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ هـ.

٦ . تهذيب الأحكام، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)،



تحقيق: السيّد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٦٤ ش.

٧. شرح نهج البلاغة، عزّ الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩ م.

٨. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني الرازي (ت ٣٢٩هـ)، طهران - إيران، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٥ ش.

٩. كامل الزيارات، جعفر بن محمد ابن قولويه القمّي (ت ٣٦٧هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، مؤسّسة نشر الفقاهة، قم المقدّسة - إيران، ١٤١٧هـ.

١٠. كتاب المزار، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: السيّد محمد باقر الموحّد الأبطحي، مؤتمر الشيخ المفيد، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

١١. مثير الأحزان ومنير سبيل الأشجان، جعفر بن محمد بن نما الحليّ (ت ٦٤٥هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام)، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ.

١٢. المزار الكبير، أبو عبد الله محمد بن جعفر المشهدي الحائري المعروف بابن المشهدي (ت ٦١٠هـ)، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني، مكتب النشر الإسلامي، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١٣. المزار، محمد بن مكّي العاملي الشهيد الأوّل (ت ٧٨٦هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام)، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

١٤. مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الميرزا حسين النوري الطبرسي



(ت ١٣٢٠هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

١٥ . مصباح المتهجّد وسلاح المتعبّد، أبو جعفر محمد بن الحسن الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، الناشر: مؤسسة الشيعة، بيروت - لبنان، ١٤١١هـ.

١٦ . المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيّومي المقرئ (ت ٧٧٠هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

١٧ . مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي ابن شهر آشوب السروي المازندراني (ت ٥٨٨هـ)، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، الناشر: مطبعة الحيدرية، النجف الأشرف - العراق، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م.

١٨ . نهج البلاغة، أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الموسوي الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ)، شرح الأستاذ محمد عبدة، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.

أَوَّل مَنْ زَارَ الْإِمَامَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

دراسة تاريخية تحليلية

د. السيد حيدر كاطع طعمة الياسري

دكتوراه في الفقه الإسلامي - فقه الأسرة / العراق

**The First to Have Visited Imam al-Husayn (PBUH)  
– An Analytical Historical Study**

**Dr. Sayyid Haidar Kati'e Toma al-Yasiri**

Doctorate in Islamic Jurisprudence - Family Jurisprudence, Iraq



## ملخص البحث

ما إن تشرفت أرض كربلاء بجسد المولى سيّد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام حتى أصبح قبره الشريف قبلة تستهوي المحبّين، وبوصلة يهتدي إليها الضالّون، فقد وردت روايات كثيرة - يصعب إحصاؤها - بفضل زيارة المولى أبي عبد الله عليه السلام؛ فمن هنا تنافس المتنافسون من أجل نيل الفضيلة، وكسب الأجر والثواب، ففُطعت الأرزاق، وبُترت الأيدي، وجُزّت الرؤوس، كلّ هذا قدّم من أجل نيل شرف زيارة المولى أبي عبد الله عليه السلام والتنافس في زيارته.

فمن هنا؛ جاءت هذه الدراسة التاريخية التحليلية التي كانت تحت عنوان: (أول من زار الإمام الحسين عليه السلام .. دراسة تاريخية تحليلية)، للتنقيب عمّن له قصب السبق في زيارة قبره عليه السلام، فبعد التنقيب في بطون الكتب ثبت أنّ هذا السبق ينحصر بين ثلاثة أشخاص، وهم: سليمان بن قتّة، وكان من الصالحين والمعاصرين لواقعة كربلاء. وعبيد الله بن الحرّ، الذي كان من الشخصيات البارزة في عصره، فقد ورد في كلّ واحد منهما إشارات وأدلة يمكن أن يُستدلّ بها على سبقه في الزيارة. أمّا ثالث هذه الشخصيات هو عقبة بن عمرو السهمي، فهو خارج عن المنافسة؛ لعدم ورود دليل صريح يؤهّله إلى ذلك، وما تمّ ذكره خلاف ذلك هو استظهار من بعض الكتاب المتأخّرين.

الكلمات المفتاحية: أول من زار، الزيارة، الإمام الحسين عليه السلام، ابن قتّة، ابن الحرّ، عقبة

السهمي.



## Abstract

As soon as the land of Karbala was honored by welcoming the body of the Master of the Martyrs, Abu Abdillah al-Husayn (PBUH), his noble grave became a destination attracting lovers and a compass guiding the lost. Numerous, or rather innumerable, narrations have been reported about the virtue of visiting our master Abi Abdillah (PBUH). Therefore, people have since long competed to obtain this virtue and to gain its reward. They sacrificed their livelihoods and got their hands amputated, and even their heads severed, all endured for the honor of visiting our master Abu Abdillah (PBUH). Hence this study, titled “*The First to Have Visited Imam al-Husayn (PBUH) – An Analytical Historical Study*” aims to investigate who had the privilege of being the first person ever to visit his grave. After delving into various books, it was established that the possibilities are limited to three individuals: Sulayman Bin Qatta, a righteous contemporary of the event of Karbala, or Ubaydullah Bin al-Hurr, a prominent figure in his time, where indications and evidence exist proving the precedence of either of them. The third possibility, Uqba Bin Amr al-Sahmi, is not considered due to the lack of explicit qualifying evidence, and that which has been mentioned regarding him being the first person, is a mere assertion by some later writers.

**Keywords:** the first to visit, Ziyara, Imam al-Husayn (PBUH), Ibn Qatta, Ibn al-Hurr, Uqba al-Sahmi.

لم تكد معالم ملحمة الطفّ الكبرى تتلاشى عن ساحة المعركة، حتى أصبح قبر أبي عبد الله عليه السلام مناراً للثائرين، وكعبة للمستضعفين، ومشعلاً لمن يطلب الحق، وسراجاً لمن يُقارع الظلم، وسلوة للمظلومين، ومزاراً لمحبي أهل البيت عليه السلام وشيعتهم، فقد جاء في الرواية عن ابن قولويه عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، أنّه قال لعبد الله بن حمّاد البصري: «بلغني أنّ قوماً يأتونه من نواحي الكوفة، وناساً من غيرهم، ونساءً يندبونه، وذلك في النصف من شعبان، فمن بين قارئ يقرأ، وقاصّ يقصّ، ونادب يندب، وقائل يقول المراثي. فقلت له: نعم، جعلت فداك قد شهدت بعض ما تصف. فقال: الحمد لله الذي جعل في الناس من يفد إلينا ويمدحنا ويرثي لنا، وجعل عدونا من يُطعن عليهم...»<sup>(١)</sup> الرواية.

وكذلك روى الكليني عن معاوية بن وهب، أنّه دخل على الإمام الصادق عليه السلام فوجده ساجداً يُناجي ربه، فكان ضمن ما جاء في مناجاته: «اغفر لي ولإخواني ولزوّار قبر أبي [عبد الله] الحسين عليه السلام، الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم رغبة في برّنا، ورجاء لما عندك في صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيّك صلواتك عليه وآله... اللهم إنّ أعداءنا عابوا عليهم بخروجهم فلم ينهم ذلك عن الشخوص إلينا... فارحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تقلّبت على حفرة أبي عبد الله عليه السلام، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا...»<sup>(٢)</sup>.

وخصوصاً في فترة الصراع الذي دار بين الدولتين الأموية والعبّاسية، والذي زامن وجود الإمام الصادق عليه السلام، فقد عاش الشيعة نحواً من الحرّية في أداء طقوسهم،

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٥٣٨.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٨٢-٥٨٣.



ومن تلك الطقوس زيارة المولى أبي عبد الله عليه السلام؛ إذ سرعان ما تحوّلت زيارته عليه السلام إلى ظاهرة دينية وثقافية عامّة.

وهذا ما شهد به المستشرق (رينولد نكلسن) في كتابه (تاريخ العرب الأدبي) عند ذكر فاجعة كربلاء، فقال ما نصّه: «وخلال بضع سنوات من مصرع الحسين كان ضريحه في كربلاء قد أصبح محجّاً للشيعة»<sup>(١)</sup>، بل ملاذاً لمن ألّمت به العاهات، مع غصّ النظر عن توجهه العقدي وميله الفكري، فقد روي عن نوادر علي بن أسباط: «لما بلغ أهل البلدان ما كان من أبي عبد الله عليه السلام، قدمت لزيارته مئة ألف امرأة ممن كانت لا تلد، فولدن كلهن»<sup>(٢)</sup>.

وتحديد عدد الزائرين بهذا الرقم قد يقال أنّه من باب المبالغة فيمنّ قدمن من النساء من أجل طلب الولد؛ لصعوبة عدّ زوّاره بهذه الدقّة في تلك العصور، أو يكون هذا العدد حصل من حين شهادته إلى حين صدور هذا التقرير.

هذا؛ وقد اختلفت النصوص وتباينت الأقوال في أوّل من قام بزيارة قبر الحسين عليه السلام وقبور آله وأصحابه رضي الله عنهم؛ وعليه فسوف نقلّب أوراق التاريخ لنرى من له قصب السبق في زيارة المولى أبي عبد الله عليه السلام، وقبل الدخول في الموضوع، نوذّ القول بأننا إذا أخذنا الزيارة بمعناها اللغوي - وهي الميل إلى المزور وقصده<sup>(٣)</sup> - فمن الممكن أن يكون ذلك الرجل الذي قصد جسد الإمام الحسين عليه السلام ومال إليه ليرى صدق مقولة الإمام علي عليه السلام وإخباره بشهادة المولى أبي عبد الله عليه السلام وأصحابه، هو أوّل الزائرين؛ فقد روي مسنداً أنّ شيبان بن مخرم - وكان عثمانياً - قال: «إني

(١) نكلسن، رينولد، تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية وصدر الإسلام، ترجمة صفاء خلوصي: ص ٣٢٨.

(٢) البحراني، عبد الله بن نور الله، العوالم: ص ٧١٨.

(٣) أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٤، ص ٣٣٥. الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ج ١، ص ٢٦٠.



لَمَعَ علي عليه السلام إذ أتى كربلاء، فقال: يُقتل في هذا الموضع شهداء ليس مثلهم شهداء إلا شهداء بدر. فقلت: بعض كذباته، وثم رجل حمار ميّت، فقلت لغلّامي: خذ رجُل هذا الحمار فأوتدها في مقعده وغيّبها، فضرب الدهر ضربة، فلما قُتل الحسين بن علي رضي الله عنهما انطلقت ومعني أصحاب لي، فإذا جثّة الحسين بن علي عليه السلام على رجل ذاك الحمار، وإذا أصحابه ربضة حوله<sup>(١)</sup>.

فهذا الرجل وأصحابه يُعدّون من زوّار الحسين عليه السلام بحسب المعنى الحرفي للزيارة؛ كونهم قصدوا القبر الشريف ومالوا إليه وإن كان قصدهم إيّاه ليس للتعظيم، بل للاستكشاف.

نعم، على مستوى المعنى الاصطلاحي - الزيارة بمعنى التعظيم - فمن الصعب عدّه ومنّ معه من زائري الإمام عليه السلام. أمّا احتمال تبدّل نيّاتهم بعدما رأوا المعجزة والكرامة للحسين عليه السلام فهذا لا شاهد عليه.

ونحن في هذه الدراسة سوف نسلّط الضوء على أوّل من زار الإمام من الآدميّين بعد دفنه هو وأهل بيته وأصحابه عليه السلام بقصد التعظيم.

### أوّل من زار الإمام الحسين عليه السلام

انحصرت هذه الزيارة الموصوفة بكونها الأولى في تلك الفترة الحسّاسة في شخصيّتين بارزتين، هما: سليمان بن قتّة، وعبيد الله بن الحرّ؛ حيث ورد في حقّ كلّ واحد منهما مؤشّرات تدلّ على قيامه بهذا الفعل.

نعم، ورد كلام عن شخصية ثالثة في المقام أيضاً، وهو عقبة بن عمرو، إلا أنّ الكلام حول كون زيارته هي الأولى لا يرقى إلى ما ذكر في حقّ الشخصيّتين الأولى والثانية. وسوف نناقش الموضوع ضمن حدود الصناعة العلمية.

(١) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج ٣، ص ١١١.



## الشخصية الأولى: سليمان بن قتّة

سليمان أو سلمان - كما عن الثعلبي<sup>(١)</sup> - ابن قتّة، ويقال: ابن قنة<sup>(٢)</sup>، أو قبة<sup>(٣)</sup>. واحتمال التصحيف عن قتّة في الجميع وارد. ونُسب إلى ابن بكّار: أنّه ابن قتيبة<sup>(٤)</sup>. وهذه النسبة غير صحيحة<sup>(٥)</sup>؛ فقد ذكره في (الموفقيّات) بابن قتّة<sup>(٦)</sup>، وهذا ما نقله عنه المسعودي<sup>(٧)</sup>. وقال الماوردي: سليمان بن فيد<sup>(٨)</sup>. وزعم بعض أنّه ابن حبيب المحاربي<sup>(٩)</sup>. والأوّل أشهر.

وهو من خزاعة<sup>(١٠)</sup>، وقيل: من بني تميم<sup>(١١)</sup>، أو تيم<sup>(١٢)</sup>. وقيل: مولا هم<sup>(١٣)</sup>.

- (١) الثعلبي، أحمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ج ٨، ص ٢٨٩.
- (٢) ابن العديم الحلبي، عمرو بن أحمد، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج ٦، ص ٢٦٦٨. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تعجيل المنفعة: ص ١٦٧.
- (٣) ابن عبد البرّ، يوسف بن عبد الله، الاستذكار: ج ٨، ص ٥٥٢. الثعلبي، أحمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ج ٣، ص ١٧١. ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة: ج ٢، ص ٢١.
- (٤) القيرواني، إبراهيم بن علي، زهر الأدب وثمر الألباب: ج ١، ص ١٣٥. ابن نما الحليّ، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ص ٨٨. الأندلسي، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير: ج ٣، ص ٣٤٤.
- (٥) البخاري، محمد بن جعفر، التاريخ الكبير: ج ٤، ص ٣٣. ابن حبان، محمد بن حبان، الثقات: ج ٤، ص ٣١١.
- (٦) ابن بكّار، الزبير بن بكّار، الأخبار الموفقيّات: ص ٤٥٤.
- (٧) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب: ج ٣، ص ٦٤.
- (٨) الماوردي، علي بن محمد، تفسير الماوردي (النكت والعيون): ج ١، ص ٤٢٥.
- (٩) العلوي العمري، علي بن محمد، المجدي في أنساب الطالبين: ص ٣٣٢. الأمين، محسن بن عبد الكريم، أعيان الشيعة: ج ٧، ص ٣٠٨.
- (١٠) ابن عبد البرّ، يوسف بن عبد الله، الاستيعاب: ج ١، ص ٣٩٤. ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة: ج ٢، ص ٢١. البري، محمد بن أبي بكر، الجوهرة في نسب الإمام علي وآله: ص ٤٧.
- (١١) المبرّد، محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب: ج ١، ص ١٨٠.
- (١٢) ابن حمدون، محمد بن الحسن، التذكرة الحمدونية: ج ٤، ص ٢١٩.
- (١٣) الذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام: ج ٧، ص ١٠٠.

وَنُقَلَّ أَنَّهُ كَانَ مُنْقَطِعاً لِبَنِي هَاشِمٍ<sup>(١)</sup>؛ وَهَذَا مَا حَمَلَ ابْنُ شَهْرَآشُوبَ أَنْ يَنْسِبَهُ إِلَى  
 بَنِي هَاشِمٍ<sup>(٢)</sup>، وَالظَّاهِرُ هَذَا مَا جَعَلَهُ يَقُولُ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي سَوْفَ نَوْرِدُهَا لَاحِقاً:  
 وَعِنْدَ غَنِي قَطْرَةٍ مِنْ دِمَائِنَا      سَنُطْلِبُهُمْ يَوْمًا بِهَا حَيْثُ حَلَّتِ  
 وَقَالَ الدِّينُورِيُّ بِأَنَّهُ مَوْلَى لـ: (تَيْمُ قَرِيْشٍ)<sup>(٣)</sup>. وَقَتَّةُ أُمِّهِ كَمَا قَالَ ابْنُ الْمَدِينِيِّ<sup>(٤)</sup>،  
 يُنْسَبُ إِلَيْهَا دُونَ أَبِيهِ.

مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ<sup>(٥)</sup>، فَارَسَ شَاعِرٌ<sup>(٦)</sup>، مِنَ الشَّيْعَةِ الْتَابِعِينَ<sup>(٧)</sup>، كَانَ مُؤْمِناً صَالِحاً<sup>(٨)</sup>،  
 عَرَضَ الْقُرْآنَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ، وَهُوَ مُعَدُّودٌ مِنَ الْقُرَّاءِ. سَمِعَ ابْنَ  
 عَبَّاسٍ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَمَعَاوِيَةَ<sup>(٩)</sup>، رَوَى عَنْهُ مُوسَى بْنُ أَبِي عَائِشَةَ<sup>(١٠)</sup>.  
 وَكَانَ الرَّجُلُ مِنَ الْمَوَالِينَ لِأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهَذَا وَاضِحٌ مِنْ قِصَائِدِهِ الَّتِي أَنْشَدَهَا  
 فِي حَقِّهِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَدْ أَنْشَدَ فِي الْإِمَامِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ وَفَاتِهِ:

يَا كَذَّبَ اللَّهُ مَنْ نَعَى حَسَنًا      لَيْسَ لِتَكْذِيبِ نَعْيِهِ ثَمَنٌ  
 كُنْتُ خَلِيلِي وَكُنْتُ خَالِصَتِي      لِكُلِّ حَيٍّ مِنْ أَهْلِهِ سَكَنٌ  
 أَجُولُ فِي الدَّارِ لَا أَرَاكَ وَفِي      الدَّارِ أَنْاسِي جِوَارِهِمْ غَبْنٌ  
 بَدَّلْتَهُمْ مِنْكَ لَيْتَ أَنَّهُمْ      أَضْحَوْا وَبَيْنِي وَبَيْنَهُمْ عَدْنٌ<sup>(١١)</sup>

(١) المبرّد، محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب: ج ١، ص ١٨٠.

(٢) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٦٣.

(٣) الدينوري، عبد الله بن مسلم، المعارف: ص ٤٨٧.

(٤) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تعجيل المنفعة: ص ١٦٧.

(٥) البخاري، محمد بن إسماعيل، التاريخ الكبير: ج ٤، ص ٥٩٦.

(٦) القمّي، عباس بن محمد رضا، الكنى والألقاب: ج ١، ص ٣٨٣.

(٧) الأمين، محسن بن عبد الكريم، أعيان الشيعة: ج ٧، ص ٣٠٨.

(٨) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، الاستذكار: ج ٨، ص ٥٥٢.

(٩) البخاري، محمد بن إسماعيل، تاريخ البخاري: ج ٤، ص ٣٢.

(١٠) القمّي، عباس بن محمد رضا، الكنى والألقاب: ج ١، ص ٣٨٣.

(١١) أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبين: ص ٥٠.



وقصائده في الحسين عليه السلام معروفة، سوف نذكر شطراً منها خلال البحث.  
وفيهما يتعلّق بصلب البحث نقول: قد ورد نصّ صريح في أنّ سليمان بن قتّة قد  
زار المولى أبا عبد الله بعد ثلاثة أيام، فقد نُقل عن ابن عائشة أنّه قال: «مرّ سليمان بن  
قتيبة العدوي ومولى بني تميم بكر بلاء بعد قتل الحسين عليه السلام بثلاث، فنظر إلى مصارعهم<sup>(١)</sup>  
فاتكأ على فرس له عربية، وأنشأ:

مررتُ على أبيات آل محمد	فلم أرها أمثالها يوم حلّت
ألم تر أنّ الشمس أضحت مريضة	لفقدِ حسينٍ والبلاد اقشعرت
وكانوا رجاءً ثمّ أضحووا رزية	لقد عظمت تلك الرزايا وجلّت
وتسألنا قيسٌ فنُعطي فقيرها	وتقتلنا قيسٌ إذا النعل زلّت
وعند غنيّ قطرةٌ من دمائنا	سنطلبهم يوماً بها حيث حلّت
فلا يُبعد الله الديار وأهلها	وإن أصبحت منهم برغم تحلّت
فإنّ قتيل الطفّ من آل هاشمٍ	أذلّ رقاب المسلمين فذلّت
وقد أعلوت تبكى النساء لفقده	وأنجمنّا ناحت عليه وصلّت <sup>(٢)</sup> .

وذكر ذلك كلّ من الأمين في (أعيان الشيعة)<sup>(٣)</sup>، وعنه جواد شبر في (أدب الطفّ)<sup>(٤)</sup>،  
ونقلها ابن العديم كذلك في (بغية الطلب)<sup>(٥)</sup>، إلّا أنّ الرواية نُقلت بسند آخر عن  
ابن عائشة خلية عن تحديد الزمان<sup>(٦)</sup>، ومن الممكن أن يكون تاريخ الزيارة حُذف من  
قيل الرواة.

- (١) وفي بعض المصادر: «فنظر إلى مصارع شهداء الطفّ فبكى حتّى كاد أن يموت، ثمّ قال...».  
القمي، عبّاس بن محمد رضا، الكنى والألقاب: ج ١، ص ٣٨٣.  
(٢) ابن نما الحلبيّ، محمد بن جعفر، مثير الأحرار: ص ٨٩.  
(٣) أنظر: الأمين، محسن بن عبد الكريم، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٦٢٢.  
(٤) أنظر: شبر، جواد بن عليّ محمد، أدب الطفّ: ج ١، ص ٥٤.  
(٥) أنظر: ابن العديم الحلبي، عمرو بن أحمد، بغية الطلب في تاريخ حلب: ج ٦، ص ٢٦٦٨.  
(٦) أنظر: المقدسي، محمد بن عبد الواحد، المنتقى من مسموعات مرو - مخطوط: ص ١٨٨.

وكيفما كانت زيارته فإنّها تُعدّ - بالنظر إلى كونه شاعراً - تحدياً لسلطان بني أمية، وتجرواً على كسر الإجراءات التي وضعها ابن زياد على الشيعة، فقد كان الشاعر لا يُقدّم على ذلك مخافة من بني أمية، وخشية منهم<sup>(١)</sup>، حتى أصبحت أبياته مضرب مثل لمن بعده، فقد روي أنّ مصعباً لما خرج إلى حرب عبد الملك سأل عن الحسين بن علي عليه السلام، وكيف كان قتله؟ فجعل عروة بن المغيرة يُحدّث عن ذلك، فقال متمثلاً بقول سليمان بن قتّة:

وإن الألى بالطفّ من آل هاشمٍ      تأسّوا فسنّوا للكرام التأسيّا<sup>(٢)</sup>

لكنّ هناك من نسب هذه القصيدة إلى غيره، فقد ذهب جماعة<sup>(٣)</sup> إلى أنّها لأبي الرميح<sup>(٤)</sup>، وبعض ذكر أنّها لأبي دهبيل<sup>(٥)</sup>.

وقد جمع السيّد الأمين بين القول الأوّل والثاني بقوله: «والظاهر أنّ لكلّ من

(١) أنظر: أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبين: ص ٨١.

(٢) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة: ج ٣، ص ٢٩٨.

(٣) أنظر: الأشعري، علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين: ج ١، ص ٧٧. الصحاري، سلمة بن مسلم، الأنساب: ص ١٩٦.

(٤) أبو الرميح: هو عُمر - أو جندب - بن مالك بن حنظب - وقيل: حنطب، أو حطب - بن عبد شمس بن سعد بن أبي غنم بن حبيب بن حَبَر، وقيل: ابن السؤدد، أو شوذب. من خزاعة من أهل المدينة، توفّي في حدود سنة ١٠٠ هـ، وقيل: بقي إلى عام ١٤٩ هـ، شاعر، رثى الحسين بن علي شعراً، وكان مكثراً في رثاء الحسين عليه السلام، مقلّداً في غيره. أنظر: الكلبي، محمد بن السائب، نسب معد واليمن الكبير: ج ٢، ص ٤٤٦. الصحاري، سلمة بن مسلم، الأنساب: ص ٥٩٠. ابن حبيب، محمد بن حبيب، كتاب كنى الشعراء ومن غلبت كنيته على اسمه (المطبوع ضمن نوادر المخطوطات):

ج ٢، ص ٢٨٦. النديم، محمد بن إسحاق، الفهرست: ص ١٩٩. الأمدى، الحسن بن بشر، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري: ج ٣، ص ٢٤١. الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ٢، ص ٣٨٠.

(٥) أبو دهبيل: وهب بن زمعة بن أسد، من أشراف بني جمح بن لؤي بن غالب، من قريش (ت ٦٣ هـ)، أحد الشعراء العشاق المشهورين، من أهل مكة، قال المرتضى: هو من شعراء قريش، له ديوان في الشعر، توفي عام ٦٣ هـ. انظر: الأقطسي، محمد بن محمد، المجموع اللفيف: ص ٥٤٦. الزركلي، خير الدين، الأعلام: ج ٨، ص ١٢٥.



سليمان بن قتّة وأبي الرميح أبياتاً في رثاء الحسين عليه السلام على هذا الوزن وهذه القافية، وقد أدخل بعض أبيات كلّ منهما في أبيات الآخر...»<sup>(١)</sup>.

وهذا ما استظهره شبر<sup>(٢)</sup>. وروى بعضهم مسنداً أنّها لأبي دهبيل<sup>(٣)</sup>، فروي عن موسى بن يعقوب، قال: «أنشدني أبو دهبيل قوله في رثاء الحسين بن علي ومَن استشهد معه في قصيدة من خمسة عشر بيتاً، جاء في أوّلها:

مررتُ على أبيات آل محمد فلم أرها أمثالها يوم حلّت<sup>(٤)</sup>

وهذا ما ذكره الحموي في (معجم البلدان) أيضاً<sup>(٥)</sup>.

ومهما يكن فالأمر سهل؛ فإنّ اختلاف الناشد لا يُغيّر في المسألة شيئاً؛ لأنّنا بصدد مَن زار وليس مَن أنشد.

### الشخصية الثانية: عبيد الله بن الحرّ الجعفي

وهو عبيد الله بن الحرّ بن عمرو بن خالد بن المجمع بن مالك بن كعب بن عوف بن حريم بن جعفي بن سعد العشيرة بن مالك أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ الجعفي، من أهل الكوفة<sup>(٦)</sup>، له إدراك، وكان شاعراً شهد القادسية<sup>(٧)</sup>، قُتل عام ثمانية وستين<sup>(٨)</sup>.

(١) الأمين، محسن بن عبد الكريم، أعيان الشيعة: ج ٧، ص ١٤.

(٢) شبر، جواد بن علي محمد، أدب الطفّ: ج ١، ص ٥٥.

(٣) أنظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان: ج ٤، ص ٣٦.

(٤) أنظر: أبو دهبيل الجمحي، وهب بن زمعة، ديوان أبي دهبيل الجمحي (برواية الشيباني): ص ٦٠.

(٥) الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم الأدباء: ج ٤، ص ٣٦.

(٦) أنظر: ابن أعثم الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج ٦، ص ٢٦٩. ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٧، ص ٤١٧.

(٧) أنظر: ابن حجر، أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة: ج ٥، ص ٨٨.

(٨) أنظر: ابن الأثير، علي بن محمد، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٢٩٥. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٥٩٤.

وقع الجدل في توجّبه العقائدي وميوله السياسي، والظاهر أنّ الرجل منحرف عن خطّ علي بن أبي طالب عليه السلام، فلم يكن حسن السيرة ولا سليم العقيدة، فقد صنّف من حيث التوجّه العقدي والسياسي على خطّ الأمويّين؛ وذلك من خلال مواقفه التالية:

#### أولاً: موقفه من الإمام علي عليه السلام

فيما لو أردنا أن نصنّف ابن الحرّ سياسياً حسب تحركاته تجاه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام؛ فإنّه يُعدّ من أصحاب عثمان بن عفّان<sup>(١)</sup>؛ وذلك لأنّه لما قُتل عثمان انحاز إلى معاوية<sup>(٢)</sup>، وقال: «أما إنّ الله ليعلم أنّي أحبّ عثمان، ولأنصرته ميتاً. فخرج إلى الشام، فكان مع معاوية... وشهد معه صفين، ولم يزل معه حتى قُتل الإمام علي عليه السلام»<sup>(٣)</sup>. إنّ هذا بحدّ ذاته مثلبة عظيمة لا تغتفر إذا لم يتب عنها. أضف إلى ذلك؛ فإنّه لم يستح حين قدم الكوفة مخاصماً عكرمة بن الحنبل الذي نكح زوجته، وعند رفع القضية إلى أمير المؤمنين عليه السلام عاتبه بقوله: «ظهرت علينا عدونا وفعلت وفعلت. فقال له: أيمنعني ذلك من عدلك؟ قال: لا...»<sup>(٤)</sup>.

وقدم حين قُتل الإمام علي عليه السلام: «قدم ابن الحرّ الكوفة، فأثنى إخوانه ومن قد خفّ في الفتنة، فقال لهم: يا هؤلاء، ما أرى أحداً ينفعه اعتزاله، كنّا بالشام، فكان من أمر معاوية كيت وكيت. فقال له القوم: وكان من أمر علي كيت وكيت. فقال: يا هؤلاء، إنّ تمكّنا الأشياء فاخلعوا عذرکم، واملکوا أمرکم. قالوا: سنلتقي. فكانوا يلتقون على ذلك، فلمّا مات معاوية هاج ذلك الهيج في فتنة ابن الزبير، قال: ما أرى قريشاً تنصف، أين أبناء الحرائر؟ فأناه خلیع کلّ قبيلة، فكان معه سبعمئة فارس، فقالوا: مرنا بأمرک.

(١) أنظر: الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام: ج ٤، ص ١٩٢.

(٢) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٥٨٦.

(٣) المصدر السابق.

(٤) النويري، أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٢١، ص ٦٨.





فلما هرب عبيد الله بن زياد ومات يزيد بن معاوية، قال عبيد الله بن الحرّ لفتيانته: قد بين الصبح لذي عينين، فإذا شئتم. فخرج إلى المدائن فلم يدع مالاّ قدم من الجبل للسلطان إلاّ أخذه»<sup>(١)</sup>.

وقد شهد على نفسه بذلك حين دعاه الإمام الحسين عليه السلام فأبى، وقال: «قد أعييت أباك قبلك»<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: عدم نصرته للحسين عليه السلام

من المواقف التي تُسجّل على الرجل قدوم الإمام الحسين عليه السلام عليه ودعوته إيّاه لنصرته، فلم ينصره؛ وذلك أنّ الإمام الحسين عليه السلام حين نزل في قصر بني مقاتل، فإذا هو بفسطاط، فقال الحسين عليه السلام: لمن هذا الفسطاط؟ ف قيل: لرجل يقال له عبيد الله بن الحرّ الجعفي. فأرسل الحسين له الحجاج بن مسروق الجعفي، فدخل عليه، فقال ابن الحرّ ما وراءك؟ فقال الحجاج: والله ورائي يابن الحرّ، والله قد أهدى الله إليك كرامة إن قبلتها. قال: وما ذاك؟ فقال: هذا الحسين عليه السلام يدعوكم إلى نصرته، فإن قاتلت بين يديه أُجرت، وإن متّ فإنّك استشهدت.

فقال له عبيد الله: والله، ما خرجت من الكوفة إلاّ مخافة أن يدخلها الحسين بن علي وأنا فيها، فلا أنصره؛ لأنّه ليس له في الكوفة شيعة ولا أنصار إلاّ وقد مالوا إلى الدنيا إلاّ من عصم الله منهم، فارجع إليه وخبره بذلك.

وعندما رجع الحجاج إلى الإمام الحسين عليه السلام وأخبره بجواب ابن الحرّ، قام الحسين مع جماعة من أصحابه، فلما دخل الحسين عليه السلام على ابن الحرّ وسلّم عليه، وثب من صدر المجلس، وجلس الحسين، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أمّا بعد، يابن الحرّ، فإنّ مصركم هذه كتبوا إليّ وخبروني أنّهم مجتمعون على نصرتي، وأن يقوموا دوني ويقاتلوا عدوّي، وأنّهم سألوني القدوم عليهم، فقدمت ولست أدري القوم على ما زعموا؛ لأنّهم قد أعانوا على قتل ابن عمّي مسلم بن

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٥٨٦.

(٢) ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام): ص ٩٣.



عقيل عليه السلام وشيعته، وأجمعوا على ابن مرجانة عبيد الله بن زياد يبايعني ليزيد بن معاوية، وأنت يابن الحرّ، فاعلم أنّ الله عز وجل مؤاخذك بما كسبت وأسلمت من الذنوب في الأيام الخالية، وأنا أدعوك في وقتي هذا إلى توبة تغسل بها ما عليك من الذنوب، وأدعوك إلى نصرتنا أهل البيت، فإن أعطينا حقنا حمدنا الله على ذلك وقبلناه، وإن منعنا حقنا وركبنا بالظلم كنت من أعواني على طلب الحق.

فقال عبيد الله بن الحرّ: والله يابن بنت رسول الله، لو كان لك بالكوفة أعوان يقاتلون معك لكنّ أنا أشدّهم على عدوك، ولكنّي رأيت شيعتك بالكوفة وقد لزموا منازلهم خوفاً من بني أمية ومن سيوفهم، فأنتشدك بالله أن تطلب منّي هذه المنزلة، وأنا أواسيك بكلّ ما أقدر عليه، وهذه فرسي ملجمة، والله ما طلبت عليها شيئاً إلّا أدقته حياض الموت، ولا طُلبت وأنا عليها فلُحقت، وخذ سيفي هذا فوالله ما ضربت به إلّا قطعت.

فقال له الحسين عليه السلام: يابن الحرّ، ما جئناك لفرسك وسيفك، إنّما أتيناك لنسألك النصرة، فإن كنت قد بخلت علينا بنفسك فلا حاجة لنا في شيء من مالك، ولم أكن بالذي اتّخذ المضلّين عضداً؛ لأنّي قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: مَنْ سَمِعَ دَاعِيَةَ أَهْلِ بَيْتِي وَلَمْ يَنْصُرْهُمْ عَلَى حَقِّهِمْ إِلَّا أَكْبَهُهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ.

ثم سار الحسين عليه السلام من عنده ورجع إلى رحله <sup>(١)</sup>. وقيل: إنّهُ عليه السلام قال له: «إذا بخلت علينا بنفسك فلا حاجة لنا في مالك، ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضْداً﴾» <sup>(٢)</sup>. وقال عبيد الله: «فوالله، لَهَبْتُ كَلِمَتَهُ تِلْكَ، فَخَرَجْتُ هَارِباً مِنْ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، خَافَةَ أَنْ يُوَجِّهَنِي إِلَيْهِ. فَلَمْ أَزَلْ فِي الْخَوْفِ حَتَّى انْقَضَى الْأَمْرُ، فَندَمَ عبيد الله على تركه نُصْرَةَ حُسَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» <sup>(٤)</sup>.

(١) أنظر: ابن أعثم الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ٧٣-٧٤.

(٢) الكهف: الآية ٥١.

(٣) الحوزي، عبد علي بن جمعة، تفسير نور الثقلين: ج ٣، ص ٢٦٩.

(٤) ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى (ترجمة الإمام الحسين): ص ٩٣.



### ثالثاً: موقفه من ثورة المختار الثقفي

ومن المواقف الأخرى التي تُحسب على الرجل موقفه من المختار، فكان موقفه موقفَ المعارض من ثورته، بل موقف المحرّض المشاكس، الذي انتهى به المقام برفع سيفه ضدّ المختار وأصحابه في فترة معيّنة، حيث جعل يعيث بعمّال المختار وأصحابه؛ ممّا جعل همدان تثب مع المختار، فيقومون بإحراق داره ونهب ضيعته بالجبة والبداءة، فلما بلغه ذلك سار إلى ماه إلى ضياع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس فأنهبها وأنهب ما كان لهمدان بها، ثم أقبل إلى السواد فلم يدع مالا لهمداني إلا أخذه<sup>(١)</sup>.

ونُقل أنّه بايع المختار بعد امتناع، وسار مع إبراهيم بن الأشتر إلى الموصل، لكنّه تمارض ولم يقاتل معه ابن زياد، ثمّ فارق ابن الأشتر، وأقبل إلى الأنبار في ثلاثمئة، فأغار عليها، وأخذ ما في بيت مالها، فلما فعل ذلك أمر المختار بهدم داره وأخذ امرأته، وانتهى به المقام في مشاركة ابن الزبير في قتال المختار الذي أدّى إلى مصرع الأخير، لكن لم تدم الأمور بين ابن الحرّ وابن الزبير، فخرج الأوّل على الأخير مقاتلاً<sup>(٢)</sup>.

وقيل: إنّهُ اختلف مع إبراهيم بن الأشتر، وذلك حين أرسل له الأخير خمسة آلاف درهم من جباية المدائن، فغضب ابن الحرّ، فقال: أنت أخذت لنفسك عشرة آلاف درهم، وما كان الحرّ دون مالك. فأنكر إبراهيم ذلك، وأرسل إليه خمسة آلاف درهم ليسترضيه فلم يرّض، وخرج على المختار ونقض عهده، وأغار على سواد الكوفة، فنهب القرى، وقتل العمّال، وأخذ الأموال، ومضى إلى البصرة إلى مصعب بن الزبير<sup>(٣)</sup>.

### رابعاً: موقفه من سواد المسلمين

لم يسلم المسلمون من شرّه، فهو عندما هرب عبيد الله بن زياد ومات يزيد بن

(١) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٥٨٨.

(٢) أنظر: النويري، أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٢١، ص ٧١-٧٣.

(٣) أنظر: ابن نهار الحلي، جعفر بن محمد، ذوب النصار: ص ١٣١.

معاوية خرج إلى المدائن، ولم يدع مالاّ قدم من الجبل للسلطان إلّا أخذه. كما أنّه أخذ يغيّر على أهل السواد، حتى ظهر المختار وبلغه ما يصنع بالسواد، فأمر بامرأته أم سلمة الجعفية فحبّست، وقال: والله، لأقتلنه أو لأقتلن أصحابه، فلمّا بلغ ذلك عبيد الله بن الحرّ أقبل في فتياه حتى دخل الكوفة ليلاً، فكسر باب السجن وأخرج امرأته وكلّ امرأة ورجل كان فيه، فبعث إليه المختار من يقاتله، فقاتلهم حتى خرج من المصر<sup>(١)</sup>.

بعد هذه المواقف وقول الإمام له بعد أن اعتذر عن نصرته الإمام: ﴿وَمَا كُنْتُ مَسْخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا﴾. يصعب قبول توثيق من وثقه وقال عنه: «والرجل صحيح الاعتقاد، سيّئ العمل، وقد يُرجى له النجاة بحسن عقيدته وبحنوّ الحسين عليه السلام وتعطفه عليه، حيث أمره بالفرار من مكانه حتى لا يسمع الواعية فيكبّه الله على وجهه في النار، والله أعلم بحقيقة حاله»<sup>(٢)</sup>.

#### عبيد الله بن الحرّ يزور الإمام الحسين عليه السلام

يتبيّن من خلال تعدّد عبيد الله بن الحرّ عن نصرته الإمام الحسين عليه السلام حين طلب الإمام منه ذلك، أنّ الأوّل لم يكن بعيداً عن ساحة المعركة، وهذا ما جعله يحضر لزيارة الإمام عليه السلام في وقت قصير حسب ما ذكره البغدادي في خزنة الأدب<sup>(٣)</sup>. أمّا كونه قريباً عن ساحة المعركة فذلك يُفهم من أمرين:

١. إنّ الحوار الذي جرى بين الإمام عليه السلام وابن الحرّ كان عند قصر بني مقاتل، وقصر بني مقاتل يقع جنوب غرب كربلاء، فقد ارتحل إليه الإمام الحسين عليه السلام بعدما صدّه الحرّ بن يزيد الرياحي<sup>(٤)</sup>. قال أبو مخنف: «فلما قدم الحسين رضي الله تعالى

(١) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٥٨٧.

(٢) بحر العلوم، محمد المهدي بن مرتضى، الفوائد الرجالية: ج ١، ص ٣٢٧-٣٢٨.

(٣) أنظر: البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزنة الأدب: ج ٢، ص ١٥٩.

(٤) أنظر: الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص ٢٥٠.

عنه قصر بني مقاتل ونزل، رأى فسوطاً مضروباً فقال: لمن هذا الفسوط؟  
فقيل: لعبيد الله بن الحرّ الجعفي<sup>(١)</sup>.

٢. إنّ منزل ابن الحرّ كان على تخوم كربلاء، حيث ذكر أنّ منزله على شاطئ  
الفرات<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا؛ يمكن القول بأنّ زيارته كانت في اليوم الثالث بعدما انفكّ العسكر  
ودُفنت الأجساد الطاهرة.

أمّا لماذا هي بعد دفن الأجساد وليس قبلها؟ حيث يُستبعد أن يمرّ على جثمانهم  
ولا يدفنهم؛ ومن هنا ذهب بعض إلى أنّه أوّل من سارع لزيارته، مثل: تحسين آل  
الشبيب<sup>(٣)</sup>، وعبد الصاحب آل نصر الله<sup>(٤)</sup>.

وشاهد هذا القول ما رواه الطبري عن أبي مخنف، عن عبد الرحمن بن جندب  
الأزدي: «أنّ عبيد الله بن زياد بعد قتل الحسين تفقّد أشراف أهل الكوفة، فلم يرَ عبيد  
الله بن الحرّ، ثمّ جاءه بعد أيام حتى دخل عليه. فقال: أين كنت يا ابن الحرّ؟ قال: كنت  
مريضاً. قال: مريض القلب، أو مريض البدن؟ قال: أمّا قلبي فلم يمرض، وأمّا بدني  
فقد منّ الله عليه بالعافية. فقال له ابن زياد: كذبت، ولكنك كنت مع عدوّنا. قال: لو  
كنت مع عدوّك لرؤيت مكاني، وما كان مثل مكاني يخفى. قال: وغفل عنه ابن زياد غفلة،  
فخرج ابن الحرّ فقعده على فرسه، فقال ابن زياد: أين ابن الحرّ؟ قالوا: خرج الساعة. قال:  
عليّ به، فأحضرت الشرط، فقالوا له: أجب الأمير، فدفع فرسه ثمّ قال: أبلغوه أنّي لا  
آتيه والله طائعاً أبداً.

ثمّ خرج حتى أتى منزل أحمربن زياد الطائي، فاجتمع إليه في منزله أصحابه، ثمّ

(١) البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزائن الأدب: ج ٢، ص ١٣٩.

(٢) أنظر: العاملي المشغري، يوسف بن حاتم، الدرر النظيم: ص ٥٥.

(٣) أنظر: آل الشبيب، تحسين، مرقد الإمام الحسين عليه السلام: ص ١٠٣.

(٤) أنظر: آل نصر الله، عبد الصاحب بن ناصر، تاريخ كربلاء: ج ٢، ص ١١٦.

خرج حتى أتى كربلاء، فنظر إلى مصارع القوم، فاستغفر لهم هو وأصحابه، ثم مضى حتى نزل المدائن وقال في ذلك:

يقول أمير غادر حقّ غادر  
فيا ندمي ألا أكون نصرته  
وإني لأنّي لم أكن من حماته  
سقى الله أرواح الذين تأزروا  
وقفتُ على أجداثهم ومجاهم  
لعمري لقد كانوا مصاليت في الوغى  
تأسوا على نصر ابن بنت نبيهم  
فإن يقتلوا فكل نفسٍ تقيّة  
وما إن رأى الراؤون أفضل منهم  
أنقتلهم ظلماً وترجو وِدادنا  
لعمري لقد راغمتونا بقتلهم  
أهمُّ مراراً أن أسير بجحفلٍ  
فكفّوا وإلا ذدتكم في كتائب

ألا كنت قاتلتَ الشهيدَ ابنَ فاطمه  
ألا كل نفس لا تُسدّد نادمه  
لذو حسرة ما إن تُفارق لازمه  
على نصره سقيا من الغيثِ دائمه  
فكاد الحشا ينفضّ والعينُ ساجمه  
سِراعاً إلى الهيجا حُماة خضارمه  
بأسيا فهم آساد غيلٍ ضراغمه  
على الأرض قد أضحت لذلك واجمه  
لدى الموت ساداتٍ وزهراً قماقمه  
فدع خطّة ليست لنا بملائمه  
فكم ناقيم منّا عليكم وناقمه  
إلى فئة زاغت عن الحقّ ظالمه  
أشدّ عليكم من زحوف الديالمه<sup>(١)</sup>.

فتفقّد ابن زياد لابن الحرّ - على ما ذكر أبو مخنف - وسوّاله له عن حضوره بين صفوف جيشه العائد توّاً من كربلاء، دليل على أنّ ذلك كان بعد حصول المعركة بوقت قصير، وهذا ما صرح به ابن أعثم؛ إذ ذكر أنّ ما وقع بين ابن الحرّ وابن زياد كان بعد ثلاثة أيام من مقتل الحسين عليه السلام<sup>(٢)</sup>.

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٩. وأنظر: النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج ٢١، ص ٦٩.

(٢) أنظر: ابن أعثم، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج ٦، ص ٢٧١.



وجاءت هذه الزيارة في وقت استتبّ الظلم والاضطهاد على الناس، فلم يجرؤ أحد على أن يُخالف النظام آنذاك.

هذا؛ وإنّ ابن الحرّ بعد تركه لنصرة الإمام الحسين عليه السلام سرعان ما عضّ أصابع الندم، واستولت عليه الحسرة، فذرف دموع الحزن على ذلك، فأنشد وقلبه يعتصره الألم:

«أراها حسرةً ما دمتُ حيّاً  
حسينٌ حين يطلب بذل نصري  
فلو واسيته يوماً بنفسي  
مع ابن محمد تفديه نفسي  
غداة يقول لي بالقصر قولاً  
فلو فلق التلهب قلبَ حيٍّ  
فقد فاز الذي نصر الحسين

وأنشد في موقف آخر:

«أيرجو ابن الزبير اليوم نصري  
وكان تخلفني عنه تبابا  
ولو أنّي أواسيه بنفسي

ومن أشعاره كذلك في هذا الصدد:  
يبيتُ النّشاوى من أمية نوماً  
وما ضيّع الإسلامَ إلّا قبيلة  
وأضحت قناة الدين في كفّ ظالم

تردّد بين صدري والتراقي  
على أهل العداوة والشقاق  
لنلتُ كرامةً يومَ التلاقي  
فودّع ثمّ ولّى بانطلاق  
أترُكنا وتعمزُ بالفراق  
لهم القلبُ منّي بانفلاق  
وخاب الأخسرون ذوو النفاق<sup>(١)</sup>.

بعاقبةٍ ولم أنصر حسينا!  
وتركي نصره غبناً وجبنا  
أصبتُ فضيلةً وقررتُ عينا<sup>(٢)</sup>.

وبالطفّ قتل لا ينأى حميمها  
تأمر نوكاها ودامَ نعيمها  
إذا اعوجّ منها جانبٌ لا يقيمها

(١) المصدر السابق: ج ٥، ص ٧٨.

(٢) ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام): ص ٩٤.

فأقسمت لا تنفك نفسي حزينَةً  
وعيني تبكي لا يحفُّ سجومها  
حياتي أو تلقى أُمّية خزية  
يذلُّ لها حتّى الممات قرومها<sup>(١)</sup>.

### الشخصية الثالثة: عقبة بن عمرو

عقبة بن عمرو السهمي، من بني سهم بن عوف بن غالب<sup>(٢)</sup>، وقيل: من بني عبس<sup>(٣)</sup>، ولم أعثر على ترجمة هذا الشخص، ومن الممكن أن يكون هو عقبة بن عمار أبو الضريس البصري العبسي<sup>(٤)</sup>، وعده ابن حبان من أهل الكوفة<sup>(٥)</sup>، روى عن مسعود بن حراش أخيه ربعي بن حراش، وعن عبد الرحمن بن عابس، والمغيرة بن حذف. وقد روى عنه وكيع وعبد الله بن داود<sup>(٦)</sup>، روى له الشيباني<sup>(٧)</sup> والبيهقي<sup>(٨)</sup>. ذكر الشيخان المفيد والطوسي أنّه أول من رثا الحسين عليه السلام. ومن رثائه يتبيّن أنّه زار الإمام الشهيد عليه السلام ريجانة رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك بحسب ما ورد في قصيدته التي سوف نذكرها.

فقد روى كلّ من الشيخ المفيد والطوسي عن: «أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، قال: أخبرني محمد بن إبراهيم، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعيد الوراق، قال: حدّثني مسعود بن عمرو الجحدري، قال: حدّثني إبراهيم بن داحة، قال: أول شعر رُثي

(١) ابن نما الحلّي، جعفر بن محمد، ذوب النضار: ص ٨٥.

(٢) البحراني، عبد الله بن نور الله، العوالم (الإمام الحسين): ص ٥٤٣.

(٣) سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزغلي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان: ج ٨، ص ١٧٨.

(٤) أنظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، التاريخ الكبير: ج ٦، ص ٤٤١.

(٥) أنظر: ابن حبان، محمد بن حبان، الثقات: ج ٨، ص ٤٩٩.

(٦) أنظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، التاريخ الكبير: ج ٦، ص ٤٤١. الرازي، عبد الرحمن بن أبي

حاتم، الجرح والتعديل: ج ٦، ص ٣١٥.

(٧) أنظر: ابن أبي شيبه الكوفي، عبد الله بن محمد، المصنّف: ج ٧، ص ٥٦٠.

(٨) أنظر: البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى: ج ٤، ص ٢٠٩.





به الحسين بن علي عليه السلام قول عقبة بن عمرو السهمي من بني سهم بن عوف بن غالب:

إذا العين قرّت في الحياة وأنتم      تخافون في الدنيا فأظلم نورها  
مررتُ على قبر الحسين بكر بلا      ففاض عليه من دموعي غزيرها  
فما زلتُ أرثيه وأبكي لشجوه      ويُسعِدُ عيني دمُعها وزفيرها  
وبكيتُ من بعد الحسين عصائباً      أطافت به من جانبيها قبورها  
سلام على أهل القبور بكر بلا      وقلّ لها منّي سلام يزورها  
سلام بأصال العشيّ وبالضحى      تؤدّيه نكباء الرياح ومورها  
ولا برح الوفاؤ زوّار قبره      يفوح عليهم مسكها وعبرها<sup>(١)</sup>.

ونقل هذه القصيدة كلّ من المشغري العاملي<sup>(٢)</sup>، وسبط ابن الجوزي<sup>(٣)</sup>.  
ومن الذين ذكروا أنّ السهمي زاره بعد دفنه بأيّام التستري في (الخصائص)<sup>(٤)</sup>،  
وهذا ما يظهر من كلام الشهرستاني<sup>(٥)</sup>، وقد نسب الأخير للمفيد القول بأنّ السهمي  
أول من زار الإمام الحسين عليه السلام<sup>(٦)</sup>؛ ومن هنا أدرجناه في هذه الدراسة.

وهذه النسبة غير دقيقة؛ فإنّ المفيد قال: إنّهُ أول شعر رُثي به الحسين بن علي عليه السلام،  
وأورد قصيدته في الحسين عليه السلام التي تضمّنت زيارته للإمام، حيث يقول فيها:

مررتُ على قبر الحسين بكر بلا      ففاض عليه من دموعي غزيرها

ومن الممكن أنّه نسب ذلك مستظهِراً من عبارة المفيد المتقدّمة: (أول شعر رُثي

(١) الشيخ المفيد، محمد بن محمد، الأملّي: ص ٣٢٤. الطوسي، محمد بن الحسن، الأملّي: ص ٩٣.

(٢) أنظر: المشغري العاملي، يوسف بن حاتم، الدرّ النظيم: ص ٥٧٤.

(٣) أنظر: سبط ابن الجوزي، يوسف بن قرغلي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان: ج ٨، ص ١٧٨. سبط

ابن الجوزي، يوسف بن قرغلي، تذكرة الخواص: ص ٣٤١.

(٤) أنظر: التستري، جعفر بن حسين، الخصائص الحسينية: ص ٢٤٩.

(٥) أنظر: الشهرستاني، صالح، تاريخ النياحة على الإمام الشهيد الحسين بن علي عليه السلام: ج ١، ص ١٠٢.

(٦) أنظر: المصدر السابق.



به الحسين...) وما تضمّنته القصيدة من البيت الشعري المتقدّم. إلّا أنّ هذه العبارة لا تتحمّل النسبة المذكورة.

هذا من جانب؛ ومن جانب آخر إنّ هذا القول يُعارضه قول مَنْ قال: إنّ زيارة السهمي كانت في أواخر القرن الأوّل الهجري<sup>(١)</sup>.

وبعد هذا الكلام؛ قد يقال: لا يبقى مجال إلى ما ذهب إليه الشيخ المفيد ومَنْ تبعه من العلماء<sup>(٢)</sup> من أنّ جابر بن عبد الله الأنصاري هو أوّل مَنْ زار المولى أبا عبد الله عليه السلام من الناس<sup>(٣)</sup>.

فيمكن أن يُجاب بنقاط:

إنّه لا يرى صحّة ما يمكن الاعتماد عليه في إثبات أنّ أوّل مَنْ زار الإمام الحسين عليه السلام هو ابن قتّة، ثمّ ابن الحرّ الذي جاءت زيارته بعده.

يُحتمل أنّ الشيخ المفيد عليه السلام في صدد إثبات مشروعية زيارة الأربعين مثلاً، أو في مقام ذكر مَنْ زار الإمام الحسين عليه السلام في يوم الأربعين، فكان جابر بن عبد الله الأنصاري هو أوّل مَنْ زار يوم الأربعين، بغضّ النظر عمّن زاره قبل ذلك.

كما يُحتمل أنّ الشيخ المفيد عليه السلام كان في صدد ذكر مَنْ تحقّقت منه الزيارة ك: (جابر بن عبد الله الأنصاري) بمعناها المصطلح المعروف الذي حثّت عليها الروايات، وبيّنت فضلها، ومقام الزائر العارف بحقّ الإمام الحسين عليه السلام، لا مطلق الحضور عند القبر الشريف، فيكون ما تحقّق من ابن قتّة وابن الحرّ مجرد الحضور بداعي آخر غير الزيارة.

(١) أنظر: شبر، جواد بن علي محمد، أدب الطفّ: ج ١، ص ٥٢.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص ٧٨٧. الحليّ، علي بن يوسف، العدد القوية لدفع المخاوف اليومية: ص ٢١٩. المجلسي، محمد باقر، ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار: ج ٩، ص ١٢٥.

(٣) نظر: المفيد، محمد بن محمد، مسار الشيعة إلى مختصر تواريخ الشريعة: ص ٤٦.



## القول في المسألة

بعد أن عرضنا كلّ ما يمكن أن يكون دخیلاً فیها له شأن بتحدید الزائر الأوّل للإمام علیّه السلام، فإنّ الصناعة العلمیة تسیر بنا إلى أنّ سلیمان بن قتّة هو أوّل من زار الإمام علیّه السلام؛ والسبب فی ذلك هو ورود نصّ صریح یذكر أنّه زاره فی الیوم الثالث، وهذا ما هو مفقود بالنسبة إلى عبید الله بن الحرّ، الذي لم یرد فیهِ نصّ كما ورد فی الأوّل. ومن الممكن أن یكون من حدّده بأوّل من زار قد تأثر بروایة أبي مخنف أنفة الذكر، التي ذكرت زیارته له بعدما خرج من مجلس ابن زیاد حین وبّخه علی عدم مشارکته فی قتال الإمام الحسین علیّه السلام.

## الخاتمة

خاتمة القول: أنّ البحث فی تحدید أوّل من زار من البحوث التاریخیة التي یصعب الوقوف علیها؛ لشخّة المصادر التي تُشير إلى ذلك، لكن من هنا وهناك استطعنا أن نتصیّد بعض النصوص التي أسعفتنا فی تحدید أنّ أوّل من زار المولی أبا عبد الله علیّه السلام هو سلیمان بن قتّة، وكان كلّ ذلك بحسب ضوابط الصناعة العلمیة المتّبعة فی مثل هكذا أبحاث.

## المصادر والمراجع

\* القرآن الکریم.

١ . الأخبار الطوال، أبو حنیفة أحمد بن داود الدینوری (ت ٢٨٢ هـ)، تحقیق: عبد المنعم عامر، مراجعة: الدكتور جمال الدین الشیال، دار إحياء الكتب العربی (عیسی البابي الحلبي وشركاه) القاهرة، منشورات الشریف الرضی، الطبعة الأولى، ١٩٦٠ م.

٢ . أخبار الموفقیات، الزبیر بن بکّار بن عبد الله القرشي الأسدي المکی (ت ٢٥٦ هـ)، تحقیق وتصحیح: سامي مکی العاني، الناشر: الشریف الرضی، قم المقدّسة - ایران، الطبعة الأولى.

٣ . أدب الطفّ، جواد بن علي محمد شبّر، الناشر: دار المرتضى، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٨ م.

٤ . الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠ م.

٥ . الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البرّ النمري القرطبي (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجليل، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٢ م.

٦ . أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)، انتشارات إسماعيليان، ناصر خسرو، طهران - إيران.

٧ . الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٥ م.

٨ . الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي (ت ١٣٩٦ هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة.

٩ . أعيان الشيعة، السيّد محسن بن عبد الكريم الأمين (ت ١٣٧١ هـ)، تحقيق: حسن الأمين، الناشر: دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان.

١٠ . الأنساب، سلمة بن مسلم بن إبراهيم الصحاري (ت ٥١١ هـ)، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط - عمان، الطبعة الرابعة، ١٤٢٧ هـ.

١١ . البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤٢٠ هـ.



١٢ . بغية الطلب في تاريخ حلب، عمر بن أحمد بن أبي جرادة المعروف بابن العديم (ت ٦٦٠هـ)، تحقيق: الدكتور سهيل زكار، مؤسسة البلاغ، بيروت - لبنان، ١٩٨٨م.

١٣ . تاريخ الأدب العربي في الجاهلية وصدر الإسلام، نكلسن، رينولد، ترجمة: صفاء خلوصي، مطبعة المعارف، بغداد - العراق، ١٩٧٠م.

١٤ . تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.

١٥ . تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، راجعه وصحّحه: نخبة من العلماء الأجلاء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٩٨٣م.

١٦ . التاريخ الكبير، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، الناشر: المكتبة الإسلامية، ديار بكر - تركيا.

١٧ . تاريخ كربلاء، عبد الصاحب بن ناصر آل نصره الله، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م.

١٨ . تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٩٩٥م.

١٩ . التذكرة الحمدونية، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون (ت ٥٦٢هـ)، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٢٠ . تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، المحقق: د. إكرام الله إمداد الحق، الناشر: دار البشائر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٢١ . تفسير نور الثقلين، عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (ت ١١١٢هـ)،  
صحّحه وعلق عليه وأشرف على طبعه: الحاج السيّد هاشم الرسولي المحلّاتي،  
مؤسّسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم المقدّسة - إيران.

٢٢ . توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، محمد بن  
عبد الله (أبي بكر) بن محمد بن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي،  
الشهير بابن ناصر الدين (ت ٨٤٢هـ)، المحقّق: محمد نعيم العرقسوسي،  
الناشر: مؤسّسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٣ م.

٢٣ . الثقات، محمد بن حبان بن أحمد الدارمي البستي (ت ٣٥٤هـ)، تحت مراقبة  
الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، مطبعة مجلس دائرة  
المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند، الطبعة الأولى، ١٩٧٣ م.

٢٤ . الجوهرة في نسب الإمام علي وآله، محمد بن أبي بكر الأنصاري التاهساني  
المعروف بالبري، تحقيق: الدكتور محمد التونجي، الناشر: مكتبة النوري.

٢٥ . الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهايم عليهم السلام، يوسف بن حاتم بن فوز المشغري  
العاملي (ت ٦٧٦هـ)، الناشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرّسين  
بقم المشرفّة - إيران.

٢٦ . ديوان أبي دهل الجمحي (رواية أبي عمرو الشيباني)، تحقيق: عبد العظيم عبد  
المحسن، الناشر: مطبعة القضاء في النجف الأشرف - العراق، الطبعة الأولى،  
١٩٧٢ م.

٢٧ . زهر الآداب وثمر الألباب، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري أبو إسحاق  
الحُصري القيرواني (ت ٤٥٣هـ)، الناشر: دار الجليل، بيروت - لبنان.

٢٨ . الطبقات الكبرى (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام)، محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ)،  
تهذيب وتحقيق: السيّد عبد العزيز الطباطبائي، نشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام  
لإحياء التراث، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.



- ٢٩ . عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال (الإمام الحسين)، عبد الله بن نور الله البحراني (ت ١١٣٠ هـ).
- ٣٠ . الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م.
- ٣١ . الفهرست، محمد بن إسحاق المعروف بالنديم، المحقق: إبراهيم رمضان، الناشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ٣٢ . الفوائد الرجالية، السيّد محمد المهدي بن مرتضى بحر العلوم الطباطبائي (ت ١٢١٢ هـ)، تحقيق وتعليق: محمد صادق بحر العلوم وحسين بحر العلوم، الناشر: مكتبة الصادق، طهران - إيران، الطبعة الأولى، ١٣٦٣ هـ. ش.
- ٣٣ . الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٨ أو ٣٢٩ هـ)، تصحيح: علي أكبر الغفاري، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، الطبعة الثالثة، ١٣٨٩ هـ. ش.
- ٣٤ . كامل الزيارات، أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي (ت ٣٦٨ هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، لجنة التحقيق، مؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة نشر الفقهاء، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
- ٣٥ . الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م.
- ٣٦ . الكامل في اللغة والأدب، أبو العبّاس محمد بن يزيد المبرّد (ت ٢٨٥ هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة - مصر، الطبعة الثالثة، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.
- ٣٧ . كتاب كنى الشعراء ومَن غلبت كنيته على اسمه مطبوع ضمن كتاب (نوادير المخطوطات)، أبو جعفر محمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ)، تحقيق: عبد السلام

هارون، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر،  
الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٢م.

٣٨ . الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي)، أبو إسحاق أحمد بن  
إبراهيم الثعلبي (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبو محمد بن عاشور، دار إحياء  
التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

٣٩ . الكنى والألقاب، الشيخ عباس بن محمد رضا القمّي (ت ١٣٥١هـ)، تقديم:  
محمد هادي الأميني، مكتبة الصدر، طهران - إيران.

٤٠ . لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي المعروف  
بابن منظور (ت ٧١١هـ)، الناشر: أدب الحوزة، قم المقدّسة - إيران،  
١٤٠٥هـ. ق/ ١٣٦٣هـ. ش.

٤١ . مثير الأحزان ويليهِ قرّة العين في أخذ ثار الحسين عليه السلام، محمد بن جعفر ابن نما  
الحليّ (ت ٦٤٥هـ)، تقديم: عبد المولى الطريحي، منشورات المطبعة الحيدرية في  
النجف - العراق، ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م.

٤٢ . المجدي في أنساب الطالبين، أبو الحسن علي بن محمد بن علي العلوي العمري  
النسابة (ت ٤٩٠هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد المهدي الدامغاني، تقديم: آية الله  
العظمى المرعشي النجفي، نشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة،  
قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٤٣ . المجموع الليف، محمد بن محمد الأفطسي الطرابلسي (ت بعد ٥١٥هـ)  
الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٤٤ . مرقد الإمام الحسين عليه السلام، تحسين آل شبيب، الناشر: دار الفقه للطباعة والنشر،  
الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٤٥ . مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي  
(ت ٣٤٦هـ).





٤٦ . المعارف، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق:

ثروت عكاشة، دار المعارف بمصر، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية، ١٩٦٩ م.

٤٧ . معجم البلدان، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)،

دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة،

١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م.

٤٨ . المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق:

حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة

الثانية.

٤٩ . مقاتل الطالبين، علي بن الحسين بن محمد أبو الفرج الإصفهاني (ت ٣٥٦هـ)،

قدم له وأشرف على طبعه: كاظم المظفر، الناشر مؤسسة دار الكتاب للطباعة

والنشر، قم المقدسة - إيران.

٥٠ . مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، علي بن إسماعيل بن إسحاق بن

سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري

(ت ٣٢٤هـ)، المحقق: نعيم زرزور، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة الأولى،

١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥ م.

٥١ . مناقب آل أبي طالب، أبو عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب السروي

المازندراني المعروف بابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)، تصحيح: لجنة من أساتذة

النجف الأشرف، الناشر: المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف - العراق،

١٣٧٦هـ / ١٩٥٦ م.

٥٢ . المنتقى من مسموعات مرو - مخطوط، ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن

عبد الواحد المقدسي (ت ٦٤٣هـ).

٥٣ . الموازنة بين شعر أبي تمام والبحري، أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي



(ت ٣٧٠هـ)، تحقيق د. عبد الله المحارب، الناشر: مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

٥٤ . نسب معد واليمن الكبير، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤هـ)، المحقق: الدكتور ناجي حسن، الناشر: عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٥٥ . النكت والعيون (تفسير الماوردي)، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيّد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٥٦ . نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٣هـ)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة - مصر.





# التكييف الديني والمنطقي لعظم ثواب زيارة الإمام الحسين عليه السلام

الشيخ عزيز حسن الخضران  
أستاذ في الحوزة العلمية في قم المقدّسة  
باحث إسلامي وخطيب حسيني / البحرين

## Religious and Logical Conditioning to the Great Reward of Visiting Imam al-Husayn (PBUH)

**Shaykh Aziz Hasan al-Khudran**

Lecturer at the Islamic Seminaries at Holy Qom

Islamic researcher and Husayni speaker, Bahrain



## ملخص البحث

تضمّنت المصادر الحديثية الكثير من الروايات التي تحثّ على زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وتُحدّد لذلك مقداراً عظيماً من الأجر ربّما يفوق أجر بعض الواجبات المعروفة؛ من هنا نشأت إشكالية التناسب بين الزيارة بصفتها عملاً مستحبّاً، وبين الأجر المعطى للزائر، الأمر الذي دعا إلى تحليل هذه الممارسة الدينية، ومعالجة الشبهات المرتبطة بمقارنتها بالواجبات المعروفة كالحجّ مثلاً، اعتماداً على المنهج الوصفي التحليلي، والرجوع أحياناً إلى المنهج النقلي في التعاطي مع النصوص الحديثية المنقولة. وقد خرج البحث بنتائج مهمّة، تبرز أهميّة الزيارة، واستحقاقها لما ذُكر لها من أجر من ناحية، وتحافظ على مكانة الواجبات والعبادات الأخرى من ناحية أخرى.

**الكلمات المفتاحيّة:** الزيارة، زيارة الإمام الحسين عليه السلام، الأجر والثواب، أجر الزائر، شروط الزيارة.



## Abstract

Hadith sources have many narrations encouraging one to visit Imam al-Husayn (PBUH), designating for the visitor a great reward that may exceed the reward of known obligatory worship. Hence, the problem of proportionality between this Ziyara as a recommended act and the reward given to the visitor arose. This led the study to analyze this religious practice and address the mis-grounded conceits associated with comparing it to known obligatory worship like Hajj. The descriptive-analytical method was adopted in this study, and sometimes al-Manhaj al-Naqli (the approach of transmitted texts) when dealing with the reported hadith texts. The study reaches important results that highlight the importance of this visit, and the fact that it deserves the reward mentioned while preserving the status of other obligatory worship as well.

**Keywords:** Ziyara, Ziyara of Imam al-Husayn (PBUH), reward, visitor's reward, conditions of the visitation.

## المقدمة

وردت روايات متعدّدة في ثواب زيارة المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام تصل إلى حدّ التواتر، بل وفوق حدّ التواتر، ومن الطبيعي أنّ كلّ عبادة من العبادات لها ثواب معيّن، ومَن يضع ذلك الثواب هو ربّ العزّة والجلال، ومع العلم بأنّ الله تعالى حكيم وعليم؛ فإنّه لن يدعو العباد إلى شيء إلّا بمقدار ما له من الأهميّة، ومقدار الثواب المعطى إنّما يتلاءم مع أهميّة تلك العبادة.

وربّما يتساءل المؤمن، أو ينكر المخالف حينما يرى المقدار الكبير - المبالغ فيه - من الثواب لمن زار الإمام الحسين عليه السلام - كما يأتي إن شاء الله تعالى - وهذا ما يدعونا لتحليل هذه العبادة، وكيف يمكن أن يكون ثوابها أعظم من كثير من العبادات الثابتة، كالحجّ الذي هو من أركان الدين.

ويبدو أنّ هذه المسألة طُرحت في عصر النصّ أيضاً، فعن عن ذريح المحاربي، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما ألقى من قومي ومن بنيّ إذا أنا أخبرتهم بما في إتيان قبر الحسين عليه السلام من الخير أنّهم يكذبوني، ويقولون: إنّك تكذب على جعفر بن محمد.

قال: يا ذريح، دع الناس يذهبون حيث شاؤوا. والله، إنّ الله ليباهي بزيّار الحسين، والوافد يفده الملائكة المقربون، وحمة عرشه، حتّى أنّه ليقول لهم: أما ترون زوّار قبر الحسين أتوه شوقاً إليه، وإلى فاطمة بنت رسول الله؟ أما وعزّي وجلالي وعظمتي، لأوجبنّ لهم كرامتي، ولأدخلنّهم جنتي التي أعددتها لأوليائي ولأنبيائي ورسلي.

يا ملائكتي، هؤلاء زوّار الحسين، حبيب محمد رسولي، ومحمد حبيبي، ومَن أحبّني أحبّ حبيبي، ومَن أحبّ حبيبي أحبّ من يُحبّه، ومَن أبغض حبيبي أبغضني، ومَن

أبغضني كان حقاً عليّ أن أعذّبه بأشدّ عذابي، وأحرقه بحرّ ناري، وأجعل جهنّم مسكنه ومأواه، وأعذّبه عذاباً لا أعذّبه أحداً من العالمين»<sup>(١)</sup>.

فهل هذه الروايات موضوعة من قبل بعض المغالين مثلاً للترغيب في الزيارة، أم أنّ هذا الثواب المعطى ليس على نحو الحقيقة، أم أنّ هذه الزيارة فعلاً هي أهمّ من كثير أو أكثر العبادات الواردة في الشريعة؟

وبعبارة أخرى: كيف يتلاءم مقدار الثواب العظيم مع مجرد زيارة لا تقتضي إلاّ مقداراً من الوقت والجهد والمال؟ فإنّ العقل والمنطق يرفضان ذلك، من جهتين: الأولى: أنّ هذا الثواب خارج عن المنطق العقلاني في ضرورة التناسب بين العمل وبين مقدار الثواب.

الثانية: أنّ هذا الثواب يؤدّي بالإنسان إلى العزوف عن بقية العبادات الأخرى، أو عدم إعطائها حقّها المطلوب، وهذا لا يتوافق مع المصلحة العامة للدين، والغرض الذي من أجله شرّعت هذه العبادات. وللجواب عن ذلك نحتاج إلى أن نذكر عدّة مباحث:

### المبحث الأول: مقدار ما ورد من الثواب في زيارة الإمام الحسين عليه السلام

لا بدّ أولاً من بيان مقدار ما ورد من ثواب لزيارة قبر المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام، والروايات الناصّة على الثواب إجمالاً أو تفصيلاً كثيرة جداً، وفي موارد متعدّدة، ولأزمان مختلفة، وسوف نقتصر على ذكر بعض ذلك الثواب، مع الاقتصار على اللفظ الذي يذكر مقدار الثواب دون ذكر الرواية كاملة، أو اسم المعصوم المروية عنه؛ لأنّ ما ورد يصعب حصره في هذا البحث المختصر، وسوف نكتفي بالنقل عن كتاب (كامل الزيارات):

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٧٢.



فمّا ورد أنّ لمن أتى قبر الحسين عليه السلام: «الجنة إن كان يأتّم به»<sup>(١)</sup>، «وحرّم لحمه على النار»<sup>(٢)</sup>، «ويغفر له ذنوب خمسين سنة، ويرجع إلى أهله وما عليه وزر ولا خطيئة إلّا وقد محيت من صحيفته»<sup>(٣)</sup>.

وورد في ثواب خطوات الزائر: «كتب الله له بكلّ خطوة حسنة، ومحا عنه سيئة»<sup>(٤)</sup>. وفي رواية ثانية: «كتب الله له بكلّ خطوة ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيئة، ورفع له ألف درجة»<sup>(٥)</sup>. وفي رواية ثالثة: «كتب الله له بكلّ قدم يرفعها ويضعها عتق رقبة من ولد إسماعيل»<sup>(٦)</sup>. وفي رابعة: «فله إذا خرج من أهله بأول خطوة مغفرة ذنوبه، ثمّ لم يزل يقدّس بكلّ خطوة حتّى يأتيه»<sup>(٧)</sup>.

وعن الصادق عليه السلام: «إنّ لله ملائكة موكلين بقبر الحسين عليه السلام، فإذا هم بزيارته الرجل أعطاهم الله ذنوبه، فإذا خطا محوها، ثمّ إذا خطا ضاعفوا له حسناته، فما تزال حسناته تُضاعف حتّى توجب له الجنة»<sup>(٨)</sup>.

وفي منصرفه: «فإذا انصرف [الزائر] ودّعه [الملائكة] وقالوا: يا وليّ الله، مغفوراً لك، أنت من حزب الله، وحزب رسوله، وحزب أهل بيت رسوله، والله لا ترى النار بعينك أبداً، ولا تراك، ولا تطعمك أبداً»<sup>(٩)</sup>.

(١) المصدر السابق: ص ٢٣٩.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٤٥.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٤٦.

(٤) المصدر السابق: ص ٢٥٣.

(٥) المصدر السابق: ص ٢٥٥.

(٦) المصدر السابق: ص ٢٥٧.

(٧) المصدر السابق: ص ٢٥٣.

(٨) المصدر السابق: ص ٢٥٤.

(٩) المصدر السابق: ص ٢٥٦.



و«إنَّ أيامَ زائري الحسين عليه السلام لا تُحسب من أعمارهم، ولا تُعدّ من آجالهم»<sup>(١)</sup>، وأنَّ مَنْ زاره على خوف: «يؤمنه الله يوم الفزع الأكبر، وتلقاه الملائكة بالبشارة، ويقال له: لا تخف ولا تحزن، هذا يومك الذي فيه فوزك»<sup>(٢)</sup>.

وفي حديث: «وكان محدّثه الحسين عليه السلام تحت العرش، وآمنه الله من أفزاع يوم القيامة، يفزع الناس ولا يفزع، فإن فزع وقرّته الملائكة، وسكّنت قلبه بالبشارة»<sup>(٣)</sup>.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «لا تدع زيارة قبر الحسين عليه السلام لخوف؛ فإنَّ مَنْ تركه رأى من الحسرة ما يتمنى أنَّ قبره كان عنده، أما تُحبُّ أن يرى الله شخصك وسوادك فيمَن يدعو له رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والأئمّة الهديّة؟ أما تُحبُّ أن تكون ممّن ينقلب بالمغفرة لما مضى، ويغفر له ذنوب سبعين سنة؟ أما تُحبُّ أن تكون ممّن يخرج من الدنيا وليس عليه ذنب يُتبع به؟ أما تُحبُّ أن تكون غداً ممّن يصافحه رسول الله صلى الله عليه وآله؟»<sup>(٤)</sup>.

و«مَنْ أتاه شوقاً إليه، وحبّاً لرسول الله، وحبّاً لفاطمة، وحبّاً لأمر المؤمنين عليه السلام، أقعده الله على موائد الجنّة، يأكل معهم والناس في الحساب»<sup>(٥)</sup>.

وزوّار الحسين عليه السلام: «يدخلون الجنّة قبل الناس بأربعين عاماً، وسائر الناس في الحساب والموقف»<sup>(٦)</sup>.

والزائر «يكون في جوار نبيّه صلى الله عليه وآله، وجوار علي وفاطمة عليهما السلام»<sup>(٧)</sup>.

(١) المصدر السابق: ص ٢٦٠.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٤٢.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٤٣.

(٤) المصدر السابق: ص ٢٤٣-٢٤٤.

(٥) المصدر السابق: ص ٢٦١.

(٦) المصدر السابق: ص ٢٦٢.

(٧) المصدر السابق: ص ٢٦٠.

وقد ورد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام من الثواب ما يفضل على الحج والعمرة، كما في رواية عن ابن سنان، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جُعلت فداك، إنَّ أباك كان يقول: في الحج يُحسب له بكلِّ درهم أنفقَه ألف درهم، فما لمن ينفق في المسير إلى أبيك الحسين عليه السلام؟ فقال: يا ابن سنان، يُحسب له بالدرهم ألف وألف حتى عدَّ عشرة، ويرفع له من الدرجات مثلها، ورضا الله خير له، ودعاء محمد صلى الله عليه وآله، ودعاء أمير المؤمنين والأئمة خير له»<sup>(١)</sup>. فمن هذه الروايات - وغيرها الكثير - يُفهم عظم الثواب الجزيل والكثير لهذه العبادة (زيارة قبر الحسين عليه السلام)، وأنَّ فيها ميزة عظيمة تستحقُّ هذا المقدار الكبير من الثواب، وأنَّ هذا الثواب متعلِّق بالزائر قبل مسيره، وأثناء مسيره، وبعد رجوعه من الزيارة، وأنَّ الثواب منه دنيوي، ومنه أخروي، وغير ذلك من الحيثيات.

## المبحث الثاني: البحث السني والدلالي في هذه الروايات

ستتطرق في هذا المبحث - باختصار - إلى عدَّة نقاط:

### أولاً: الجانب السني في الروايات

لا شكَّ في ثبوت هذه الروايات سنداً، والجزم بصورها عن المعصومين عليهم السلام؛ لأنَّها تفوق حدَّ التواتر المعنوي، بل التواتر أو التظافر اللفظي في بعضها، يقول المجلسي الأول: «وأما أخبار ثواب زيارة الحسين (صلوات الله وسلامه عليه)، فأكثر من أن تُحصى»<sup>(٢)</sup>.

ويكفي لمن تصفَّح كتاب (كامل الزيارات) لابن قولويه - الذي نقلنا عنه الروايات السابقة - أن يحصل له اليقين بتواتر الروايات التي ورد فيها ثواب جزيل لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، وما تقدَّم مجرد شذر قليل منها، وقد اكتفينا به منعاً للإطالة؛

(١) المصدر السابق: ص ٢٤٧.

(٢) المجلسي، محمد تقي، روضة المتقين: ج ٥، ص ٣٧٦.



ولهذا لا حاجة إلى البحث السندي في هذه الروايات، مع أنَّ الكثير منها صحيح السند، بل على مبنى صحّة ما ورد في هذا الكتاب تثبت صحّة جميع الروايات الواردة فيه<sup>(١)</sup>. ومع ثبوت التواتر لا يحتمل الوضع لهذه الروايات من قبل البعض ترغيباً في الزيارة، كما قيل في وضع بعض الروايات في ثواب قراءة بعض السور القرآنية؛ وذلك لأنّ الوضع إنّما يحتمل - حتى مع كثرة الروايات - لو اتّحد الراوي، أو كان الرواة فئة معيّنة يتفقون في اتجاه أو مسلك معيّن، بينما الرواة في محلّ بحثنا مختلفون من حيث الزمان، والظروف، والروايات وردت على لسان أغلب الأئمة أو جميعهم عليهم السلام، ممّا لا يدع مجالاً للشكّ في ورود هذه الروايات ولو في الجملة.

وأما المراد الجدّي لهذه الروايات، فلا شكّ ولا ريب فيه أيضاً؛ حيث الحمل على التقية مستحيل هنا؛ لأنّ مضمونها مخالف للتقية، بل العمل بها يعرّض الشيعة للخطر، بل ورد في بعضها ثبوت الزيارة حتى مع الخطر.

## ثانياً: دلالة الروايات إجمالاً

إنّها تدلّ على كون الزيارة نوعاً من أنواع العبادة لله تعالى، كما هو حال زيارة البيت الحرام، وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله. كما تدلّ على أنّ هذه العبادة لها ميزات عن بقيّة العبادات، دون أن تفضّلها عليها مطلقاً.

(١) استناداً إلى قول المصنّف في مقدّمة الكتاب: «ولم أخرج فيه حديثاً روي عن غيرهم؛ إذ كان فيما روي عنهم من حديثهم (صلوات الله عليهم) كفاية عن حديث غيرهم، وقد علمنا أنّا لا نُحيط بجميع ما روي عنهم في هذا المعنى، ولا في غيره، لكن ما وقع لنا من جهة الثقات من أصحابنا رحمهم الله برحمته، ولا أخرجت فيه حديثاً روي عن الشذاذ من الرجال، يؤثر ذلك عنهم عن المذكورين غير المعروفين بالرواية، المشهورين بالحديث والعلم». ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٧.

وتدلّ على أنّ ثواب الزائر النهائي هو الجنة، فالزائر من أهل الجنة، بغض النظر عن العقبات والشدائد التي قد تصيبه في البرزخ ويوم المحشر قبل دخوله الجنة. وتدلّ على العناية الخاصّة بالزائر من قبل أهل البيت عليه السلام؛ بحيث يدعو له رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين، والزهراء والحسنان عليهم السلام، وربما لم يرد ذلك إلا في أعمال خاصّة قليلة، أو في الدعاء العامّ للشيعة.

كما تدلّ هذه الروايات على شدّة استحباب الزيارة وتأكيدّه، بل ذهب بعض إلى الوجوب<sup>(١)</sup>، وقد أدرج الشيخ المفيد في كتابه (المزار)<sup>(٢)</sup> باباً تحت عنوان: (باب وجوب زيارة الحسين صلوات الله عليه)، ممّا يظهر منه الوجوب. وكذلك ذهب الحرّ العاملي إلى الوجوب الكفائي على الشيعة؛ حيث عنون باباً باسم: (باب وجوب زيارة الحسين والأئمة عليهم السلام على شيعتهم كفاية)، وذكر فيه خمس روايات تأمر بالزيارة، وواحدة منها ذكرت لفظ الوجوب<sup>(٣)</sup>.

### ثالثاً: شروط الظفر بهذا الثواب

من بعض ما تقدّم من الروايات وغيرها يُفهم أنّ هذا الثواب المعطى للزائر ليس على إطلاقه، بل هناك شروط ينبغي أن يتّصف بها، وأنّ الثواب ليس لكلّ زائر، وأهمّ تلك الشروط:

#### ١. عارفاً بحقه

ورد هذا الشرط في روايات متعدّدة، وفي أغلب زيارات المعصومين عليهم السلام، وقد

(١) يقول المجلسي الأول رحمته الله: «بل يظهر من الأخبار الكثيرة وجوب زيارته عليه السلام؛ ولهذا قال به جماعة من أصحابنا، بل ذهب طائفة إلى وجوب زيارة كلّ واحد من الأئمة عليهم السلام، ولو مرّة في جميع العمر». المجلسي، محمد تقي، روضة المتقين: ج ٥، ص ٣٧٦.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص ٢٦.

(٣) أنظر: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤٤٣، الباب ٤٤ من أبواب المزار وما يناسبه.



ضمّن ابن قولويه كتابه باباً تحت عنوان: (ثواب مَنْ زار الحسين عليه السلام عارفاً بحقه)، وذكر فيه تسع عشرة رواية ورد فيها شرط (عارفاً بحقه)، وأكثرها ذكر أنّ الثواب فيها: «غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر»<sup>(١)</sup>، وفي إحداها: «كان كمن حجّ ثلاث حجج مع رسول الله صلى الله عليه وآله»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية أخرى: «كان من محدّثي الله فوق عرشه»<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية واحدة ورد الشرط بهذا النحو: «عارفاً بحقه، يأتّم به»<sup>(٤)</sup>. وقد تقدّمت رواية أنّ ثواب الزائر: «الجنة إن كان يأتّم به»، ويحتمل أن يكون الاتّهام هنا قيداً توضيحياً، وبياناً لمعنى العارف بحقه.

فمعنى أن يكون عارفاً بحقّ الإمام الحسين عليه السلام هو أن يعترف بإمامته من قبل الله تعالى، كما ورد في رواية الصادق عليه السلام في زيارة حفيده الرضا عليه السلام: «يُقتل حفدتي بأرض خراسان في مدينة يقال لها: طوس، مَنْ زاره إليها عارفاً بحقه أخذته بيدي يوم القيامة وأدخلته الجنة وإن [كان] من أهل الكبائر. قال: قلت: جُعِلت فداك، وما عرفان حقه؟ قال: يعلم أنّه إمام مفترض الطاعة، غريب شهيد، مَنْ زاره عارفاً بحقه أعطاه الله عزّ وجلّ أجر سبعين شهيداً ممّن استشهد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله على حقيقة»<sup>(٥)</sup>.

ومقتضى الاعتراف الصادق بإمامته عليه السلام ووجوب طاعته، هو الامتثال لأوامره ولو في الجملة؛ لأنّه جلّ مَنْ لا يخطأ ويذنب، وأمّا المخالفة الكاملة التي تدلّ على الاستخفاف بأمر الإمام عليه السلام، فهي لا تتلاءم مع الاعتقاد بإمامته، فربّما يقال: إنّ هذا الثواب مختصّ بالمطيع ولو في الجملة. والله تعالى العالم بحقائق الأمور.

أمّا قوله عليه السلام: «غريب شهيد»، فإنّه يدلّ على أنّ من عرفان حقّ المعصوم عليه السلام معرفة ظلامته.

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٦٣.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٦٧.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٦٨.

(٤) المصدر السابق: ص ٢٦٤، ح ٧.

(٥) الصدوق، محمد بن علي، مَنْ لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٥٨٤.

## ٢. شوقاً إليه، وحباً لرسول الله ﷺ، وأهل بيته ﺍﻟﻤﺎﺋﻤﺔ

تقدّمت الرواية: «مَنْ أتاه شوقاً إليه، وحباً لرسول الله، وحباً لفاطمة، وحباً لأُمير المؤمنين ﺍﻟﻤُؤْمِنِينَ...»<sup>(١)</sup>. وفي مقابل الشوق إليه ﺍﻟﻤُؤْمِنِينَ وحبهم ﺍﻟﻤُؤْمِنِينَ، الزيارة لأمر دنيوي، كحب الشهرة، أو الترفيه عن النفس، وحب السفر، وعلامة ذلك أنّه عند ذهاب الرغبة في أصل السفر ترى الشخص يمتنع عن الزيارة، حتى مع توفر الإمكانيات، والإنسان على نفسه بصير.

نعم، لا بأس بأن يكون الشوق لنفس الثواب المجعول للزائر أيضاً، كما يظهر من قول الصادق ﺍﻟﻤُؤْمِنِينَ: «لو يعلم الناس ما في زيارة الحسين ﺍﻟﻤُؤْمِنِينَ من الفضل ماتوا شوقاً، وتقطّعت أنفسهم عليه حشرات. قلت: وما فيه؟ قال: مَنْ أتاه تشوّقاً كتب الله له ألف حجة متقبّلة، وألف عمرة مبرورة، وأجر ألف شهيد من شهداء بدر، وأجر ألف صائم، وثواب ألف صدقة مقبولة، وثواب ألف نسمة أريد بها وجه الله، ولم يزل محفوظاً سنته من كلّ آفة أهونها الشيطان، ووُكِّلَ به ملك كريم يحفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوق رأسه ومن تحت قدمه»<sup>(٢)</sup>.

ويظهر من الرواية أنّ الشوق إلى الثواب، وأنّ التشوّق في قوله: «مَنْ أتاه تشوّقاً» هو لنفس الزيارة؛ فإنّ «تشوّقاً» متعلّق بالضمير العائد على الحسين ﺍﻟﻤُؤْمِنِينَ ظاهراً.

## ٣. زيارته احتساباً

ورد عن أبي عبد الله ﺍﻟﻤُؤْمِنِينَ: «مَنْ زار الحسين محتسباً، لا أشراً ولا بطراً، ولا رياءً ولا سمعة، مُخَصِّصَته عنه ذنوبه كما يُمَحَّصُ الثوب في الماء، فلا يبقى عليه دنس، ويكتب له بكلّ خطوة حجة، وكلّما رفع قدماً عمرة»<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٦١.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٧٠-٢٧١.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٧٣.





والاحتساب: من الحسبة، مصدر «احتسابك الأجر عند الله»<sup>(١)</sup>.

والرواية قريبة المعنى من الشرط الثاني المتقدم؛ فإنه إذا كانت الزيارة للرياء والسمعة، فإن ذلك لا يجتمع مع الشوق إليه عليه السلام، وحب أهل البيت عليهم السلام، وما تقدم من زيارته على خوف ربّما يدخل في هذا العنوان؛ لأنّ الذهاب مع احتمال الضرر لا يكون إلا احتساباً لوجه الله تعالى.

### يريد وجه الله تعالى

عن هارون بن خارجة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «يا هارون، من أتى قبر الحسين عليه السلام زائراً له، عارفاً بحقه، يريد به وجه الله والدار الآخرة، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. ثم قال لي ثلاثاً: ألم أحلف لك، ألم أحلف لك، ألم أحلف لك؟!»<sup>(٢)</sup>. وهذا الشرط وإن كان واضحاً، وهو يدخل ضمن ما تقدم، إلا أنه ذكر في بعض الروايات، ولعلّ ذكره والتصريح به لدفع ما يتوهمه بعض المسلمين - وإلى يومنا هذا يّتهم الشيعة بذلك - من كون الزيارة فيها شائبة الشرك بالله تعالى، حيث تقصد زيارة ميت مدفون، وهي غفلة عن كون الزيارة لا تختلف في حقيقتها عن زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله المجمع على جوازها، بل هي كزيارة البيت الحرام؛ حيث لا يقصد بها زيارة الله الذي لا يحويه مكان، وإنّما الذهاب إلى البيت الحرام، والطواف حول الكعبة - وهي حجارة - لأنّ الله تعالى أمر بذلك، وأحبّ أن يُعبد في ذلك المكان، فيما أنّ النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام أمرونا بزيارة قبر الحسين عليه السلام، تكون الزيارة عبادة لله تعالى؛ لأنّها امتثال لأمره عز وجل.

وعلى كلّ حال؛ فإنّ هذا الشرط يقتضي التعامل مع الزيارة على أنّها عبادة لله تعالى، وليست ناتجة عن هوى، أو مصلحة خاصة، كما تقدم مثله في الشرط الثاني.

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين: ج ٣، ص ١٤٩. وأنظر: ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ٢، ص ٦٠.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٧٣.



وفي الرواية: عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام: «قال: قلت له: ما لمن أتى قبر الحسين بن علي عليه السلام زائراً عارفاً بحقه، غير مستنكف ولا مستكبر؟ قال: يُكتب له ألف حجة مقبولة، وألف عمرة مبرورة، وإن كان شقيماً كُتِبَ سعيداً، ولم يزل يخوض في رحمة الله»<sup>(١)</sup>.

يقول المحقق البحراني في هذا الشأن: «وأنت خير بآئه لا يبعد أن ما ورد من الترغيب في ثواب الصلاة في روضته عليه السلام، وأن صلاة الفريضة تعدل ثواب حجة، وصلاة النافلة تعدل ثواب عمرة، وأمثال ذلك، إنما هو لمن أتى بالآداب المروية، وقام بالسنن المرعية، وراعى الحرمة»<sup>(٢)</sup>.

### المبحث الثالث: مكمّن الأهميّة في زيارة الإمام الحسين عليه السلام

نصل هنا إلى الشروع في الجواب عن أصل الإشكال من خلال معرفة الأهميّة البالغة لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، بواسطة الجواب عن التساؤلات الآتية: ما هو مكمّن الأهميّة في الزيارة؟ وما هي آثارها في الفرد والمجتمع؟ وهل تعود بالنفع على الدين حتى يستحقّ المشارك فيها كلّ هذا الثواب؟

نقول بصورة مجملة: تارة نتحدّث من باب التسليم والإيمان المطلق للشخص، وهو الأساس، فيكفي حينئذ الاستدلال بنفس الروايات المتقدّمة الدالة على ذلك الثواب؛ فإنّها تدلّ بالملازمة على مكانة الزيارة عند الله تعالى، وأنّ الفوائد والآثار المترتبة عليها تستحقّ ذلك الثواب الجزيل؛ لإيماننا بحكمة الله تعالى وعلمه، ونفي العبث عنه سبحانه وإن كنّا حينئذ لا نعرف وجه الحكمة في ذلك، وليس ذلك شرطاً في إثبات مكانة العبادة، مثل كثير من العبادات.

(١) المصدر السابق: ص ٢٧٤.

(٢) البحراني، يوسف، الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية: ج ٢، ص ٣٠٨.

إنَّ أصل العبادات مبني على التسليم والإيمان، ونحن لا ندرك إلا القليل من الحكمة في تشريعها، والاهتمام بها، فلولا ورود الروايات التي تجعل الصلاة عمود الدين، وتصريح بأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وأنها معراج المؤمن، وأنها أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة، و... إلى آخره من الآثار الكثيرة، لما كنّا نستوعب أفضلية الصلاة على بقية العبادات، ولا نفهم السبب الذي دعا إلى إيجابها يومياً في أوقاتها المعروفة، ولا حجم العقاب الشديد الذي يستحقّه تارك الصلاة.

وكذلك الاهتمام الخاصّ بزيارة الإمام الحسين (عليه السلام)، فما ورد فيها من الثواب الجزيل يمثل بنفسه دليلاً على أهميّتها، ومزيد الآثار المترتبة عليها.

وتارة أخرى نتحدّث بغض النظر عن مسألة التسليم والإيمان المطلق، أي بنظرة موضوعية كما يعبرون، وهنا سنحاول البحث عما يصلح أن يكون سبباً لهذا الثواب العظيم، بالإضافة إلى تحليل هذه العبادة (الزيارة)، ومعاينة الآثار الكبيرة المشاهدة خلال هذه القرون المتطاولة. وهنا عدّة نقاط:

### النقطة الأولى: ملاحظة شروط الزيارة

لقد ذكرنا في المبحث السابق أربعة شروط للحصول على ثواب الزيارة، ويمكن أن يقال بأنّ هذه الشروط التي ذكرها المعصومون (عليهم السلام) جميعها أو بعضها يشير إلى علّة حصول هذا الثواب، فهي تجمع بين المعرفة (عارفاً بحقّه) - والمعرفة من الأمور ذات القيمة العظيمة شرعاً - وبين الغاية من الزيارة، وهي الشوق إلى الإمام الحسين (عليه السلام)، وحبّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام)، فهي تستبطن الإخلاص، خصوصاً مع شرط الاحتساب، وإرادة وجه الله تعالى.

فإذا ضمّمنا إلى ذلك إعراض عامّة الأُمّة عن الزيارة، والزائرون - مع ذلك - يحافظون على إقامتها، فإنّنا سنُدرك عظمة الزيارة التي ثبت سابقاً أنّها عبادة، فالزائر الذي يمارس هذه العبادة بهذه الشروط هو - في الواقع - يساهم في حفظها وبقائها مع

إعراض الآخرين عنها، ومحاربتهم لها، ويكون بذلك مصداقاً لقوله ﷺ: «من سنَّ سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن يُنقص من أجورهم شيء»<sup>(١)</sup>.

### النقطة الثانية: الملازمة بين الفكر وصاحب الفكرة

هناك علاقة وترابط وثيق جداً بين أية فكرة تُطرح، وبين صاحب الفكرة، والشخصية التي مارست تلك الفكرة وطبقتها في الواقع العملي، وهذا واقع ملموس؛ فإن الشخصيات التي لها تأثير معين تحتفظ بزميريتها، وتقام لها التماثيل، أو يحتفظ بمكان دفنها، ويُعتنى به؛ تعظيماً وتفخيماً لشخصيتها، ومحاولة الربط الحسي بين الناس وبين هذه الشخصية؛ لأن نسيان الشخصية هو نسيان لأهدافها وأفكارها.

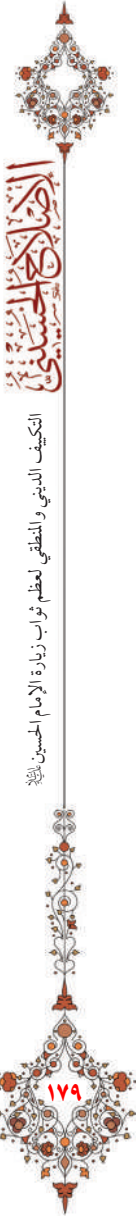
وهذه المسألة ملاحظة بشكل واضح وعملي في الارتباط بزيارة الأولياء بشكل عام، فترى الهجمة الواضحة على الزيارة باتهام الزائرين بالشرك، كما تقوم به الحركة الوهابية، وقد حاولوا هدم قبر الرسول ﷺ، وهدموا بالفعل قبور أئمة البقيع عليهم السلام، وما زالوا يبعدون الناس عن القبور، ويمنعونهم من الزيارة، أو يضايقونهم، والسبب ليس هو الدفاع عن التوحيد، بل الخوف من تأثر الناس بتلك الشخصيات.

وقد حاول الخلفاء وأمرأؤهم - خصوصاً المتوكل - هدم قبر الإمام الحسين عليه السلام وحرثه بغياً وظلماً، وقد تحققت معاجر إلهية للحيلولة دون ذلك<sup>(٢)</sup>، مما يدل على أثر الزيارة في ملك الخلفاء، والتهديد الكبير الذي تمثله لسلطان بني العباس؛ فلذا عمدوا إلى ملاحقة الزوّار، وقتلهم، والتنكيل بهم.

ومن الروايات التي تشير إلى ذلك ما رواه الشيخ الطوسي في (الأمالي) حيث يقول: «بلغ المتوكل جعفر بن المعتصم أن أهل السواد يجتمعون بأرض نينوى لزيارة قبر

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٥، ص ٩-١٠.

(٢) أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص ٣٢٥-٣٣٠.



الحسين، فيصير إلى قبره منهم خلق كثير، فأنفذ قائداً من قواده، وضم إليه كتفاً من الجند كثيراً؛ ليشعب قبر الحسين عليه السلام، ويمنع الناس من زيارته، والاجتماع إلى قبره.

فخرج القائد إلى الطفّ، وعمل بما أمر، وذلك في سنة سبع وثلاثين ومئتين، فثار أهل السواد به، واجتمعوا عليه، وقالوا: لو قُتلنا عن آخرنا لما أمسك من بقي منا عن زيارته، ورأوا من الدلائل ما حملهم على ما صنعوا، فكتب بالأمر إلى الحضرة.

فورد كتاب المتوكل إلى القائد بالكفّ عنهم، والمسير إلى الكوفة، مظهراً أنّ مسيره إليها في مصالح أهلها، والانكفاء إلى مصر، فمضى الأمر على ذلك، حتى كانت سنة سبع وأربعين، فبلغ المتوكل أيضاً مصير الناس من أهل السواد والكوفة إلى كربلاء لزيارة قبر الحسين عليه السلام، وأنه قد كثر جمعهم كذلك، وصار لهم سوق كبير، فأنفذ قائداً في جمع كثير من الجند، وأمر منادياً ينادي ببراءة الذمة ممن زار قبر الحسين، ونَبَشَ القبر، وحرّث أرضه، وانقطع الناس عن الزيارة، وعمل على تتبع آل أبي طالب عليهم السلام، والشيعَة (رضي الله عنهم)، فقتل ولم يتم له ما قدر<sup>(١)</sup>.

إذا؛ الارتباط بشخصية معينة والتعلق بها يؤدي إلى التأثير اللاختياري بأفكارها، والدفاع عن قيمها، والزيارة للقبر من أهمّ وسائل التعلق بتلك الشخصية؛ ولذلك نرى محاولة طمس القبر الشريف، ومحاربة الزائرين طوال التاريخ، وحديثاً شهدنا ما كان يصنعه المقبور صدام - ونظامه البعثي البائد - بالزائرين.

ولا شك في أنّ مثل هذه الزيارة التي تربط الشخص بالإمام الحسين عليه السلام، وتشدّه إلى التمسك بقيمه ومبادئه، والدفاع عن الأهداف التي ضحّى من أجلها بنفسه عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام وأصحابه، تضاعف في أجر الزائر، ومنزلته عند الله تعالى، واستحقاقه للمراتب العالية، والمنازل الرفيعة، فالزيارة تمثل محفزاً للزائرين على حمل تلك الأهداف، والحفاظ عليها، وقيمة كلّ عمل بمقدار ما يحمل من آثار.

(١) المصدر السابق: ٣٢٨-٣٢٩.

### النقطة الثالثة: أثر الارتباط بقبر الإمام الحسين عليه السلام

لاستيعاب الثواب المعطى للزائرين ينبغي النظر إلى ما يترتب على الزيارة واستمرارها من آثار، ومن الممكن أن نلخص الآثار المهمة لزيارة قبر الحسين عليه السلام في أمرين:

١. إحياء الأهداف الحسينية على مدى الأزمان؛ بحيث لا تموت ولا تُنسى.
  ٢. الحد من استمرار الأهداف اليزيدية والنهج الأموي، وهو محور الإسلام.
- وحينما نتفحص في أهداف الثورة الحسينية، وأهداف المشروع الأموي ربّما ندرك عظمة ما تصنعه الزيارة، وبالتالي نستوعب حجم الثواب المعطى للزائر، وباختصار نقول:

### أهداف المشروع الأموي

سعى معاوية - خصوصاً - بشكل حثيث جداً أن يقضي على الإسلام بشكل مدروس، وهو القائل: «وإنّ أخاهشم [أي: رسول الله ﷺ] يُصرّخ به في كلّ يوم خمس مرّات: أشهد أنّ محمداً رسول الله، فأيّ عمل يبقى مع هذا؟ لا أمّ لك! والله، إلّا دفناً دفناً»<sup>(١)</sup>.

وتطبيقاً لذلك عمل على تمهيد الطريق لتنصيب ابنه يزيد، مع ما عُرف به من الفسق والفجور، وكان يعطي الأموال لمن يحتل فيهم المعارضة، ولم يلبث معاوية بعد وفاة الحسن عليه السلام إلّا يسيراً حتّى بايع ليزيد بالشام، وكتب بيعته إلى الآفاق، وكان عامله على المدينة مروان بن الحكم، فكتب إليه يذكر الذي قضى الله به على لسانه منبيعة يزيد، ويأمره أن يجمع من قبله من قريش وغيرهم من أهل المدينة، ثمّ يبايعوا ليزيد»<sup>(٢)</sup>. وقد حجّ يزيد بن معاوية سنة (٥٦ هـ)، ففرّق بمكّة والمدينة أموالاً كثيرة،

(١) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب: ج ٣، ص ٤٥٤.

(٢) ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٥١.





يشترى بها قلوب الناس، ثم انصرف والناس عنه راضون، ثم شاع الخبر بين الناس أنّ معاوية يريد أن يأخذ البيعة ليزيد<sup>(١)</sup>. فيبدو أنّ توزيع الهدايا من قبل يزيد كان من تخطيط معاوية نفسه، بل إنّ بعض النقولات تذكر أنّ معاوية كان يقدم الهدايا والجوائز للإمام الحسين عليه السلام أيضاً<sup>(٢)</sup>، ولعله كان يظنّ أنّ باستطاعته أن يستميله.

والغاية من تنصيب يزيد واضحة؛ فقد أراد معاوية من خلال تجاوزه العلني لتعاليم الإسلام - مع كونه المتزعم للدولة الإسلامية - أن يفرض تدريجياً حالة من قبول الفسق والفجور، وتجاوز الأحكام الشرعية؛ ليتمكّن بعد ذلك شيئاً فشيئاً من القضاء على الإسلام بشكل كامل، ليعود الشرك والكفر بصورته العلنية الواضحة. وقد بيّن الإمام الحسين عليه السلام ذلك حينما قال له مروان: «أقول: إنّي أمرك ببيعة أمير المؤمنين يزيد؛ فإنّه خولك في دينك ودنياك. فاسترجع الحسين، وقال: إنّنا لله وإنّا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام إذ قد بُليت الأُمّة براع مثل يزيد»<sup>(٣)</sup>.

وقال عليه السلام في مسيره إلى كربلاء مبيّناً نتائج تولّي يزيد للسلطة: «ألا ترون أنّ الحقّ لا يعمل به، وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقّقاً، فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة، ولا الحياة مع الظالمين إلّا برماً»<sup>(٤)</sup>.

(١) المصدر السابق.

(٢) أنظر: الريشهري، محمد، موسوعة الإمام الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ١٧٩.

(٣) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ١٧. والرواية طويلة فيها مطالب مهمّة، فقد جاء فيها: «ثمّ أقبل الحسين على مروان وقال: ويحك، أأمرني ببيعة يزيد، وهو رجل فاسق؟! لقد قلت شططاً من القول يا عظيم الزلل! لا ألوّمك على قولك؛ لأنّك اللعين الذي لعنك رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) وأنت في صلب أبيك الحكم بن أبي العاص؛ فإنّ من لعنه رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) لا يمكن له ولا منه [إلّا] أن يدعو إلى بيعة يزيد، ثمّ قال: إليك عني يا عدو الله، فإنّا أهل بيت رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، والحقّ فينا، وبالحقّ تنطق ألسنتنا، وقد سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) يقول: الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان، وعلى الطلقاء أبناء الطلقاء، فإذا رأيتم معاوية على منبري فافقروا بطنه...».

(٤) ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص ٢٤٥.

## أهداف الثورة الحسينية

١ . الهدف العام للإمام عليه السلام هو الإصلاح في أمة النبي صلى الله عليه وآله، «وَأَنِّي لَمْ أَخْرَجْ أَشْرًا وَلَا بَطَرًا، وَلَا مَفْسَدًا وَلَا ظَالِمًا، وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لَطَلِبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِّي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أُرِيدُ أَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأُسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَمَنْ قَبِلَنِي بِقَبُولِ الْحَقِّ، فَاللَّهُ أَوْلَى بِالْحَقِّ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هَذَا أَصْبِرُ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَوْمِ بِالْحَقِّ، وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ»<sup>(١)</sup>. والقيام بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المعطلة إنَّما يعني أنَّ الأُمَّة أصابها الفساد، فلا إصلاح إلَّا لأمر فاسد.

٢ . إيقاف المشروع يزيدِي الأموي عن فرض الواقع، وعن التدرُّج في القضاء على الإسلام.

٣ . توعية الأُمَّة بخطورة المشروع يزيدِي، ونزع الخوف من قلوب الناس من مواجهة ذلك المشروع.

٤ . ضمان استمرار الإسلام وفرضه كواقع نظري وعملي ولو على المستوى الأدنى في تطبيق أحكامه ونظامه.

٥ . إبقاء عقيدة الإمامة الإلهية في الأُمَّة، وعدم مسخها بالكامل.

يقول الشيخ الأصفهاني رحمه الله: «لقد كان لخروج الإمام الحسين عليه السلام، ومحاربتة ليزيد، ورفضه البيعة، واستشهاده بتلك الصورة المفجعة، الدور الأساسي الفعال في إيقاظ مشاعر المسلمين إلى مساحة الجريمة التي حدثت على يد حكام بني أمية.

وهكذا انكشف للأُمَّة الإسلامية أنَّ الخلافة موقعاً سلطوياً<sup>(٢)</sup> يمتلكه الأقوى من الناس والأعتى، وبذلك لم يكن للانحرافات التي يرتكبها جهاز السلطة تأثير تحريفي

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٩.

(٢) الصحيح أن ترفع كلمتا (موقع) و(سلطوي)، ولكنَّنا أدرجناهما بالنصب كما جاء في المصدر المنقول عنه بلا تصرّف.





على الإسلام، وهذا من أهم إنجازات ثورة الحسين عليه السلام، فقد بقيت مراكزهم عامرة، إلا أنها مجردة من الشرعية، وحفظ الإسلام - بعد عاشوراء - من التحريف ببركة نهضة الحسين بنسبة كبيرة، فصار المسلمون يرجعون في أمور دينهم إلى فئة أخرى غير الحكّام، فلم يعد المسلمون يأخذون دينهم من طبقة الحكّام.

الثورة إذاً شطرت الأمة إلى شطرين: خطّ العلماء والفقهاء، وخطّ الحكّام. والناس أصبحوا يضعون ثقتهم بالعلماء والفقهاء، ويرجعون إليهم، وبقدر ما يدخل الفقهاء في قصور الحكّام يصبحون بعيدين عن الأمة<sup>(١)</sup>.

وحينئذ نقول: إن الزيارة التي تُعبّر عن الارتباط الروحي والمعنوي والعقدي بالإمام الحسين عليه السلام، تجعل الزائر - بل الأمة - تعيش هذه الأهداف المقدسة حيّة باقية، وببقائها يبقى الإسلام حيّاً، فالزيارة ليست مجرد طقس عبادي لا روح له.

والنتيجة: أن كلّ مَنْ يُساهم في هذه الزيارة هو يساهم في بقاء الإسلام، وبقاء أهدافه العليا، وربما يتعرّض للقتل والتنكيل والمطاردة، بالإضافة إلى بذل المال والجهد والسفر، فهو في الحقيقة يمارس عملية جهاد مقدّس لإعلاء كلمة الله تعالى، وحينئذٍ فما يُعطى من ثواب جزيل يكون متناسباً من ناحية منطقية مع ما يقوم به من عمل، والعبرة بالآثار التي يقول بها العبد.

وهذا الكلام ينطبق بعينه على مسألة البكاء أيضاً، وما ورد فيه من ثواب جزيل.

### تحليل الإشكال بصورة أخرى

ولو أردنا أن نحلّل الإشكال بشكل آخر، نسأل: هل استعظام الثواب لزائر الإمام الحسين عليه السلام لبخل في ساحته سبحانه؟ أو لكون غير هذه العبادة أهمّ؟ أو لكون الثواب في نفسه لا يتناسب مع حجم العمل؟

(١) الأصفي، محمد مهدي، في ظلال الطفّ: ص ٧٣.



أما الأول، فمعاذ الله أن يكون هناك بخل في ساحته سبحانه، فلا نقص في خزائنه، وشأن العبادات كلها كرم وسخاء منه عز وجل، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ (١).

وأما كون غيرها أهم؛ فإنّ هذا الثواب لا ينفي أهميّة العبادات الأخرى، ولا يوجد تنافٍ بين الأمرين أصلاً، وعلى فرض أهميّة الزيارة؛ لكون هذا الثواب لم يرد في عبادات أخرى، فلعلّ ذلك من باب أنّ الزيارة هي السبب لبقاء تلك العبادات، أو التأكيد عليها، أو لاحتواء الزيارة على عبادات متعدّدة.

وأما كون الثواب لا يتناسب مع حجم العمل، فقد تبين أنّ هذا العمل في نفسه شاقّ، وفيه بذل للجهد والمال، وربّما النفس، وهو لا يقلّ عن غيره من هذه الناحية، وله أثر عظيم في حفظ أهداف الدين كما تقدّم، وما كان شأنه كذلك فلا مانع عقلي ولا منطقي من جعل هذا الثواب الكثير له، وسيأتي إن شاء الله ذكر بعض الأعمال اليسيرة التي ورد فيها ثواب عظيم.

#### المبحث الرابع: إشكالان والجواب عنهما

نذكر هنا إشكالين مع جوابيهما؛ تنميماً للبحث:

الإشكال الأول: قد يُشكل بأنّ النبي صلّى الله عليه وآله هو صاحب هذا المشروع، وصاحب هذه الأهداف، والارتباط به أهمّ حينئذٍ، فكيف تكون زيارة الإمام الحسين عليه السلام أكثر أهميّة وثواباً؟

ويمكننا أن نلخص الجواب في ثلاث نقاط:

أولاً: أنّ الإشكال مبتنٍ على الفصل بين الإمام الحسين عليه السلام، وبين رسول الله صلّى الله عليه وآله، والحال أنّ رفع راية الإمام الحسين عليه السلام هي رفع لراية رسول الله صلّى الله عليه وآله، «حسين مّني،

وأنا من حسين»<sup>(١)</sup>، فمن يتبع الإمام الحسين عليه السلام ويتبع أهدافه يكون بذلك قد حقق أهداف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولا يقال: لماذا لا نتبع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقط؟ لأننا نقول: المسلمون جميعاً يتبعون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ظاهراً، ولكن الاتباع الحقيقي لا يتم إلا عن طريق ما بينه الإمام الحسين عليه السلام.

ثانياً: أن الارتباط بالإمام الحسين عليه السلام يعمق الارتباط برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يضعفه، والواقع شاهد على ذلك؛ فإن المدعين لاتباع النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ليسوا بأكثر زيارة له، ولا أشد تعلقاً به، ولا أكثر تمسكاً بتعاليمه، ممن داوم على زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

ثالثاً: أن الروايات لم تنفِ أهمية زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو تثبت كونها أقل شأنًا، بل أكدت، وذكرت لها الثواب الذي ربما لا يقل عن زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام، فعنه عليه السلام: «من أتاني زائراً كنت شفيعه يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية أخرى: «قال الحسين عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا أبتاه، ما لمن زارك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا بني، من زارني حياً أو ميتاً، أو زار أباك، أو زار أخاك، أو زارك، كان حقاً علي أن أزوره يوم القيامة، وأخلصه من ذنوبه»<sup>(٣)</sup>.

وورد عنه عليه السلام أيضاً: «من أتى مكة حاجاً ولم يزرنى إلى المدينة جفوته يوم القيامة، ومن أتاني زائراً وجبت له شفاعتي، ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنة. ومن مات في أحد الحرمين - مكة والمدينة - لم يعرض، ولم يحاسب. ومن مات مهاجراً إلى الله عز وجل حُشر يوم القيامة مع أصحاب بدر»<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١١٧.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٤٨.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

رابعاً: من الواضح أيضاً أنه على فرض ثبوت أفضلية زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام على زيارة قبر جدّه عليه السلام، فلا يلزم من ذلك أفضلية الحسين عليه السلام على جدّه عليه السلام؛ لأنّ النظر هنا إلى العمل، وما له من أثر في الدين، وليس إلى الشخص المزور فقط، فقد شاء الله تعالى أن تكون لقبر الإمام الحسين عليه السلام هذه الأهميّة والأفضلية، كما شاء تعالى أن يكون قبر الزهراء عليه السلام مخفياً عن عموم الناس؛ لأنّ في خفائه حكمة ورسالة وإثبات حقّ، ولا يعني ذلك أنّ الزهراء عليه السلام أقلّ شأنًا من غيرها.

والتعلّق بشخصية ما بعد موتها إنّما هو مرتبط بدور معيّن قامت به تلك الشخصية في حياتها، وليس بالضرورة أن تكون تلك الشخصية أفضل من غيرها بشكل مطلق، فربّما تكون زيارة الإمام الحسين عليه السلام لإجل إبقاء الوظيفة التي قام من أجلها، وهي حفظ دين النبي صلى الله عليه وآله كما أشرنا.

الإشكال الثاني: أنّ كون ثواب الزيارة يعادل حجّة، أو سبعين، أو ألف حجّة، غير معقول؛ باعتبار أنّ حجّ البيت الحرام هو الأساس؛ فإنّ أصل الإسلام عبادة الله، وهي متمثلة بشكل أوضح في حجّ بيته الحرام.

فنقول: إنّ المقارنة غير صحيحة، وهي مبنية على أنّ الزيارة خارجة عن كونها عبادة، بينما الزيارة - كما تقدّم - هي عبادة لله تبارك وتعالى، فإذا أدّت أثراً أكثر من الحجّ تكون أهمّ منه.

نعم، من أهمّ غايات الحجّ معرفة الدين، ولقاء الإمام المعصوم عليه السلام كما في الروايات، ففي صحيحة زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إنّما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها، ثم يأتونا، فيخبرونا بولايتهم، ويعرضوا علينا نصرهم»<sup>(١)</sup>.

(١) المصدر السابق: ص ٥٤٩.

فالحجّ في حدّ نفسه - خصوصاً المستحبّ - وإن كان ذا قيمة عالية، وهو من أركان الإسلام، إلّا أنّه بدون تحقّق بعض الشروط، التي منها الإمامة، لا تتحقّق الغاية الكاملة منه.

ولا يرقى الحجّ لمستوى الزيارة ما لم يشفع بحضور الإمام المعصوم عليه السلام الذي يمثّل تعبيراً عن إظهار الإيمان الحقيقي والكامل؛ فإنّ مثل هذا الحضور للإمام عليه السلام واللقاء به، بمعنى عرض الدين عليه، وأخذ المعرفة والأوامر والنواهي عنه، فلو كان الحجّ كذلك لربّما يقال بعدم أفضلية الزيارة حينئذٍ على الحجّ. أمّا الزيارة فقد يقال بأنّها تستبطن هذا الإظهار في حدّ نفسها؛ لأنّها تمثّل حبّ الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام كما تقدّم.

ويمكن أن يقال في تقريب المسألة أيضاً: إنّ زيارة المعصوم عليه السلام تتضمّن جانباً عقدياً أكثر وضوحاً من الحجّ الذي يشترك فيه عموم المسلمين؛ فإنّ عامّة الحجاج لا يعترفون بالولاية للأئمّة المعصومين عليهم السلام، فحجّهم فيه شيء من النقص من هذه الجهة، لا لأنّ الحجّ في نفسه أقلّ شأنًا، بل لفقدانه هذه الميزة، وربّما يحمل على ذلك قولهم عليه السلام: «ما أكثر الضجيج والعجيج، وأقلّ الحجيج»<sup>(١)</sup>.

ويمكن تشبيه ذلك بالولاية والتوحيد، فالتوحيد هو الأساس، ولكنّ الرواية تقول: «لم ينادَ بشيء كما نودي بالولاية»<sup>(٢)</sup>؛ وذلك لأنّ توحيد الله تعالى بلا ولاية للنبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام هو توحيد ناقص، أو أنّ الولاية هي التي تحقّق التوحيد الكامل الخالص، لا أنّها أهمّ من التوحيد.

نعم، يختصّ الجواب حينئذٍ بغير الإمامي الموالي.  
وبعبارة أخرى: أنّ الثواب المذكور للزيارة بشكل عامّ بالنسبة إلى الحجّ بشكل

(١) الصقّار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات: ص ٢٩٢ و ٣٧٨.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ١٨.

عام، وليس بلحاظ خصوصيات الأفراد، نظير النوم والقيام؛ فإنه لا شك في أفضلية القيام على النوم عموماً، ولكن ورد: «نوم العالم أفضل من عبادة العابد... ركعتين يُصلِّيها العالم أفضل من ألف ركعة يُصلِّيها العابد»<sup>(١)</sup>.

### المبحث الخامس: أعمال أخرى لها ثواب جزيل

لكي نتمم البحث لا بأس بذكر بعض الأعمال والعبادات التي ورد فيها ثواب جزيل، مع كونها أعمالاً يسيرة، وهي أقلّ شأنًا من زيارة الإمام الحسين عليه السلام، أو لا تزيد أهمّية عليها، والغرض من ذكرها رفع الاستغراب عمّا تقدّم من ثواب الزيارة. روى الكليني في (الكافي) في ثواب زيارة المؤمن: «عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام، قالاً: أيّما مؤمن خرج إلى أخيه يزوره، عارفاً بحقه، كتب الله له بكلّ خطوة حسنة، ومُحيت عنه سيئة، ورُفعت له درجة، وإذا طرق الباب فتحت له أبواب السماء، فإذا التقيا وتصافحا وتعانقا أقبل الله عليهما بوجهه، ثم باهى بهما الملائكة، فيقول: انظروا إلى عبديّ تزاورا وتحابّا فيّ، حقّ عليّ ألاّ أعذبهما بالنار بعد هذا الموقف. فإذا انصرف شيّعه الملائكة عدد نفسه وخطاه وكلامه، يحفظونه من بلاء الدنيا، وبوائق الآخرة، إلى مثل تلك الليلة من قابل، فإن مات فيما بينهما أعفي من الحساب. وإن كان المزور يعرف من حقّ الزائر ما عرفه الزائر من حقّ المزور كان له مثل أجره»<sup>(٢)</sup>.

فانظر إلى ثواب زيارة المؤمن العادي، فكيف حيثنّ نستعظم ثواب زيارة إمام معصوم مفترض الطاعة؟!

وجاء من طرق الفريقين في مصافحة المؤمن التي هي عمل يسير جدّاً، ولا يكلف شيئاً: «إنّ المؤمنين يلتقيان، فيُصافح أحدهما صاحبه، فلا تزال الذنوب تحتات

(١) الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٣٦٧.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ١٨٤.



عنهما كما يتحاتّ الورق عن الشجر، والله ينظر إليهما حتى يفترقا»<sup>(١)</sup>، و«إنّ المسلم إذا صافح أخاه تحاتّت خطاياهما كما يتحاتّ ورق الشجر»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية: «والمسلمان إذا تصافحا لم يبقَ بينهما ذنب إلا سقط»<sup>(٣)</sup>.

وعن النبي الأعظم ﷺ: «مَنْ أَتَى الجمعة إيماناً واحتساباً استأنف العمل»<sup>(٤)</sup>، كناية عن غفران الذنوب، يعني غفر الله له ما مضى من ذنوبه، وصار كيوم ولدته أمّه، وغير ذلك كثير في الثواب، ولمَنْ أراد المزيد فليقرأ كتاب (ثواب الأعمال) للشيخ الصدوق، وغيره من الكتب.

## الخاتمة

في نهاية هذا البحث المختصر نوّكد الأمور التالية:

١. إنّ الثواب المعطى لزائر الحسين عليه السلام لا يختلف من حيث الأصل عن أيّ ثواب آخر، والله (سبحانه وتعالى) بعلمه وحكمته هو الذي يحدّد المقدار المستحقّ من الثواب لهذا العمل أو ذاك، ولا بخل في ساحته عزّ وجلّ، والثواب بنفسه كاشف عن أهميّة العمل.

٢. لزيارة قبر المولى الحسين عليه السلام آثار مهمّة جدّاً في بقاء الدين؛ وذلك من خلال المساهمة في الحفاظ على أهداف الثورة الحسينية التي انطلقت لكي تُصلح ما فسد في الأمّة، فيكون الزائر مساهماً في الحفاظ على هذه الأهداف، وحينئذٍ يمكن استيعاب عظم ذلك الثواب.

٣. حتى يظفر الزائر بذلك الثواب لا بدّ أن يكون عمله لله سبحانه، واستجابة لأوامره، واحتساباً لأجره، وحبّاً لنبيه ﷺ، وعرفاناً بحقّ إمامه ومظلوميّته، وألا يكون

(١) المصدر السابق: ص ١٧٩.

(٢) الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد: ج ٨، ص ٣٧.

(٣) البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان: ج ٦، ص ٤٧٤.

(٤) الصدوق، محمد بن علي، مَنْ لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٤٢٧.

عمله رياءً، أو بحثاً عن السمعة، أو طلباً للدنيا؛ فإنّ ذلك يمنع من هذا الثواب. ومع هذه الشروط نفهم عظمة الزيارة، وما تؤدّيه من دور، وما تتركه من أثر في الفرد والأُمَّة.

- ٤ . إنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام لا تقلّ من قيمة الحجّ، ولا من قيمة زيارة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، بل ندعي أنّ زيارة الحسين عليه السلام تؤكّد أهميّة هذين العملين وغيرهما من العبادات، وترسخها في وجدان المسلمين، وتصحّح النظرة إليها.
- ٥ . إنّ مسألة الثواب لا تُفاس بمقاييس العباد؛ فإنّهم لا يستوعبون ذلك، فإنّ ذلك الثواب يُعدّ يسيراً في ساحة كرم الله وجوده، ومَن يتصفّح روايات الثواب في بقية الأعمال يعرف هذا المعنى، وحيثُ لا يستعظم ثواب زيارة الإمام الحسين عليه السلام بعد النظر إلى عظمة الزيارة.

### المصادر والمراجع

✽ القرآن الكريم.

- ١ . أصول الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق: أكبر علي غفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، الطبعة الخامسة، ١٣٦٣ هـ ش.
- ٢ . الأمالي، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسّسة البعثة، الناشر: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
- ٣ . الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)، تحقيق: طه محمد الزيني، الناشر: مؤسّسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع.
- ٤ . بحار الأنوار، العلامة محمد باقر المجلسي (ت ١١١١ هـ)، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، الناشر: مؤسّسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.





- ٥ . بصائر الدرجات، الشيخ محمد بن الحسن الصفار (ت ٢٩٠ هـ)، تحقيق: الحاج ميرزا حسن كوچه باغي، منشورات الأعلمي، طهران - إيران، ١٤٠٤ هـ.
- ٦ . تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المقدسة - إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.
- ٧ . الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، المحدث يوسف البحراني، تحقيق: محمد تقي الإيرواني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة - إيران، ١٤٠٨ هـ.
- ٨ . الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية، المحقق يوسف البحراني، الناشر: شركة دار المصطفى عليه السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ / ٢٠٢٢ م.
- ٩ . روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، الشيخ محمد تقي المجلسي، المطبعة العلمية، قم المقدسة - إيران.
- ١٠ . سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)، تحقيق وتصحيح: عبد الوهاب عبد اللطيف، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
- ١١ . شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق: محمد السعيد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.
- ١٢ . كامل الزيارات، الشيخ جعفر بن محمد بن قولويه القمي (ت ٣٦٧ هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة، قم المقدسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
- ١٣ . كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، مؤسسة دار الهجرة، قم المقدسة - إيران، الطبعة الثانية، ١٤٠٩ هـ.
- ١٤ . مجمع الزوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.



١٥ . مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين المسعودي (م٣٤٦)، الناشر:

منشورات دار الهجرة، قم المقدسة - إيران، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

١٦ . المزار، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان البغدادي العكبري المعروف بالشيخ

المفيد (ت٤١٣هـ)، تحقيق: السيّد محمد باقر الأبطحي، الناشر: دار المفيد

للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

١٧ . معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، دار إحياء التراث العربي،

بيروت - لبنان، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

١٨ . مَنْ لا يحضره الفقيه، الشيخ محمد بن علي الصدوق (ت٣٨١هـ)، تحقيق: علي

أكبر غفاري، الطبعة الثانية، طبعة جماعة المدرسين، قم المقدسة - إيران.

١٩ . نهج البلاغة، جمع: الشريف الرضي، شرح: الشيخ محمد عبده، الناشر: دار

الذخائر، قم المقدسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٢٠ . نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٥هـ)، الناشر: دار الجيل،

بيروت - لبنان، ١٩٧٣م.





نماذج مختارة من زيارات الإمام الحسين عليه السلام  
في كتاب (نواذر الحكمة)  
دراسة تحليلية  
القسم الثاني

الشيخ حيدر ناصر البهادلي  
ماجستير في علوم القرآن والحديث الشريف  
مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية / العراق

**Selected Samples from Ziyaras of Imam al-Husayn (PBUH)**  
**in the Book, *Nawader al-Hikma***  
**– An Analytical Study**  
**(Part Two)**

**Shaykh Haidar Naser al-Bahadeli**

Master's degree in Quran and Hadith Sciences

The Warith al-Anbiya Institute for Specialized Studies

on the Uprising of Imam al-Husayn (PBUH) – Iraq



## ملخص البحث

تناول هذا القسم من البحث مجموعة أخرى من مقاطع الزيارة الواردة في كتاب (نوادير الحكمة) المعروف بـ: (دبّة شبيب)؛ لدراستها، وبيان فضل زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) من خلالها، والكشف عن بعض مفرداتها المهمة وتحليلها، والاستشهاد عليها بالآيات القرآنية، والنصوص الروائية، وآراء العلماء في ذلك. وتعدّ نماذج الزيارة المختارة في هذا البحث (القسم الثاني) تكميلاً للمباحث الثلاثة السابقة في القسم الأوّل. فجاء القسم الثاني مشتملاً على مقدّمة، وخمسة مباحث، وخاتمة.

أمّا المقدّمة فهي في شرح الفقرات الواردة في زيارات الإمام الحسين (عليه السلام). وأمّا البحث الرابع فهو بعنوان: نور محمد (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته وطهارتهم (عليهم السلام) من نور الله تعالى. وقد تمّ فيه تحليل بعض النصوص الروائية عنهم (عليهم السلام)، ثمّ بيان معنى الطهارة لهم، والنور الوارد في حقّهم. وأمّا المبحث الخامس فهو في بيان معنى الشهادة والشهود، وذكر الآيات القرآنية المرتبطة بذلك، وبيان معاني بعض المفردات المتعلّقة بها، وعرض الاحتمالات الواردة في تفسيرها. وأمّا المبحث السادس فكان في الوراثة، وأنّ الإمام الحسين (عليه السلام) وأهله ورثه الأنبياء، كما صرّحت بذلك بعض نصوص الزيارة، وملاحظة الآيات القرآنية والشواهد الأخرى، وذكرنا في ذيل هذه الفقرة الاحتمالات في معنى (الوراثة) بالنسبة إلى الروايات المتعلّقة بذلك. وأمّا المبحث السابع فجاء في شهادة الزائر للإمام الحسين (عليه السلام) بالصلاة والزكاة وغيرهما، والتأمّل في نصوص الزيارة المصّرحّة بذلك، وهنا اتّجه البحث نحو بيان معنى شهادة الزائر للإمام (عليه السلام) بشكل مفصّل.

وأمّا المبحث الأخير فكان في بيان سرّ السلام على الملائكة عند قبر الإمام الحسين (عليه السلام) الوارد في زيارته. وانتهى البحث بخاتمة تضمّنت مجموعة من النتائج.

الكلمات المفتاحية: الزيارة، الإمام الحسين (عليه السلام)، (نوادير الحكمة)، الملائكة، الشهادة، السلام، الزائر، الوارث.



## Abstract

Part two of the research deals with another group of excerpts from the Ziyara mentioned in the book, *Nawader al-Hikma*, known as “*Dabbat Shabib*”. The aim is to study and illustrate the virtue of the Ziyara of Imam al-Husayn (PBUH) through these excerpts. The Ziyara’s important terminology is also examined and analyzed by referring to Quranic verses, narration, and scholars’ opinions. Thus, the selected samples of the Ziyara-texts in this research “Part Two” complete the three previous discussions in “Part One”.

Part two includes an introduction, five discussions, and a conclusion. The introduction emphasizes the importance of explaining and illustrating some parts of the Ziyara texts of Imam al-Husayn (PBUH). The fourth discussion is titled, “*The Light of Muhammad and His Household and Their Purity From the Light of Allah*”. It analyzes their reported narrations (PBUH) and explains the meaning of the purity and the light mentioned. The fifth discussion explains the meaning of testimony and witnesses, mentioning related Quranic verses and their discussion with a presentation of possible explanations. The sixth discussion is about inheritance, stating that Imam al-Husayn (PBUH) and his family are the heirs of the Prophets. This is mentioned in some Ziyara-texts and is supported by some Quranic verses and other strands of evidence. At the end of this part, different possibilities for interpreting the meaning of inheritance, in this context, through related narrations are presented.

The seventh discussion deals with the visitor’s testimony that Imam al-Husayn (PBUH) performed prayer, charity, and other acts, by analyzing the Ziyara-texts containing the testimony. The research aims to explain in detail the meaning of the testimony of the visitor to the Imam (PBUH). Finally, the last discussion explains the secret behind greeting the angels when visiting the tomb of Imam al-Husayn (PBUH) as mentioned in the Ziyara. The research ends with a conclusion that includes several results.

**Keywords:** Ziyara, Imam al-Husayn (PBUH), *Nawader al-Hikma*, angels, testimony, greeting, visitor, heir.

## المقدمة

يُعَدُّ كتاب (نوادير الحكمة) المعروف بـ: (دبّة شبيب) من الكتب المهمة التي تحتوي على مجموعة من النصوص والروايات، يتناول الكتاب مواضيع متنوّعة تتعلق بمختلف العلوم الفكرية والدينية. وفي هذا البحث سنقوم بدراسة نماذج مختارة من زيارات الإمام الحسين عليه السلام في كتاب (نوادير الحكمة)، وسنسلط الضوء على الدروس والأفكار التي يُمكن استخلاصها من هذه الزيارات، وكيف يمكن أن تُسهم في إثراء فهمنا لكثير من المعلومات والنتائج المهمة، والتفكير العميق في مثل هذه الزيارات. وقد تطرّقنا في القسم الأول من هذا البحث إلى مجموعة من المباحث المهمة في زيارات الإمام الحسين عليه السلام في كتاب (نوادير الحكمة)، تلك الزيارات الروحية ذات المضامين الدينية والأخلاقية العظيمة؛ حيث تُعبّر عن حبّ المؤمن وولائه لأهل بيت النبوة عامّةً، ولالإمام الحسين عليه السلام خاصّةً.

وفي هذا القسم - أعني الثاني - تطرّقنا أيضاً إلى نماذج مختارة من زيارته عليه السلام في ضمن مجموعة من المباحث في تحليل الكلمات والعبارات التي تعبّر عنها هذه الزيارات، وفهم مفرداتها بشكل أعمق، ممّا يمكن أن يسهم في فهم الرسالة الروحية والفكرية التي تحملها. ويمكن ذكر بعض الأسباب التي تبرز أهميّة تحليل تلك النماذج، منها:

١. فهم المضمون الديني والأخلاقي: وذلك من خلال تحليل مقاطع من زيارة الإمام الحسين عليه السلام، فيمكن أن يفهم الشخص المضامين الدينية والأخلاقية التي تحتوي عليها هذه الزيارات.

٢. توسيع فهم الثقافة والتاريخ: تحليل مقاطع من زيارة الإمام الحسين عليه السلام يمكنه أن يساعد في توسيع فهم الثقافة والتاريخ الإسلامي، وفهم الأحداث التاريخية التي



أدت إلى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء. كما أنّ التحليل يمكنه أن يساعد في ربط المفاهيم التاريخية بالقيم والمبادئ التي يتبنّاها الإمام الحسين عليه السلام.

٣. تعزيز التأمل والروحانية: تحليل مقاطع من زيارة الإمام الحسين عليه السلام يمكنه أن يساعد في تعزيز التأمل والروحانية لدى الشخص، وذلك من خلال فهم عمق المعاني والرسائل الموجودة في هذه الزيارات، ومن ثمّ يعزّز اتّصاله الروحي بالإمام الحسين عليه السلام، والتأمل في قصّته، وتأثيرها في حياته.

إذاً؛ تحليل مقاطع من زيارات الإمام الحسين عليه السلام الموجودة في كتاب (نواذر الحكمة) تحتوي على معلومات وأفكار دينية وعقائدية مهمّة.

٤. مفهوم الحجّة: يشير إلى وجود الإمام الحسين عليه السلام كحجّة من الله على الناس، والمفترض أن يكون قد قام بأداء جميع الواجبات الدينية والشرعية - مثل الصلاة والزكاة - ممّا يجعله مثلاً للتقوى والإيمان.

٥. زيارة الملائكة: يشير إلى أنّ الملائكة تزور قبر الإمام الحسين عليه السلام في كلّ ليلة ونهار، ممّا يدلّ على الروحانية والإيمان العميق الذي يتمتع به الإمام، فينعكس على عقيدة المؤمنين.

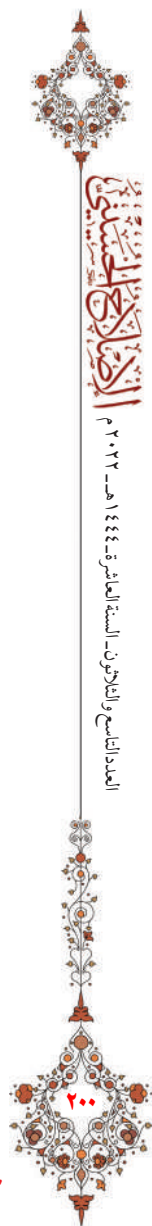
### المبحث الرابع: نور محمد وأهل بيته وطهارتهم من نور الله تعالى

قوله عليه السلام: «وأشهد أنّ أرواحكم وطينتك من طينة واحدة، طابت وطهرت من نور الله ومن رحمته»<sup>(١)</sup>.

الفعل (طهر) يدلّ على الطهارة الثابتة للإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته عليه السلام التي هي طهارة إلهية طهرهم الله تعالى بها، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٥٢٤.

(٢) الأحزاب: الآية ٣٣.





إِنَّ مِمَّا لَا يُشْتَى فِيهِ الْقَوْلُ أَنَّ طِينَةَ النَّبُوَّةِ مَخْصُوصَةٌ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَطِينَةُ الْوَلَايَةِ مَخْصُوصَةٌ بِالْوَلِيِّ، كَمَا أَنَّ طِينَةَ الرِّعْيَةِ مَخْصُوصَةٌ بِهِمْ، وَهَذَا الْمَعْنَى وَرَدَ عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا مِنْ نُورٍ عَظُمَتِهِ، ثُمَّ صَوَّرَ خَلْقَنَا مِنْ طِينَةٍ مَخْزُونَةٍ مَكْنُونَةٍ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ، فَأَسْكَنَ ذَلِكَ النُّورَ فِيهِ، فَكُنَّا نَحْنُ خَلْقًا وَبَشَرًا نَوْرَانِيَيْنِ، لَمْ يَجْعَلْ لِأَحَدٍ فِي مِثْلِ الَّذِي خَلَقَنَا مِنْهُ نَصِيبًا، وَخَلَقَ أَرْوَاحَ شِيعَتِنَا مِنْ طِينَتِنَا وَأَبْدَانَهُمْ مِنْ طِينَةِ مَخْزُونَةٍ مَكْنُونَةٍ أَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ الطِّينَةِ، وَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لِأَحَدٍ فِي مِثْلِ الَّذِي خَلَقَهُمْ مِنْهُ نَصِيبًا، إِلَّا لِلْأَنْبِيَاءِ، وَلِذَلِكَ صَرْنَا نَحْنُ وَهُمْ النَّاسَ، وَصَارَ سَائِرُ النَّاسِ هَمَجًا لِلنَّارِ وَإِلَى النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

نَعَمْ، إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ فَهَمَّ مِنْ فَاضِلِ طِينَةِ سَادَاتِهِمْ وَزِيَادَتِهَا، لَا مِنْ نَفْسِهَا؛ إِذْ هِيَ مَخْصُوصَةٌ بِهِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَدْ رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ؛ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ. قَالَ: فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، كَيْفَ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِأَنَّا خُلِقْنَا مِنْ نُورِ اللَّهِ، وَخُلِقَ شِيعَتُنَا مِنْ شِعَاعِ نُورِنَا، فَهَمَّ أَصْفِيَاءُ أَبْرَارِ أَطْهَارِ مُتَوَسِّمُونَ، نُورُهُمْ يُضِيءُ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ كَالْبَدْرِ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ»<sup>(٢)</sup>.

وَوَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا عَلِيُّ، أَنْتَ مِنِّي، وَأَنَا مِنْكَ، رُوحُكَ مِنْ رُوحِي، وَطِينَتُكَ مِنْ طِينَتِي، وَشِيعَتُكَ خُلِقُوا مِنْ فَضْلِ طِينَتِنَا...»<sup>(٣)</sup>.  
وَوَرَدَ أَيْضًا عَنِ الْإِمَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا نَصَّه: «اللَّهُمَّ، إِنَّ شِيعَتَنَا خُلِقَتْ مِنْ شِعَاعِ أَنْوَارِنَا، وَبَقِيَّةُ طِينَتِنَا...»<sup>(٤)</sup>.

وَالْحَقُّ أَنَّ طِينَةَ كُلِّ جَنْسٍ وَنَطْفَتَهُ مَخْصُوصَةٌ بِذَلِكَ الْجَنْسِ، وَهَكَذَا النُّوعُ، وَأَفْرَادُهُ. فَكُلُّ شَخْصٍ طِينَتُهُ وَنَطْفَتُهُ مَخْصُوصَةٌ بِهِ دُونَ غَيْرِهِ، قَالَ تَعَالَى:

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٣٨٩.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢١.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ٦٦.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٥٣، ص ٣٠٢.



﴿وَلَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾<sup>(١)</sup>، أي: معلوم في علمه

سبحانه وإن لم يكن معلوماً عند الجاهلين. وقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ

نَبَاتًا﴾<sup>(٢)</sup>. فكل بذر ونواة مقدرة، مسبقة بالمقادير السابقة، والمخصوصة بهم عليه السلام<sup>(٣)</sup>.

ثم إن هذه الطهارة أودعها الله تعالى فيهم وأكرمهم بها، ومن ثم تشمل حتى المكان الذي يحلون به، سواء في حياتهم، أم بعد مماتهم، فالمكان بما هو مكان لا يكتسب القداسة، وإنما القداسة تأتي من الإنسان الطاهر وعمله الصالح، فيكون المكان بعد ذلك طاهراً طهارة كاملة؛ لوجود الإمام المعصوم عليه السلام أو الشهيد مثلاً، فهكذا مكان يكون محلاً لاستجابة الدعاء، ويُعدّ مركزاً عبادياً على وجه الأرض.

فالزيارة عند الزائر هي طريق تؤدي به إلى قبول الدعاء، لأجل قداسة قبر الإمام عليه السلام؛ ولهذا ورد في الزيارة: «طَهَّرْتَ وَطَهَّرْتَ بِكَ الْبِلَادُ، وَطَهَّرْتَ أَرْضَ أَنْتَ بِهَا، وَطَهَّرَ حَرَمُكَ»<sup>(٤)</sup>.

ثم إن نورهم عليهم السلام هو نور الله المنفصل منه، كما ورد عن الباقر عليه السلام: «يا جابر، كان الله ولا شيء غيره، ولا معلوم ولا مجهول. فأول ما ابتدأ من خلق خلقه أن خلق محمداً عليه السلام، وخلقنا أهل البيت معه من نوره وعظمته. فأوقفنا أظلة خضراء بين يديه، حيث لا سماء ولا أرض ولا مكان ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر يفصل نورنا من نور ربنا، كشعاع الشمس من الشمس. نُسَبِّحُ الله تعالى، ونُقدِّسه، ونحمده، ونعبده حقَّ عبادته»<sup>(٥)</sup>.

ومعلوم أنه لا يصدر نور الشمس عن الشمس، إلا بنفس الشمس من غير

(١) الحجر: الآية ٢١.

(٢) نوح: الآية ١٧.

(٣) أنظر: الشريف الطباطبائي، محمد باقر، الزيارة المطلقة للإمام الحسين عليه السلام: ص ٢١٣ وما بعدها.

(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٦٠.

(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ١٧.

وساطة شيء سواها، فكَذَلِكَ هُم عَلَيْهِ السَّلَام صدروا عنه بلا واسطة شيء.

وهم نور الأنوار الصادر عن المنير الغفار، فقد ورد في هذا المعنى عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَام أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ إِذْ لَا كَانَ، فَخَلَقَ الْكَانَ وَالْمَكَانَ، وَخَلَقَ نَوْرَ الْأَنْوَارِ الَّذِي نُورَتْ مِنْهُ الْأَنْوَارُ، وَأَجْرَى فِيهِ مِنْ نُورِهِ الَّذِي نُورَتْ مِنْهُ الْأَنْوَارُ. وَهُوَ النُّورُ الَّذِي خَلَقَ مِنْهُ مُحَمَّدًا وَعَلِيًّا، فَلَمْ يَزَلَا نَوْرَيْنِ أَوَّلَيْنِ؛ إِذْ لَا شَيْءَ كَوْنٌ قَبْلَهُمَا، فَلَمْ يَزَلَا يَجْرِيَانِ طَاهِرَيْنِ مَطْهَرَيْنِ فِي الْأَصْلَابِ الطَّاهِرَةِ، حَتَّى افْتَرَقَا فِي أَطْهَرِ طَاهِرَيْنِ: فِي عَبْدِ اللَّهِ، وَأَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَام»<sup>(١)</sup>؛ ولهذا جاء في نصِّ زيارة أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَام: «وَضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ نُورِهِ»<sup>(٢)</sup>، إشارة إلى آية النور، وهي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ تُونُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»<sup>(٣)</sup>.

وأي ضياء أشدَّ ضوءاً ممَّن كان زيتُه ﴿يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾؟! ولكن ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ و﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٤٤٢. وقال العلامة المجلسي في بيان الحديث: «قوله: (إِذْ لَا كَانَ) لعلَّه مصدر بمعنى الكون، كالقال والقول، والمراد به الحدوث، أي: لم يحدث شيء بعد، أو هو بمعنى الكائن. ولعلَّ المراد بـ: (نور الأنوار) أولاً نور النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إِذْ هُوَ مُنَوَّرٌ أَرْوَاحُ الْخَلَائِقِ بِالْعُلُومِ وَالْهُدَايَاتِ وَالْمَعَارِفِ، بَلْ سَبَبُ لَوْجُودِ الْمَوْجُودَاتِ، وَعِلَّةُ غَايَةِهَا. (وَأَجْرَى فِيهِ) أي: في نور الأنوار، (من نوره)، أي: من نور ذاته، من إفاضاته وهداياته التي نُورَتْ مِنْهَا جَمِيعُ الْأَنْوَارِ حَتَّى نَوْرَ الْأَنْوَارِ الْمَذْكُورِ أَوَّلًا. قوله: (وهو النور الذي)، أي: نور الأنوار المذكور أولاً. والله يعلم أسرار أهل بيت نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٥، ص ٢٥.

(٢) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٢٤٨.

(٣) النور: الآية ٣٥.

(٤) الرعد: الآية ٢٧.

## المبحث الخامس: معنى الشهادة

قوله: «وأشهد الله وأشهدكم أنني لكم تبع بذات نفسي، وشرايع ديني، وخواتيم عملي»<sup>(١)</sup>.

يقال: أشهدته على كذا: إذا اتخذته شاهداً عليه<sup>(٢)</sup>. وأشهد الله، أي: أجعله شاهداً على إيماني بكم، فهو الذي لا تخفى عليه السرائر، ولا تغيب عنه مطويات القلوب والضمائر. وكذلك أشهد ملائكته وأنبياءه؛ فإنهم شهود عدول، لا تردّ شهادتهم، وقد وصف الله تعالى نفسه وملائكته وأنبياءه بكونهم شهداء في أكثر من موضع من كتابه المجيد، قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾<sup>(٣)</sup>، و﴿لَنَكُونَنَّ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾<sup>(٤)</sup>، و﴿وَيَقُولُ الْآشْهَدُ﴾<sup>(٥)</sup>، وغيرها من الآيات.

كما وردت مثل هذه المفاهيم في زيارة أخرى في قوله ﷺ: «وأشهد الله وملائكته وأنبياءه ورسله أنني بكم مومن، وبإيابكم موقن بشرايع ديني وخواتيم عملي»<sup>(٦)</sup>. وروي عن أمير المؤمنين ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى إيانا عنى بقوله: ﴿لَنَكُونَنَّ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، فرسول الله ﷺ شاهد علينا، ونحن شهداء الله على خلقه وحبّته في أرضه»<sup>(٧)</sup>.

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٥٢٥.

(٢) أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٣، ص ٢٣٩.

(٣) آل عمران: الآية ١٨.

(٤) البقرة: الآية ١٤٣. روي في تفسير هذه الآية: «أن الأمم يوم القيامة يحشدون تبليغ الأنبياء، فيطالب الله الأنبياء بالبيّنة على أنهم قد بلغوا وهو أعلم، فيؤتى بأمة محمد ﷺ، فيشهدون لهم، وهو صلوات الله عليه وآله يزيّهم». الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير جوامع الجامع: ج ١، ص ١٥٩.

(٥) هود: الآية ١٨.

(٦) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص ٧٢١.

(٧) الهاللي، سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس: ص ٤٦٤.

و(شرائع ديني) فيه إشارة إلى أن مجرد الإيمان بهم لا يكفي، بل المطلوب أكثر من ذلك، فلا بد من الالتزام بأوامرهم، والانتهاز بنواهيهم، وإطاعتهم فيما بينوا من الأحكام والحدود، والالتقياد لهم فيما يأمرون به وينهون عنه، فمن لم يكن كذلك فهم عليه السلام منه براء كما دلّت عليه بعض الأخبار، قال الإمام الصادق عليه السلام: «... إنّما أصحابي من اشتدّ ورعه، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه، فهؤلاء أصحابي»<sup>(١)</sup>.

وقال عليه السلام: «ليس منا - ولا كرامة - من كان في مصر فيه مئة ألف، أو يزيدون، وكان في ذلك المصر أحدٌ أروع منه»<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو الحسن الأول عليه السلام: «كثيراً ما كنت أسمع أبي يقول: ليس من شيعتنا من لا تتحدّث المخدّرات بورعه في خدورهنّ، وليس من أوليائنا من هو في قرية فيها عشرة آلاف رجل فيهم من خلق الله أروع منه»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه قال لجابر: «يا جابر، أيكثفي من يتحلّ التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت؟! فوالله ما شيعتنا إلّا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون يا جابر إلّا بالتواضع، والتخشع، والأمانة، وكثرة ذكر الله، والصوم والصلاة، والبرّ بالوالدين، والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام، وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكفّ الألسن عن الناس إلّا من خير. وكانوا أمناء عشائريهم في الأشياء. قال جابر: فقلت: يابن رسول الله، ما نعرف اليوم أحداً بهذه الصفة. فقال: يا جابر، لا تذهبنّ بك المذاهب، حسب<sup>(٤)</sup> الرجل أن يقول: أُحِبُّ عليّاً وأتولّاه، ثم لا يكون مع ذلك فعلاً؟! فلو قال: إني أُحِبُّ رسول الله، فرسول الله صلى الله عليه وآله خير من علي عليه السلام،

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٧٧، ح ٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٧٨، ح ١٠.

(٣) المصدر السابق: ص ٧٩، ح ١٥.

(٤) وقد جاء بتعبير آخر: «أَيْحَسْبُ». ابن إدريس، محمد بن أحمد، السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي (والمستطرفات): ج ٣، ص ٦٣٦.



ثم لا يتبع سيرته، ولا يعمل بسنته، ما نفعه حبه إياه شيئاً. فاتّقوا الله، واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة. أحبّ العباد إلى الله عزّ وجلّ وأكرمهم عليه أتقاهم وأعملهم بطاعته. يا جابر، والله ما يتقرب إلى الله تبارك وتعالى إلا بالطاعة، وما معنا براءة من النار، ولا على الله لأحد من حجة. من كان لله مطيعاً فهو لنا وليّ، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدوّ، وما تُنال ولا يتنا إلا بالعمل والورع»<sup>(١)</sup>.

ويحتمل أن يكون المراد بـ: (شرائع الدين) هم عليه السلام؛ لكونهم الأئمة الراشدين المظهرين لأمر الله ونهيه.

وأما (خواتيم عملي) فالخواتيم جمع خاتمة، وخاتمة العمل آخره وعاقبته ممّا يختم به من خير أو شرّ<sup>(٢)</sup>.

وبعبارة أخرى: ما يترتب عليه من ثواب وعقاب؛ فإنّ ذلك نتائج الأعمال، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «من ختم له بقيام الليل، ثمّ مات، فله الجنة»<sup>(٣)</sup>، أي: يكون آخر أعماله، أو المراد المداومة عليه حتى يموت.

ويحتمل أن يكون المراد بـ: (العمل) ها هنا هو خصوص الزيارة، أو خصوص الولاية، فتكون خاتمة خيراً، ويترتب عليها الثواب الجزيل، كما هو ظاهر قوله عليه السلام: «اللهم، إني أستودعك نفسي وأهلي... وخواتيم عملي»<sup>(٤)</sup>.

أو لعلّه يراد به خصوص الإيثار والتوحيد المشار إليه بقول النبي صلى الله عليه وآله: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله، وجبت له الجنة»<sup>(٥)</sup>.

تحصل ممّا تقدّم أنّ المعنى: إني على يقين بشرائع ديني وبتتائج عملي، أو إني أعزم

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٧٤، ح ٣.

(٢) أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٢، ص ١٦٤.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٤٧٥.

(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٣، ص ٤٨٠.

(٥) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج ٥، ص ٢٣٣.

وأوطن نفسي على أن أكون تابعاً لكم في الأمور المتعلقة بنفسي، وفي شرائع ديني، وفي خاتمة عملي، وفي منقلي إلى ربي عند موتي، وفي مثواي في قبري، وفي الجنة؛ لأن الله عز وجل ورسوله ﷺ والأئمة عليهم السلام أخبروني بذلك، ولم أشك في صدقهم.

### المبحث السادس: الإمام الحسين عليه السلام وأهله ورثة الأنبياء

قول أبي عبد الله عليه السلام: «وميراث النبوة عندك وعند أهل بيتك»<sup>(١)</sup>.

إن معنى الوارث هو الذي يبقى بعد موت المورث، ويرث تركته المورث، ويقوم مقامه. وسُمي الله تعالى بالوارث؛ لأنه باقٍ بعد فناء الأشياء، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾<sup>(٢)</sup>، وهو الذي يرث الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين. والمؤمنون هم الوارثون منازل الكفار في الجنة، أو يُمكنون في الأرض في زمن من الأزمنة، قال تعالى: ﴿أَبْكَ الْأَرْضُ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وورد في التعقيب المختص بصلاة الفجر ما نصّه: «كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة قال: اللهم متّعني بسمعي وبصري، واجعلهما الوارثين مني، وأرني ثاري في عدوي»<sup>(٤)</sup>.

فالإمام عليه السلام كان وارثاً للنبي والأنبياء عليهم السلام كسائر النقباء والأوصياء، والأخبار والزيارات مشحونة بذلك كما لا يخفى على المتتبع، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «إن العلماء ورثة الأنبياء؛ وذلك أن الأنبياء لم يُورثوا درهماً ولا ديناراً، وإنما ورثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ شيئاً منها فقد أخذ حظاً وافراً، فانظروا علمكم هذا عمن

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٧٤.

(٢) الرحمن: الآيتان ٢٦ - ٢٧.

(٣) الأنبياء: الآية ١٠٥.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٨٣، ص ١٣٠.





تأخذونه؟ فإنّ فينا أهل البيت في كلّ خَلْفٍ عُدُولاً ينفون عنه تحريفَ الغالين، وانتحالَ المبطلين، وتأويلَ الجاهلين»<sup>(١)</sup>. وقد فسّر العلماءُ بالأئمةَ عليهم السلام<sup>(٢)</sup>.

وجاء في زيارة الإمام الحسين عليه السلام في النصف من رجب: «السلام عليك يا وارث علم الأنبياء»<sup>(٣)</sup>، وغيرها كما في زيارة وارث<sup>(٤)</sup>.

وراثّة الأنبياء فيها عدّة احتمالات:

الاحتمال الأول: وراثّة العلم والمعارف والأسرار؛ فإنّ العلم لا يموت بموت العالم، بل يصير إلى عالم آخر. وأشار إلى هذا المعنى الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «إنّ عليّاً عليه السلام عالم هذه الأئمة، والعلم يُتوارث، ولا يهلكُ أحدٌ منّا إلّا ترك منّ أهله من يعلم مثل علمه، أو ما شاء الله»<sup>(٥)</sup>.

وفي رواية أخرى عن الفضيل بن يسار، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ العلم الذي هبط مع آدم لم يرفع، وإنّ العلم يُتوارث، وما يموت منّا عالم حتّى يُخلّفه من أهله من يعلم علمه، أو ما شاء الله»<sup>(٦)</sup>.

وعن أبي جعفر عليه السلام، قال: «... إنّ الله جمع لمحمد صلى الله عليه وآله سننَ النبيّين من آدم هلّم جرّاً إلى محمد صلى الله عليه وآله، قيل له: وما تلك السنن؟ قال: علم النبيّين بأسره، إنّ الله جمع لمحمد صلى الله عليه وآله علم النبيّين بأسره، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله صير ذلك كلّهُ عند أمير المؤمنين عليه السلام. فقال له الرجل: يا بن رسول الله، فأمر المؤمنين عليه السلام أعلم أو بعض النبيّين؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: اسمعوا ما يقول! إنّ الله يفتح مسامع من يشاء. إني حدّثت أنّ الله جمع لمحمد صلى الله عليه وآله

(١) الصّفّار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات: ص ٣٠-٣١.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٣٠.

(٣) الشهيد الأول، محمد بن مكي، المزار: ص ١٦٢.

(٤) أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتعجّد: ص ٢٨٩.

(٥) الصّفّار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات: ص ١٣٨.

(٦) المصدر السابق: ص ١٣٤.



علم النبيين، وأنه جعل ذلك كله عند أمير المؤمنين، وهو يسألني: هو أعلم، أم بعض النبيين؟!»<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الرحمن بن أبي نجران، قال: «كتب أبو الحسن الرضا عليه السلام رسالة، وأقرّ أنبياءها، قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: إنّ محمداً صلى الله عليه وآله كان أمين الله في أرضه، فلما قبض محمد صلى الله عليه وآله كنّا أهل البيت ورثته، ونحن أمناء الله في أرضه، عندنا علم البلايا والمنايا، وأنساب العرب، ومولد الإسلام، وإنّا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق... نحن ورثة الأنبياء، ونحن ورثة أولي العزم من الرسل»<sup>(٢)</sup>. وغير ذلك من الروايات في هذا المعنى<sup>(٣)</sup>.

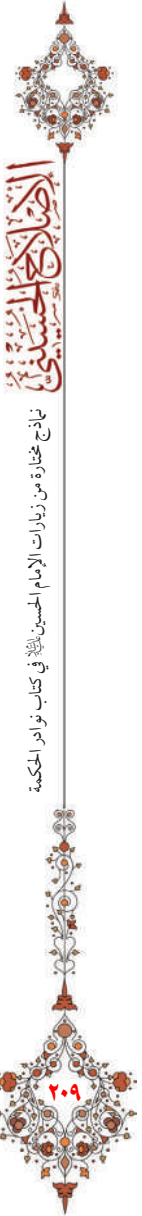
الاحتمال الثاني: وراثه خصال الأنبياء؛ فإنّ الائمة عليهم السلام اتّصفوا بها اتّصف به النبيون السابقون من الصفات المحمودة، والكمالات العالية، والأخلاق الفاضلة، والسمات الكاملة من الشرف، والمجد، والكرامة، والشجاعة، والسخاوة، والعلم، والرحمة والعطف، وغير ذلك من الصفات التي بلغ بها الأنبياء المقامات الرفيعة، ووصلوا بها إلى أسنى المعارج، فصاروا بها مظاهر أسماء الله الحسنى. فمَنْ نظر إليهم عليهم السلام فكأنّما نظر إلى الأنبياء عليهم السلام، فقد أشار إلى ذلك النبي صلى الله عليه وآله بقوله: «... يا عباد الله، مَنْ أراد أن ينظر إلى آدم في جلالته، وإلى شِيث في حكمته، وإلى إدريس في نباهته ومهابته، وإلى نوح في شكره لربه وعبادته، وإلى إبراهيم في وفائه وخلّته، وإلى موسى في بغض كلّ عدوّ لله ومنابدته، وإلى عيسى في حبّ كلّ مؤمن ومعاشرته، فلينظر إلى علي بن أبي طالب»<sup>(٤)</sup>.

(١) المصدر السابق: ص ١٣٦-١٣٧.

(٢) المصدر السابق: ص ١٣٨-١٣٩.

(٣) أنظر: المصدر السابق: ص ١٣٩ وما بعدها.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٧، ص ٤١٩.



وقد ورد عن المُفَضَّل، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «وَسَيِّدنا القائِم عليه السلام مُسَيِّد ظهَره إلى الكعبة، ويقول: يا معشر الخلائق، ألا وَمَنْ أراد أن ينظر إلى آدم وشَيْث، فها أنا ذا آدم وشَيْث، ألا وَمَنْ أراد أن ينظر إلى نوح وولده سام، فها أنا ذا نوح وسام، ألا وَمَنْ أراد أن ينظر إلى إبراهيم وإسماعيل، فها أنا ذا إبراهيم وإسماعيل، ألا وَمَنْ أراد أن ينظر إلى موسى ويوشع، فها أنا ذا موسى ويوشع، ألا وَمَنْ أراد أن ينظر إلى عيسى وشمعون، فها أنا ذا عيسى وشمعون، ألا وَمَنْ أراد أن ينظر إلى محمد وأمير المؤمنين (صلوات الله عليهما)، فها أنا ذا محمد صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، ألا وَمَنْ أراد أن ينظر إلى الحسن والحسين عليهما السلام، فها أنا ذا الحسن والحسين، ألا وَمَنْ أراد أن ينظر إلى الأئمة من ولد الحسين عليه السلام، فها أنا ذا الأئمة عليهم السلام» (١).

إذا؛ هذه الأخبار وغيرها سواءً وردت في خصوص أمير المؤمنين عليه السلام أو شملت سائر الأئمة عليهم السلام، فلا فرق بينهم في المقام؛ فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقِّ بِيَمِينٍ ذُرِّيَّتُهُمْ وَمَا لَنَنْتَهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ» (٢). قال: الذين آمنوا النبي وأمير المؤمنين، والذرية والأئمة الأوصياء ألحقنا بهم، ولم تنقص ذريتهم من الجهة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وآله في عليّ. وحجَّتُهم واحدة، وطاعتُهم واحدة» (٣). الاحتمال الثالث: أن تكون الوراثة بمعنى روح القدس - وهو غير الملك جبرائيل - الذي كان قد تجلّى للأنبياء السابقين عليهم السلام، وبه خرقوا العادات، وأظهروا المعجزات من إحياء الموتى، وشفاء المرضى، وغيرها من المعجزات. وفي روايات أهل البيت عليهم السلام أن الروح غير جبرائيل عليه السلام، وهو مع الأنبياء والمرسلين والأوصياء، فعن أبي بصير قال: «كنت مع أبي عبد الله عليه السلام، فذكر شيئاً من أمر الإمام إذا وُلِدَ، قال: واستوجب زيادة الروح في ليلة القدر. فقلت: جعلت فداك، أليس الروح جبرئيل؟

(١) المصدر السابق: ج ٥٣، ص ٩.

(٢) الطور: الآية ٢١.

(٣) الصقّار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات: ص ٥٠٠.

قال: جبرئيل من الملائكة، والروح خلق أعظم من الملائكة، أليس الله يقول: ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ﴾<sup>(١)</sup>.

وانتقل هذا الروح إلى نبيِّنا محمد وأهل بيته عليهم السلام، فظهرت منهم المعجزات الظاهرات، والآيات الباهرات، والكرامات الكثيرة، فقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذا المقام في بعض خطبه قائلاً: «أنا الخضر معلّم موسى، أنا معلّم داود وسليمان، أنا ذو القرنين... أنا تكلمت على لسان عيسى في المهد، أنا نوح، أنا إبراهيم، أنا صاحب الناقة، أنا صاحب الراحفة، أنا صاحب الزلزلة، أنا اللوح المحفوظ، إليّ انتهى علم ما فيه، أنا أنقلب في الصور كيف شاء الله، من رآهم فقد رآني، ومن رآني فقد رآهم. ونحن في الحقيقة نور الله الذي لا يزول ولا يتغيّر»<sup>(٢)</sup>.

وفي خطبة أخرى: «أنا جاوزت بموسى في البحر، وأغرقت فرعون وجنوده، وأنا أعلم همهم البهائم، ومنطق الطير، أنا الذي أجوز السماوات السبع والأرضين السبع في طرفة عين، أنا المتكلم على لسان عيسى في المهد، أنا الذي يصليّ عيسى خلفي، أنا الذي أنقلب في الصور كيف شاء الله»<sup>(٣)</sup>.

وظهرت على أيدي الأئمة عليهم السلام المعاجز والكرامات الكثيرة، مثل إحياء الموتى، وشفاء المرضى. نذكر منها في المقام ما رواه أبو بصير، قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وأبي جعفر عليه السلام، وقلت لهما: أنتما ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم. قلت: فرسول الله وارث الأنبياء، علّم كلّ ما علموا؟ فقال لي: نعم. فقلت: أنتم تقدرون على أن تُحيوا الموتى، وتبرؤا<sup>(٤)</sup> الأكثمة والأبرص؟ فقال لي: نعم، بإذن الله. ثم قال: ادن مني يا أبا

(١) المصدر السابق: ص ٤٨٤، تحت الباب: (الروح التي قال الله عز وجل تنزل الملائكة بالروح من أمره، وهي تكون مع الأنبياء والأوصياء. والفرق بين الروح والملائكة).

(٢) البرسي، رجب، مشارق أنوار اليقين: ص ٢٥٧.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٧٠.

(٤) في المصدر: (تبرئ).



محمد، فمسح يده على عيني ووجهي، وأبصرت الشمس والسماء والأرض والبيوت وكل شيء في الدار. قال: أُنحِبُّ أن تكون هكذا ولك ما للناس، وعليك ما عليهم يوم القيامة، أو تعود كما كنت ولك الجنة خالصاً؟ قلت: أعود كما كنت. قال: فمسح على عيني، فعدت كما كنت»<sup>(١)</sup>.

ومنها: رواية داود بن كثير الرقي، قال: «حجَّ رجل من أصحابنا، فدخل على أبي عبد الله عليه السلام، فقال: فداك أبي وأمي، إنَّ أهلي تُوفِّيت، وبقيت وحيداً، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أفكنت تُحبُّها؟ قال: نعم، جُعِلت فداك. قال: ارجع إلى منزلك، فإنَّك سترجع إلى المنزل وهي تأكل شيئاً. قال: فلمَّا رجعت من حجَّتي، ودخلت منزلي، رأيته قاعدة وهي تأكل»<sup>(٢)</sup>.

الاحتمال الرابع: وراثته الأدوات والآلات المختصة بالأنبياء التي خصَّهم الله بها دون سائر خلقه، مثل عصا موسى، وخاتم سليمان، والتابوت، وغيرها الواردة في الروايات والأخبار، فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام: «... وإنَّ عندي لسيف رسول الله ﷺ ودرعه ولامته ومغفره... وإنَّ عندي لراية رسول الله ﷺ المِغْلَبَة، وإنَّ عندي ألواح موسى وعصاه، وإنَّ عندي لخاتم سليمان بن داود، وإنَّ عندي الطَّسْت الذي كان يُقَرَّب بها موسى القُربان، وإنَّ عندي الاسم الذي كان إذا أراد رسول الله أن يضعه بين المسلمين والمشركين، لم يصل من المشركين إلى المسلمين نُشَابَة، وإنَّ عندي التابوت التي جاءت به الملائكة تحمله، ومثْل السلاح فينما مثْل التابوت في بني إسرائيل أهل»<sup>(٣)</sup> بيت وقف التابوت على باب دارهم أُوتوا النبوة كذلك، ومن صار إليه السلاح منّا

(١) الصَّفَّار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات: ص ٢٨٩.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٩٤.

(٣) هكذا في الأصل.

أوتي الإمامة. ولقد لَسَ أبي ذَرُع رسول الله، فخطَّت على الأرض خطيماً، وَلِسْتُهَا أنا فكانت. وقائمتنا مَن إذا لِسَهَا مَلأها، إن شاء الله»<sup>(١)</sup>.

إذا؛ أهل البيت عليهم السلام يرثون أمثال هذه الآثار والأدوات والآلات المختصة بالأنبياء عليهم السلام، والمعبر عنها في بعض الروايات بـ: (ميراث النبوة)، ففي حديث طويل عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «... فلما قضى محمد صلى الله عليه وآله نبوته، واستكملت أياؤه، أوحى الله تبارك وتعالى إليه: يا محمد، قد قُضِيَ نبوتك، واستكملت أيائك، فاجعل العلم الذي عندك، والإيمان، والاسم الأكبر، وميراث العلم، وأثار علم النبوة في أهل بيتك عند علي بن أبي طالب عليه السلام؛ فإنِّي لم أقطع العلم، والإيمان، والاسم الأكبر، وميراث العلم، وأثار علم النبوة من العقب من ذريتك، كما لم أقطعها من بيوتات الأنبياء الذين كانوا بينك وبين أبيك آدم»<sup>(٢)</sup>.

فالحديث يشير إلى الأهمية والقيمة لتلك الأدوات: (العلم، والإيمان، والاسم الأكبر). وهذه أورثها النبي صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين وذريته عليهم السلام. إذا؛ المراد بالوراثة ما كان للنبي صلى الله عليه وآله من هذه الأدوات والآلات المختصة به التي انتقلت إلى أهل بيته عليهم السلام.

الاحتمال الخامس: وراثة مهام الأنبياء من الإرشاد، والإبلاغ، والإنذار، ووجوب طاعتهم على الناس. ولعل هذا المعنى هو المراد بكون العلماء ورثة الأنبياء. ولا يخفى أن ميراث النبوة لهم عليهم السلام في جميع الخصائص، سوى مرتبة النبوة؛ ولهذا ورد في جملة من الروايات أن الأئمة عليهم السلام شأنهم شأن الأنبياء في تبليغ الرسالة، وإرشاد الناس إلى طريق الصواب، فعن الصادق عليه السلام قال: «الفضل لمحمد صلى الله عليه وآله، وهو المقدم على الخلق جميعاً، لا يتقدمه أحد. وعلي عليه السلام المتقدم من بعده، والمتقدم بين يدي علي كالمقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، وكذلك يجري للأئمة من بعده واحداً بعد واحد. جعلهم الله

(١) الصقار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات: ص ١٩٥.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٨، ص ١١٧.



أركان الأرض أن تميد بأهلها ورباطه<sup>(١)</sup> على سبيل هداه، لا يهتدي هادٍ من ضلالة إلا بهم، ولا يضلّ خارج من هدى إلا بتقصير عن حقهم. وأمناء<sup>(٢)</sup> الله على ما أهبط الله من علم أو عذر أو نذر، وشهاداءه على خلقه، والحجة البالغة على من في الأرض، جرى لآخرهم من الله مثل الذي أوجب لأولهم. فمن اهتدى بسبيلهم، وسلم لأمرهم، فقد استمسك بحبل الله المتين، وعروة الله الوثقى...»<sup>(٣)</sup>.

الخلاصة: مما تقدم تبين أن الائمة عليهم السلام عندهم ميراث النبوة، فكل ما للأنبياء من خصائص فهي وراثته لهم من دون استثناء، سوى النبوة التي ختمها الله ﷻ بمحمد ﷺ، فقد ورد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام المطلقة: «السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كلم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله، السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله»<sup>(٤)</sup>.

واقْتَصَرَ من ذكر الأنبياء والمرسلين على هؤلاء الستة؛ إمّا لكونهم بأجمعهم أولي العزم على ما يراه بعضهم<sup>(٥)</sup>، وإن كان المشهور عدم عدّ آدم عليه السلام منهم، وإمّا لكون الخمسة منهم من أولي العزم، وآدم عليه السلام أبو البشر قد خلقه الله سبحانه أنموذجاً للعالم، وأسجد له الملائكة، وعلمه الأسماء كلها، فهذه المزايا وغيرها جعلت منه أن يُذكر في أول الزيارة. وهؤلاء الستة من الأنبياء المذكورين تبعاً جامعون لجميع الكمالات الروحانية، ومتصفون بالصفات الربّانية، فهم أصول النبوة، وأركان

(١) وقد ورد «رابطيه». المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٣٩، ص ٣٤٣.

(٢) معطوف على (أركان). وقد ورد بالرفع أيضاً، أي: «وأمناء... وشهاداءه... والحجة البالغة».

المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٣٩، ص ٣٤٣. ووجه الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف.

(٣) الصقّار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات: ص ٢٢٠.

(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص ٧٢٠.

(٥) أنظر: الشريف الكاشاني، حبيب الله، جنّة الحوادث في شرح زيارة وارث: ص ٧٠.

الرسالة. والباقون من الأنبياء والمرسلين من فروعهم ورشحاتهم وإن اشترك كلهم في أصل النبوة، كما قال تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾<sup>(١)</sup>.

### المبحث السابع: شهادة الزائر للإمام الحسين عليه السلام بالصلاة والزكاة وغير ذلك

قال عليه السلام: «أشهد أنك قد أقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، ودعوت إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجاهدت في سبيل الله حتى أتاك اليقين»<sup>(٢)</sup>.

قد يرد في ذهن سؤال، حاصله: ما معنى الشهادة للإمام بإقامة الفرائض الواردة في كثير من زيارات الأئمة عليهم السلام، خصوصاً الإمام الحسين عليه السلام؟ وكيف أشهد لهم وهم أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً؟ أجاب بعضهم<sup>(٣)</sup> بأن الشهادة هنا بمعنى الكناية عن الإقرار والاعتراف بأنهم قاموا بوظائفهم، وذلك باعتبارهم الأئمة وحجج الله على الخلق. فالشهادة في الزيارة هي الاعتراف والإقرار لهم في مقابل الإنكار والجحود.

مضافاً إلى أن فيها نوعاً من الشكر على النعمة والإفضال؛ فإنه لولا إقامتهم الصلاة والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما شاكلها، لم نكن نعرف ذلك، أو نعمل به. وليس المراد أنهم كانوا يصلّون ويزكّون، بل المراد أنهم أحيوا أمر الصلاة والزكاة والجهاد في سبيل الله بجهودهم ومساعدتهم العلمية والعملية. وكذلك كونهم القدوة والأسوة في العمل بهذه الأحكام والتشريعات، فنحن نُشيد بذكرهم، ونذكر فضلهم علينا بهذه العبارات.

وقال الكاشاني في معنى (أشهد) الوارد في الزيارة: «أشهد، أي: أقرُّ بلساني، مدعناً بصميم جناني. وفيه إشارة إلى كماله عليه السلام في مقام الخضوع والعبودية والخشوع والطاعة،

(١) البقرة: الآية ٢٨٥.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٩، ص ٣١٥.

(٣) أنظر: ساحة السيد جعفر علم الهدى على موقع شبكة رافد (العقائد الإسلامية).





وبلوغه بساط العبادة إلى منتهى الكمال، ووصوله إلى مقام مرضاة ربّه ذي الجلال؛ فإنّ العبودية شرف فاضل للعبد، وأدب كامل للمخلوق، بها ينال نهاية المقامات، ويفوز بأسنى الكرامات»<sup>(١)</sup>. كما ورد في الحديث القدسي، عن الصادق عليه السلام: «لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل والعبادات حتّى أُحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها»<sup>(٢)</sup>.

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «العبودية جوهرة، كنهها الربوبية، فما فقد في العبودية، وجّد في الربوبية، وما خفي عن الربوبية، أصيب في العبودية»<sup>(٣)</sup>.

وأما المراد بإقامة الصلاة، فأدائها على الوجه المأمور به شرعاً، من آدابها، وشرائطها الظاهرية والباطنية: من الخضوع، والخشوع، والتوجّه بالكامل إلى الربّ المعبود الودود. وهذا هو المعنى المطلوب كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إذا استقبلت القبلة، فانس الدنيا وما فيها، والخلق وما هم فيه، واستفرغ قلبك عن كلّ شاغلٍ يشغلك عن الله، وعين بسرّك عظمة الله، واذكر وقوفك بين يديه يوم تبلو كلّ نفس ما أسلفت، وردّوا إلى الله مولاهم الحقّ. وقّف على قدم الخوف والرجاء. فإذا كبرت فاستصغر ما بين السماوات والعلی والثرى دون كبريائه؛ فإنّ الله تعالى إذا اطّلع على قلب العبد وهو يُكبر، وفي قلبه عارضٌ عن حقيقة تكبيره، قال: يا كاذب، أتمدني. وعزّي وجلالي لأحرّمتك حلاوة ذكرى، ولأحبّبتك عن قربي والمسارّة بمناجاتي. واعلم أنّه غير محتاج إلى خدمتك، وهو غني عن عبادتك ودعائك، وإنّما دعاك بفضله؛ ليرحمك، ويُبعدك من عقوبته، وينشر عليك من بركات حنانيّته، ويهديك إلى سبيل رضاه، ويفتح عليك باب مغفرته. فلو خلق الله عزّ وجلّ على ضعف ما خلق من العوالم أضعافاً مضاعفة على سرمد الأبد، لكان عنده سواء كفروا بأجمعهم به، أو وحدوه، فليس له من عبادة

(١) الشريف الكاشاني، حبيب الله، جنة الحوادث في شرح زيارة وارث: ص ١٠٣.

(٢) ابن أبي جمهور، محمد بن علي، عوالي اللآلئ: ج ٤، ص ١٠٣.

(٣) (منسوب إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام)، مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة: ص ٥٩٧.



الخلق إلا إظهار الكرم والقدرة. فاجعل الحياء رداءً، والعجز إزاراً، وادخل تحت سر سلطان الله، تغنم فوائد ربوبيته، مستعيناً به ومستغيثاً إليه»<sup>(١)</sup>.

ولهذا صلى الإمام الحسين عليه السلام بأصحابه يوم عاشوراء صلاة منقطعاً فيها عن كل ما سوى الحق وسبيله، برغم الظرف الذي كان يصلي فيه الإمام عليه السلام من رشق العدو النبل، ورميه الرماح<sup>(٢)</sup>.

كما ورد معنى آخر في الروايات، وهو أن المراد بإقامة الصلاة هو الإقرار بولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وبإيتاء الزكاة هو الإقرار بولاية الأئمة الباقيين عليه السلام، فقد جاء في حديث النورانية عن سلمان وأبي ذرٍّ، عن أمير المؤمنين عليه السلام في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾<sup>(٣)</sup> أنه قال «... يا سلمان ويا جندب، إن معرفتي بالنورانية معرفة الله، ومعرفة الله معرفتي، وهو الدين الخالص بقول الله سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، وهو الإخلاص. وقوله: ﴿حُنَفَاءَ﴾، وهو الإقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وآله، وهو الدين الحنيف. وقوله: ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، وهي ولايتي، فمن والاني فقد أقام الصلاة، وهو صعب مستصعب. ﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾، وهو الإقرار بالأئمة. ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾، أي: وذلك دين الله القيم»<sup>(٤)</sup>.

هذا معنى من معاني إتيان الزكاة التي فسرتها الروايات، ويمكن تفسيرها بحسب الظاهر بمعنى رعاية الفقراء والضعفاء والمساكين وإطعامهم، كما هو مشهور عن سيرته عليه السلام؛ فقد نقل ابن طلحة الشافعي (ت ٦٥٢ هـ) في (مطالب السؤل) بحق الإمام الحسين عليه السلام: «وقد اشتهر النقل عنه: أنه كان يُكرم الضيف، ويمنح الطالب،

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٨١، ص ٢٣٠.

(٢) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٣٤. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٢١.

(٣) البيهقي: الآية ٥.

(٤) البرسي، رجب، مشارق أنوار اليقين: ص ٢٥٥.

ويصل الرحم، وينيل الفقير، ويسعف السائل، ويكسو العاري، ويشبع الجائع، ويعطي الغارم، ويشدُّ من الضعيف، ويشفق على اليتيم، ويعين ذا الحاجة، وقلَّ أن وصله مال إلا فرقه.

ونُقِلَ: أن معاوية لما قَدِمَ مكة وصله بهال كثير، وثياب وافرة، وكسوات وافية، فردَّ الجميع عليه، ولم يقبله منه. وهذه سجية الجواد، وشنشنة الكريم، وسمة ذي السماحة، وصفة من قد حوى مكارم الأخلاق. فأفعاله المتلوَّةُ شاهدة له بصفة الكرم، ناطقة بأنَّه متَّصف بمحاسن الشيم<sup>(١)</sup>.

أمَّا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو: «الحمل على الطاعة قولاً، أو فعلاً. والنهي عن المنكر: هو المنع من فعل المعاصي قولاً، أو فعلاً»<sup>(٢)</sup>.

و«المعروف: هو كلُّ فعل حسن اختصَّ بوصف زائد على حسنه، إذا عرف فاعله ذلك، أو دلَّ عليه. والمنكر: كلُّ فعل قبيح عرف فاعله قبحه، أو دلَّ عليه. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجبان إجماعاً»<sup>(٣)</sup>، ومن الآيات الدالَّة عليهما قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾<sup>(٤)</sup>. ومن الأخبار قوله ﷺ: «لَتَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ<sup>(٥)</sup> عن المنكر أو لَيَسْتَعْمِلَنَّ عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يُستجاب لهم»<sup>(٦)</sup>.

«ومن أوكد الأسباب التي ثار من أجلها أبي الضيم ﷺ إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فإنَّهما من مقوِّمات هذا الدين. والإمام بالدرجة الأولى مسؤول عنهما. وقد أدلى ﷺ بذلك في وصيته لأخيه ابن الحنفية التي أعلن فيها عن أسباب خروجه

(١) ابن طلحة الشافعي، محمد، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ﷺ: ص ٣٨٦.

(٢) الشهيد الثاني، علي، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية: ج ٢، ص ٤٠٩.

(٣) المحقِّق الحلي، جعفر بن الحسن، شرائع الإسلام: ج ١، ص ٢٥٨.

(٤) آل عمران: الآية ١٠٤.

(٥) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١٧٦.

(٦) وفي مصادر أخرى: «لَتَأْمُرُنَّ... لَتَنْهَيْنَّ...».

على يزيد، فقال عليه السلام: (إِنَّ الحسین يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، جاء بالحق من عنده... وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مُفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ﷺ، أريد أن آمر بالمعروف، وأنهي عن المنكر) (١) (٢).

«من أجل هذه الأهداف النبيلة فجّر الإمام ثورته الخالدة، فهو لم يخرج أشراً ولا بطراً، ولم يبع أي مصلحة مادية له أو لأسرته، وإنما خرج على حكم الظلم والطغيان، يريد أن يقيم صروح العدل بين الناس» (٣).

«لقد انطلق عليه السلام إلى ميادين الجهاد؛ ليقم هذا الصرح الشامخ الذي بُنيت عليه الحياة الكريمة في الإسلام، وقد انهارت دعائمه أيام الحكم الأموي؛ فقد أصبح المعروف في عهدهم منكراً، والمنكر معروفاً. وقد أنكر عليهم الإمام في كثير من المواقف التي كان منها خطابه الرائع أمام المهاجرين والأنصار؛ فقد شجب فيه تحاذلهم عن نصرته الحق ودحض الباطل، وإيثارهم للعافية» (٤).

ومما قاله عليه السلام في هذا المجال أمام أصحابه وأهل بيته يوم الطف: «ألا ترون إلى الحق لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه؛ ليرغب المؤمن في لقاء ربه محققاً؛ فإنني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً» (٥).

وأما قوله عليه السلام: «دعوت إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجاهدت في سبيل الله حتى أتاك اليقين»، «فالدعوة يجب أن تكون إلى سبيل الرب تعالى، وأن تكون بالحكمة، فما هي سبيل الرب؟ وما هي الحكمة؟ هنا ينبغي أن الالتفات إلى أن الذاتي

(١) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ٢١.

(٢) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٢٨٨.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٦٤.

(٤) المصدر السابق: ص ٢٨٨-٢٨٩.

(٥) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٤٨.



الذي لا يتناهى في الكمال والجمال عليه السلام، قال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَهْلًا لَبَّيْ﴾<sup>(١)</sup>، فكشف لنا أنَّ الحكمة لا تُعطى لكلِّ أحد، بل لأشخاص خاصين مختارين اختياراً، وأفهمنا سبحانه أنَّه هو الذي الكثير عنده قليل، قد وصف القليل من الحكمة بأنَّه خير كثير: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، أمَّا ما هي الحكمة، فإنَّ المرجع في تفسير كلام الله تعالى هم، تراجمه وحيه عليه السلام، المفسِّرون الشرعيون لكلامه<sup>(٢)</sup>، فقد روى أبو بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، فقال: «طاعة الله ومعرفة الإمام»<sup>(٣)</sup>.

وأخيراً المراد باليقين هنا في قول الإمام عليه السلام هو الموت، كما في قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾<sup>(٤)</sup>. فأقيم السبب مقام المسبب؛ فإنَّ بالموت يزول الشكَّ والارتياب، ويحصل العلم واليقين بما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أحوال النشأة الأخرى بالنسبة إلى عامَّة الناس، وأمَّا الخاصَّة من العباد فهم على يقين ومعرفة وعلم في جميع أحوالهم، فكأنَّهم يرون ويعاينون الجنَّة والصراط والميزان والنار وسائر ما أخبر به الصادق الأمين<sup>(٥)</sup>؛ ومن هنا قال الإمام علي عليه السلام في هذا الصدد: «لو كُشِفَ لي الغطاء، ما ازددت يقيناً»<sup>(٦)</sup>.

(١) البقرة: الآية ٢٦٩.

(٢) الكوراني، علي، الحقَّ المبين في معرفة المعصومين عليهم السلام: ص ٦٢٩.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ١٨٥.

(٤) الحجر: الآية ٩٩.

(٥) أنظر: الشريف الكاشاني، الملا حبيب، جنَّة الحوادث في شرح زيارة وارث: ص ١١٣.

(٦) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ٣١٧. وقد ذكرت مجموعة من

الاحتمالات في تفسير الحديث. راجع أيضاً: شبر، عبد الله، مصابيح الأنوار في حلِّ مشكلات

الأخبار: ج ١، ص ٣٠ وما بعدها.

## المبحث الثامن: سرُّ السلام على الملائكة عليهم السلام عند قبره الشريف عليه السلام

قوله عليه السلام: «السلام على ملائكة الله المسوّمين، السلام على ملائكة الله المنزلين، السلام على ملائكة الله المُردفين، السلام على ملائكة الله الذين هم في هذا الحرم بإذن الله مقيمون»<sup>(١)</sup>.

من الأسرار الإلهية التي خصَّ الله سبحانه وتعالى بها الإمام الحسين عليه السلام هي زيارة الملائكة المقرّبين لحرمه، وهم أربعة آلاف، أمروا من عند الله تعالى بنصره، فلما نزلوا إليه وجدوه مقتولاً مضرّجاً بدمه، فأمرُوا بعزائه، فهم شعث غبر باكون عليه، يطوفون على قبره الشريف إلى يوم القيامة؛ فقد ورد عن هارون بن خازجة أنّه قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: وكلَّ الله بقبر الحسين عليه السلام أربعة آلاف ملك شُعث غُبر يبيكونه إلى يوم القيامة. فمن زاره عارفاً بحقه، شيعوه حتى يبلغوه مأمنه، وإن مرض عادوه غدوةً وعشيةً، وإن مات شهدوا جنازته، واستغفروا له إلى يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

وروى أبان بن تغلب عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً أنّه قال: «إنَّ أربعة آلاف ملك هبطوا يريدون القتال مع الحسين بن علي عليه السلام، لم يُؤذَنَ لهم في القتال، فرجعوا في الاستيذان، فهبطوا وقد قُتِلَ الحسين عليه السلام، فهم عند قبره شُعث غُبر يبيكونه إلى يوم القيامة. رئيسهم ملك يقال له: المنصور»<sup>(٣)</sup>.

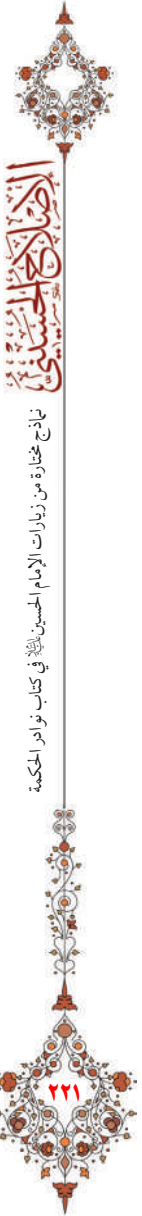
وزاد (الكافي) ما نصّه: «... فلا يزوره زائر إلاّ استقبلوه، ولا يودّعه مودّع إلاّ شيعوه، ولا مريض إلاّ عادوه، ولا يموت إلاّ صلّوا على جنازته واستغفروا له بعد موته»<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٥٢٥.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٨١. وانظر: الصدوق، ثواب الأعمال: ص ٨٨.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٧٢.

(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٨١-٥٨٢.



وكذلك توجد بعض الروايات تقول: إن الله تعالى وكل بالإمام الحسين عليه السلام سبعين ألف من الملائكة مأمورين من عند الله بالسكون في جواره، يزورون قبره الشريف، ويستقبلون زواره، ويشيعونهم إلى أوطانهم، ويستغفرون لهم إلى يوم القيامة. فعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «وكل الله تعالى بقبر الحسين عليه السلام سبعين ألف ملك، يصلّون عليه كلّ يوم، شُعْثاً غُبْراً من يوم قُتِلَ إلى ما شاء الله، يعني بذلك: قيام القائم عليه السلام. ويدعون لمن زاره، ويقولون: يا رب، هؤلاء زوّار الحسين عليه السلام، افعل بهم، وافعل بهم»<sup>(١)</sup>.

ومن هنا؛ ورد السلام عليهم، والاستمداد منهم، كما في دعاء إذن الدخول عليه عليه السلام؛ فقد ورد ما نصّه: «فكونوا ملائكة الله أعواني، وكونوا أنصاري حتّى أدخل هذا البيت، وأدعو الله بفنون الدعوات»<sup>(٢)</sup>. فينبغي للزائر السلام عليهم، والتوجّه إليهم؛ ليعينوه، ويزكّوه، ويستغفروا له، حتّى يؤذن له بالحضور والزيارة. وعلامة إذنهم واستقبالهم للزائر وتوجّهم إليه هي أن يصير خاشعاً باكياً.

و«الملائكة المردفين، أي: متّبعين المؤمنين، أو بعضهم بعضاً، من أردفته أنا. وإن فتحت الدال فهو من أردفته إيّاه. الملائكة المسوّمين، أي: المعلّمين، من التسويم بمعنى إظهار سيماء الشيء، كانت عليهم العمام البيضاء المرسلّة يوم بدر؛ فقد ورد أنّهم ما صعدوا بعد، ولا يصعدون حتّى ينصروا صاحب هذا الأمر. وهم خمسة آلاف»<sup>(٣)</sup>.

وقد ورد في الروايات هذا المعنى، فعن أبي حمزة الثمالي، قال: «سمعت أبا جعفر محمد بن عليّ عليه السلام يقول: لو قد خرج قائم آل محمد صلّى الله عليه وآله لنصره الله بالملائكة المسوّمين والمردفين والمنزّلين والكروبيّين. يكون جبرائيل أمامه، وميكائيل عن يمينه، وإسرافيل عن يساره»<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٣٣.

(٢) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٥٦.

(٣) الفيض الكاشاني، محمد محسن، الوافي: ج ١٤، ص ١٤٩٤-١٤٩٥.

(٤) النعماني، محمد بن إبراهيم، الغيبة: ص ٢٣٩.

## الخاتمة

إن زيارات الإمام الحسين عليه السلام التي وردت في كتاب (نواذر الحكمة) تعكس مفاهيم دينية وروحانية عميقة، تعبّر عن القيم والمبادئ العظيمة. وتحليل هذه الزيارات يساهم في فهم أعمق لمقام الإمام وكيفية تأثيره في حياة المؤمنين، فهي تعزّز فهم مقام الإمام الحسين عليه السلام في نفوسهم، وتقوي أواصر الارتباط والتواصل مع الإمام عليه السلام واستلهام قيمه وأخلاقه، فتؤثر إيجابياً في حياتهم.

## المصادر والمراجع

\* القرآن الكريم.

- ١ . الأمالي، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١هـ)، مؤسّسة البعثة، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٢ . بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، نشر: مؤسّسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- ٣ . بصائر الدرجات، محمد بن حسن بن فروخ الصفّار (ت ٢٩٠هـ)، تحقيق: حسن كوجه باغي، منشورات الأعلمي، طهران - إيران، ١٤٠٤هـ.
- ٤ . تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تصحيح: نخبة من العلماء الأجلاء، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ.
- ٥ . تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد (رضوان الله عليه)، أبو جعفر محمد بن الحسن الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: السيّد حسن الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ.
- ٦ . ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي





الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، منشورات الرضى، قم المقدسة - إيران، الطبعة الثانية، ١٣٦٨ هـ ش.

٧ . جنة الحوادث في شرح زيارة وارث، حبيب الله الشريف الكاشاني (ت ١٣٤٠ هـ)، تحقيق وتعليق: نزار الحسن، مكتبة هيئة الأمين عليه السلام، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.

٨ . الحق المبين في معرفة المعصومين عليهم السلام، الشيخ علي الكوراني العاملي، دار الهادي للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م.

٩ . حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام، باقر شريف القرشي، نشر: مطبعة الآداب، النجف الأشرف - العراق، الطبعة الأولى، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٤ م.

١٠ . الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، زين الدين علي بن أحمد الجبعي العاملي الشهيد الثاني (ت ٩٦٥ هـ)، تحقيق: السيّد محمد كلانتر، منشورات جامعة النجف الدينية، النجف الأشرف - العراق، الطبعتان الأولى والثانية، ١٣٨٦ هـ و ١٣٩٨ هـ.

١١ . شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، نجم الدين جعفر بن الحسن المحقق الحلي (ت ٦٧٦ هـ)، تحقيق وتعليق: السيّد صادق الشيرازي، انتشارات استقلال، طهران - إيران، الطبعة الثانية، ١٤٠٩ هـ.

١٢ . شرح الزيارة المطلق للإمام الحسين عليه السلام، الميرزا محمد باقر الشريف الطباطبائي (ت ١٣١٩ هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد هاني الهجري، الناشر: باقيات، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.

١٣ . عوالي اللآلئ العزيزية في الأحاديث المدينة، محمد بن علي بن إبراهيم ابن أبي جمهور الأحسائي (ت ٨٨٠ هـ)، مؤسّسة سيّد الشهداء، قم المقدسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٩٨٣ م.



- ١٤ . الغيبة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر ابن أبي زينب النعماني (ت ٣٨٠هـ)، تحقيق: الشيخ فارس حسون كريم، الناشر: أنوار الهدى، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ١٥ . الفتوح، أبو محمد أحمد بن عبد الله ابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- ١٦ . الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الرابعة، مطبعة حيدري، ١٤٠٧هـ.
- ١٧ . كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمي (ت ٣٦٧هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيومي ولجنة التحقيق، مؤسسة النشر الإسلامي، نشر: مؤسسة نشر الفقاهة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ١٨ . كتاب سليم بن قيس، سليم بن قيس الهلالي الكوفي (ت القرن الأول)، تحقيق: محمد باقر الأنصاري الزنجاني، الناشر: دليل ما، الطبعة الأولى، ١٤٢٢/ ١٣٨٠ ش.
- ١٩ . لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور المصري الإفريقي (ت ٧١١هـ)، نشر: أدب الحوزة، قم المقدسة - إيران، ١٤٠٥هـ / ١٣٦٣ ق.
- ٢٠ . اللهوف في قتل الطفوف، علي بن موسى بن جعفر الحسيني المعروف بابن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، الناشر: أنوار الهدى، قم المقدسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٢١ . مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥ م.
- ٢٢ . المزار، محمد بن جعفر المشهدي (من أعلام القرن السادس)، تحقيق جواد القيومي الإصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، نشر: القيوم، قم المقدسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

- ٢٣ . المزار، محمد بن مكي العاملي الشهيد الأول (ت ٧٨٦ هـ)، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.
- ٢٤ . مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، دار صادر، بيروت - لبنان.
- ٢٥ . مشارق أنوار اليقين، الحافظ رجب البرسي (ت حدود ٨١٣ هـ)، تحقيق: السيّد علي عاشور، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م.
- ٢٦ . مصابيح الأنوار في حلّ مشكلات الأخبار، السيّد عبد الله شبر (ت ١٢٤٢ هـ)، مؤسسة النور، بيروت - لبنان.
- ٢٧ . مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة (فارسي)، المنسوب للإمام الصادق عليه السلام (ت ١٤٨ هـ)، ترجمة وتحقيق: عبد الرزاق گيلاني، تصحيح وتنظيم: رضا مرندی، الناشر: انتشارت پیام حق، الطبعة الثالثة، ١٣٨٥ ش.
- ٢٨ . مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، المنسوب للإمام الصادق عليه السلام (ت ١٤٨ هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.
- ٢٩ . مصباح المتهجّد، أبو جعفر محمد بن الحسن الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م.
- ٣٠ . مطالب السؤول في مناقب آل الرسول صلّى الله عليه وآله، كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي (ت ٦٥٢ هـ)، تحقيق: ماجد أحمد العطية.
- ٣١ . معاني الأخبار، محمد بن علي الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدسة - إيران، ١٣٧٩ هـ.
- ٣٢ . مَنْ لا يحضره الفقيه، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق

(ت ٣٨١هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، نشر: مؤسسة النشر

الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الثانية.

٣٣. مناقب آل أبي طالب، أبو عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني

(ت ٥٨٨هـ)، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية،

النجف الأشرف - العراق، ١٣٧٦هـ.

٣٤. الوافي، محمد محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)، تحقيق وتعليق وتصحيح:

ضياء الدين الحسيني الإصفهاني، مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، إصفهان -

إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.





**آداب الزيارة**  
**بحث في الماهية والأقسام**

د. الشيخ محمد الكروي القيسي  
دكتوراه في الفقه الإسلامي، من العراق

**The Etiquettes of the Ziyara**  
**– A Study on its Nature and Categories**

**Dr. Shaykh Muhammad al-Karwi al-Qaysi**  
Doctorate in Islamic Jurisprudence, from Iraq



## ملخص البحث

احتلّت الآداب الشرعية مساحة واسعة من فقه الشريعة الإسلامية، وتُمثّل آداب زيارة الإمام الحسين عليه السلام أحد أهمّ أقسام تلك الآداب، وقد تناول هذا البحث ماهية الآداب وحقيقتها شرعاً، فتبيّن أنّ الآداب هي مجموعة من أفعال وتروك وصفات وهيئات مطلوبة شرعاً، تتعلّق بأحكام شرعية أخرى، توجب كمال تلك الأعمال وحسنها، وهي شاملة للواجبات والمحرمات كشمولها للمستحبات والمكروهات؛ تبعاً لأساس القسمة.

والأساس الأوّل المتصوّر للقسمة هو التقسيم على أساس تعلّق الآداب بزمان معيّن وعدم تعلّقها به، ويمكن لحاظ أساس آخر للقسمة، وهو تقسيم الآداب إلى آداب الزيارة عن قرب، وآداب الزيارة عن بعد؛ إذ إنّ للزيارة عن بعد آداباً كما للزيارة عن قرب، وبعد ذلك تناول البحث مصاديق تلك الآداب وأحكامها وأدلتها الشرعية. الكلمات المفتاحية: ماهية، حقيقة، آداب، أدب، زيارة، مزور، الإمام الحسين عليه السلام.

## Abstract

Etiquettes occupy a considerable area of the Islamic jurisprudence. Moreover, the specific etiquette related to the Ziyara (visitation) of Imam al-Husayn (PBUH) is one of the most important categories. This study discusses the nature and truth of these etiquettes on the religious level. It reveals that etiquettes are a set of actions, avoidances, qualities, and forms. They are religiously required, as they complement and fulfill their related religious tradition. These etiquettes address obligatory and prohibited acts, as well as recommended and *Makrooh* (disliked) acts.

The first possible dividing criterion is based on whether the etiquette is related to a specific time or not. Another criterion of division is also possible: dividing etiquettes into the etiquettes of Ziyara at the shrine, and the etiquettes of Ziyara from a distance. Indeed, distant visitations have etiquettes, just like the visitations at the Shrine. The study then discusses the applications, rules, and religious evidence of these etiquettes.

**Keywords:** nature, truth, etiquette, Ziyara (visitation), the visited, Imam al-Husayn (PBUH.)





## المقدمة

لا شك أنّ العقلاء جميعاً إذا أرادوا الوصول إلى هدف بعيد وغاية قصوى، جعلوا في طريق سفرهم البعيد محطات يتزوّدون منها؛ ليواصلوا المسير. وليس السفر المعنوي بمنأى عن تلك القاعدة العقلائية، فلا بدّ للمسافر إلى الله تعالى من محطات يمتار منها ما يُعينه على مواصلة المسير؛ ولذلك جعلت الشريعة الغراء في إرثها الغني المتكامل محطات ثرية لمن أراد السفر إلى الله تعالى، زمانية كانت أو مكانية.

ولا يخفى أنّ شهر رمضان - مثلاً - واحد من أبرز المحطات الزمانية التي وضعتها الشريعة للتزوّد من صنوف الزاد المعنوي (من صيام، وصلاة، ودعاء، و...)، والتي تؤدّي إلى خير الزاد التقوى، وكذا عيدا الفطر والأضحى، وأيام عاشوراء، وغيرها من المحطات الزمانية. كما جعلت الشريعة في تراثها النقي محطات مكانية يتزوّد منها الراحلون إلى الله تعالى، وبيت الله الحرام - في غير موسم الحجّ - مثال لذلك، وكذا أضرحة الأنبياء والأئمة عليهم السلام والصالحين.

كما أنّ هناك محطات جمعت بين خصوصيتي الزمان والمكان؛ إذ هما معاً يشدّان إلى الله تعالى، ويفيضان بالزاد على المتزوّد منهما، وموسم الحجّ هو أحد مصاديق ذلك، وكذا مراقد الأنبياء والأئمة عليهم السلام في أيام زيارتهم المخصوصة.

ولعلّ قبر المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام أحد أبرز تلك المحطات، فالمكان لا يخفى فضله على أحد، وفضل الزمان - أي: زيارته المؤقتة بوقت معيّن - أبين من شمس الضحى؛ إذ قلّما يخلو شهر من شهور السنة من ذكر زيارة مخصوصة له عليه السلام. وقد ذكرت لزيارته عليه السلام آداب وكمالات، بها تبلغ الزيارة درجاتها العليا، وغايتها القصوى، وهذا البحث هو محاولة لتحديد ماهية تلك الآداب وحقيقتها، وأقسامها.

## المحور الأول : ماهية الآداب

قبل البحث عن ماهية الآداب وحقيقتها، لا بدّ من الرجوع إلى الجذور اللغوية لكلمة (أدب)؛ إذ كثيراً ما يكون المعنى الاصطلاحي مطابقاً للمعنى اللغوي، فهو مأخوذ عنه، ومشتقّ منه.

فالآداب لغة: جمع أدب، قال ابن فارس في معجمه: «... فالأدب أن تجمع الناس إلى طعامك، وهي المأذبة والمأذبة...»<sup>(١)</sup>.

وقيل: «الأدب (محرّكة): الظرف، وحسن التناول»<sup>(٢)</sup>. و«الأدب: الذي يتأدّب به الأديب من الناس؛ سُمّي أدباً لأنّه يأدب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح...»<sup>(٣)</sup>. إذاً؛ فأحد معاني الأدب هو الظرافة، وحسن تناول الأمر، كما أنّ أحد معانيه أيضاً دعوة الناس وتجميعهم، كما قيل: إنّ «سُمّي حسن الخلق أدباً؛ لأنّه يجمع الناس على استحسانه»<sup>(٤)</sup>.

وهناك معانٍ أخرى ذُكرت للأدب نجمعها فيما يلي:

١. الظرف وحسن التناول...

٢. ملكة تعصم من قامت به عمّا يشينه...

٣. أنّه يقع على كلّ رياضة محمودّة...

٤. استعمال ما يُحمد قولاً وفعلاً...

٥. حسن الأخلاق، وفعل المكارم...

وأدقّ هذه التعابير أولها، بل أشملها، فحقيقة الأدب هي الظرافة في الأداء، وحسن

(١) ابن فارس، زكريا، معجم مقاييس اللغة: ج ١، ص ٧٤.

(٢) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط: ج ١، ص ٣٦.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١، ص ٢٠٦.

(٤) مركز المعجم الفقهي، المصطلحات: ص ١٣٣.

التناول، وأما سائر التعابير فهي إما بيان للأثر، أو بيان لموارد الاستعمال، وليست معاني في مقابل ما ذكر<sup>(١)</sup>.

وها هنا أمر مهمّ ينبغي ذكره، وهو أنّ الأدب «لا يكون إلّا في الأمور المشروعة غير الممنوعة، فلا أدب في الظلم والخيانة والكذب، ولا أدب في الأعمال الشنيعة والقبيحة. ولا يتحقّق الأدب أيضاً إلّا في الأفعال الاختيارية التي لها هيئات فوق الواحدة؛ حتى يكون بعضها متلبساً بالأدب دون بعض...»<sup>(٢)</sup>.

فالصلاة - مثلاً - فعل اختياري، ولها أكثر من هيئة، يمكن أن تؤدّى من دون آدابها، ويمكن أن تؤدّى مع آدابها، وكذا الوضوء، والزيارة. كما أنّ الأمور غير الاختيارية لا توصف بالحسن والقبح بالضرورة، بينما تقدّم أنّ الآداب من الأمور التي توصف بالحسن؛ لذا فإنّ الفعل الاختياري هو الذي يمكن أن يتلبّس بالأدب أو لا يتلبّس به.

أمّا الأدب اصطلاحاً - والمقصود هنا اصطلاح الفقهاء لا الأعمّ - ف«لا يوجد اصطلاح خاصّ لدى الفقهاء للأدب والآداب، بل يُطلقونها بنفس المعاني اللغوية، ففي باب العقوبات يُطلقون الأدب على العقوبة، بمعنى الضرب والتعزير... وفي سائر الأبواب قد يُطلقان بمعنى الأخلاق الحسنة، والأفعال الحميدة عرفاً، أو عقلاً، أو شرعاً، نظير اعتبارهم أدب المرأة أحد الملاكات في تحديد مهر المثل، واعتبارهم تغيّر آداب الزوجة مع زوجها علامة لنشوزها»<sup>(٣)</sup>.

(١) مؤسّسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، موسوعة الفقه الإسلامي طبقاً لمذهب أهل البيت (عليه السلام): ج ١، ص ٢١٦.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، سنن النبي: ص ٣٥.

(٣) مؤسّسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، موسوعة الفقه الإسلامي طبقاً لمذهب أهل البيت (عليه السلام): ج ١، ص ٢١٧.

فتعريفاتهم لا تعدو أن تكون من باب تشخيص مصداق الأدب شرعاً؛ لذا فقد قيل في تعريف الآداب اصطلاحاً:

١. إتيها: «مجموعة أفعال وتروك، نذبت إليها الشريعة، مقدّمة لبعض الأفعال، فتضاف كلمة (آداب) إلى عنوان ذلك الفعل، مثل: آداب الوضوء، وآداب التخلّي...»<sup>(١)</sup>. ولا يتوهم من عبارة (مقدّمة لبعض الأفعال) في التعريف المتقدّم لابدئية أن تكون الآداب متقدّمة زماناً على العمل الذي جعلت أدباً له، بل قد تتأخّر عن ذلك الفعل، كما في الدعاء وقراءة سورة القدر بعد إتمام الوضوء؛ إذ جعلاً أدباً للوضوء مع وقوعها بعده. وكذا مثل تقديم الرجل اليمنى عند الخروج من المستراح<sup>(٢)</sup>، والدعاء بالمأثور المجعولين أدباً للتخلّي، مع وقوعها بعده أيضاً. فتلك المقدّمات حينئذٍ حالها حال المقدّمات المتأخّرة في بعض الواجبات<sup>(٣)</sup>، لكن في مقامنا هذا تكون تلك الآداب مؤثّرة في كمال العمل، لا في صحّته وإن وقعت بعد العمل.

والملاحظ على هذا التعريف عدم اطّراده؛ لأنّه قصر الآداب على الأفعال والتروك، بينما ورد من الآداب ما هو غير ذلك، فالحشوع<sup>(٤)</sup> - مثلاً - أدب للصلاة<sup>(٥)</sup>، وهو حالة أو هيئة نفسانية، وليس بفعل ولا ترك.

وأما فيما نحن فيه - أعني آداب الزيارة - فمثل الحزن والكآبة والكرب من الصفات التي ورد ذكرها في قول الإمام الصادق عليه السلام: «... فزره وأنت كئيب حزين مكروب، شعث مغبر، جائع عطشان؛ فإنّ الحسين قُتل حزيناً مكروباً...»<sup>(٦)</sup>، وهي

(١) الأنصاري، محمد علي، الموسوعة الفقهية الميسرة: ج ١، ص ٨٥.

(٢) المستراح: مكان التخلّي.

(٣) كما في الأغسال الليلية في صوم المرأة المستحاضة عند البعض، وسيأتي بسط الكلام في ذلك لاحقاً.

(٤) الحشوع: هو «الخضوع المشتمل على رمي البصر الى الأرض، وخفض الصوت، وسكن

الأعضاء». فتح الله، أحمد، معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ص ١٧٧.

(٥) أنظر: الوحيد البهبهاني، محمد باقر، مصابيح الظلام في شرح مفاتيح الشرائع: ج ٩، ص ٥٩.

(٦) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٥٢.

هيئات نفسانية، فالحزن: «يُقابل السرور، وهو حالة انقباض مخصوص في القلب، كما أنَّ السرور حالة انبساط»<sup>(١)</sup>. فالهيئات النفسانية ليست بأعمال، ولا يشملها التعريف حيثنًد.

نعم، يمكن أن يُجاب عن ذلك بأنَّ الفعل والترك المقصودين في التعريف هما الأعمّ من الفعل والترك الجوارحيين والجوانحيين؛ أي يعنّان الفعل والترك الخارجيين والنفسيين.

أمّا قوله في التعريف: (ندبت إليها الشريعة)، ففيه عدم اطراد آخر أيضاً؛ إذ سيأتي أنّه ليس كلّ الآداب مندوبات، بل فيها ما هو واجب أو محرّم، فبعض الواجبات والمحرّمات داخلة في حيّز الآداب شرعاً، ومع ذلك يطلق عليها الفقهاء آداباً بلا تحمّل أو تكلف.

٢. إنّ الآداب هي: «... الهيئات والصفات المطلوبة في الأفعال المتعلقة للأحكام الشرعية، والموجبة لجمالها وحسنها شرعاً، عبادة كانت أو معاملة أو غيرهما، وهذا إنّما يكون في موارد إضافته إلى عنوان من تلك العناوين والأفعال المتعلقة للأحكام، فيقال: آداب الصلاة، أو الصيام، أو الزيارة، أو...»<sup>(٢)</sup>.

وهذا التعريف على العكس من التعريف الأوّل، فقد ذكر الهيئات والصفات، وأهمّل ذكر الأفعال والتروك، وهذا ممّا يؤخذ على هذا التعريف، فمن الجلي جدّاً أنّ الكثير من الآداب إنّما هي أفعال وتروك، فمثل السواك ووضع الإناء على جهة اليمين من آداب الوضوء<sup>(٣)</sup>، وهما بلا شكّ من الأفعال، وكذا مثل الغسل، وقصّ الأظفار،

(١) المصطفوي، سيّد حسن، التحقق في كلمات القرآن الكريم: ج ٢ ص ٢٠٩.

(٢) مؤسّسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، موسوعة الفقه الإسلامي في طبقاً المذهب أهل البيت عليه السلام:

ج ١، ص ٢١٧.

(٣) أنظر: العلامة الحليّ، الحسن بن يوسف بن المطهر، تحرير الأحكام: ج ١، ص ٦٧. الحكيم، محمد

سعيد، منهاج الصالحين: ج ١، ص ٥٣.

والأخذ من الشارب، والتطيب<sup>(١)</sup>، و... من آداب يوم الجمعة، وكلّها أفعال. أمّا التروك فمثالها ما ورد في آداب الصوم من ترك الشعر، إلّا أن يكون شعر حقّ، وترك الجماع للمسافر، ومباشرة النساء في غير الجماع، وترك الحجامّة، و...<sup>(٢)</sup>. وأمّا فيما نحن بصدده - أعني الزيارة - فمثل الغسل والصلاة ركعتين من الأفعال، ومثل ترك اللهو واللعب والملاذ هي من التروك<sup>(٣)</sup>، وسيأتي ذكر ذلك. ٣. إنّ الآداب: «أُمور يفضل مراعاتها، أو الإتيان بها عند الشروع، أو القيام بأعمال معيّنة، كأداب تشييع الميت، وآداب السفر، و...»<sup>(٤)</sup>.

وهذا التعريف تصدّر بلفظ (أُمور)، وهو جنس بعيد جدّاً، والتعريف بالجنس القريب أولى وأتمّ. كما أنّ تعبير (يفضل مراعاتها) فيه تشويش وإبهام؛ إذ لا يُعلم أنّ هذه الأفضلية شرعية أو عرفية أو عقلائية.

وما يهّمنا في المقام هو الآداب الشرعية؛ إذ «لا شكّ أنّ المهمّ عند الفقهاء من هذه الأنظار إنّما هو النظر الشرعي، وما يحسّنه أو يقبّحه الشارع، لذا يهتمّ الفقهاء بإثبات مشروعية الآداب، وإقامة دليل على قبول الشارع لها، وهذا الدليل قد يكون تأسيسياً، وقد يكون إمضائياً لما عليه العرف والعقلاء، أو عقلياً يقبله الشارع أيضاً؛ ومن هنا تقع الآداب العرفية أو العقلائية أو العقلية في طريق إثبات الأدب الشرعي»<sup>(٥)</sup>. كما أنّ من الآداب - كما سيأتي - ما يكون واجباً أو محرّماً، فالتعبير بـ (يفضل) غير تامّ.

إنّ أمتن تلك التعاريف هو الثاني، لكن بإضافة الأفعال والتروك؛ لذا فالأفضل

(١) أنظر: المحقّق الحليّ، جعفر بن الحسن، شرائع الإسلام: ج ١، ص ٧٧.

(٢) أنظر: كاشف الغطاء، جعفر، كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء: ج ٤، ص ١٧.

(٣) أنظر: المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص ٩٩.

(٤) فتح الله، أحمد، معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ص ٢٢.

(٥) مؤسّسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، موسوعة الفقه الإسلامي طبقاً لمذهب أهل البيت (عليه السلام):

أن تُعرّف الآداب بأنّها: (مجموعة من الأفعال، أو التروك، أو الصفات، أو الهيئات المطلوبة في الأفعال المتعلّقة للأحكام الشرعية، والموجبة لكمالها وحسنها شرعاً، عبادة كانت، أو معاملة، أو غيرهما...).

### الآداب والأحكام الخمسة

«قد يتصوّر اختصاص الآداب في مصطلح الفقهاء بالمستحبات والمكروهات، فلا تشمل الأحكام الإلزامية من واجبات أو محرمات، إلّا أنّ المتّبع في كلماتهم يجد أنّهم يطلقونها على الأحكام الإلزامية أيضاً كما في آداب التخلّي؛ حيث تُطلق على ما يحرم فيه كاستقبال القبلة، أو يجب كستر العورة عن الناظر المحترم<sup>(١)</sup>، أو ما يُستحبّ، أو ما يكره. وكما في آداب الولادة؛ حيث تُطلق على ما يجب كاستبداد النساء بالمرأة دون الرجال، أو ما يُستحبّ، أو ما يكره<sup>(٢)</sup>. فمصطلح الآداب أوسع وأعمّ من المستحبّ والمكروه؛ حيث تشمل كلّ ما يكون مطلوباً ملحوظاً شرعاً في كمال العنوان المتعلّق للحكم الشرعي، من عبادة أو معاملة أو غيرهما، سواء كان إلزامياً أو غير إلزامي<sup>(٣)</sup>».

أمّا فيما نحن فيه - أي: الكلام حول آداب الزيارة - فسيأتي لاحقاً أنّ من الآداب العامّة الشاملة لجميع أزمنة الزيارة ما هو واجب ولو في بعض الفروض، كقوله عليه السلام في تعداد ما يلزم الزائر فعله أو اجتنابه: «... ويلزمك التقية التي هي قوام دينك بها...»<sup>(٤)</sup>. ومن المعلوم أنّ التقية قد تجب ولو في بعض الفروض، مع كونها أحد

(١) قال المحقّق الحلي: «في آداب الخلوة: والواجب ستر العورة، ويحرم استبدار القبلة واسقبالها... ويجب غسل مخرج البول...». المحقّق الحليّ، جعفر من الحسن، المختصر النافع: ص ٤-٥.

(٢) قال صاحب (الجواهر): «أمّا سنن الولادة وآدابها الواجبة والمندوبة: فالواجب منها استبداد النساء بالمرأة عند الولادة دون الرجال... وأمّا الندب... الأوّل: غسل المولود... والثاني: الأذان في أذنه اليمنى». النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج ٣١، ص ٢٥٠-٢٥١.

(٣) مؤسّسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، موسوعة الفقه الإسلامي طبقاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام: ج ١، ص ٢١٩.

(٤) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٥٢٧، باب جملة ممّا يُستحبّ للزائر من الآداب، ح ١.



آداب الزيارة، كما عدّها كذلك كلّ من الحرّ العاملي في (هداية الأئمة)<sup>(١)</sup>، والسيد البروجري (في جامع أحاديث الشيعة)<sup>(٢)</sup>، وجعلها ابن قولويه ضمن باب (كيف يجب أن يكون زائر الحسين بن علي عليه السلام)<sup>(٣)</sup>. وكذا قوله عليه السلام: «والورع عما نُهيته عنه»<sup>(٤)</sup>، ولا شكّ أنّ بعض المنهي عنه أمور محرّمة مع كونها واردة ضمن آداب الزيارة.

إذن؛ تلخّص أنّ الآداب أعمّ من المستحبّات والمكروهات. نعم، أصل الزيارة بما هي زيارة لا تُسمّى أدباً، فما يتعلّق بها من الكمالات - سواء كان فعلاً، أم تركاً، أم هيئة، أم صفة - يسمّى أدباً؛ لما تقدّم آنفاً من أنّ الأدب في الإطلاق الفقهي هو أمر إضافي.

### المحور الثاني: في أقسام آداب الزيارة

لا شكّ أنّ القسمة تختلف باختلاف أساسها؛ لذا يمكننا أن نلاحظ عدّة أسس يمكن في ضوئها تقسيم آداب الزيارة، منها:

#### الأساس الأوّل: لحاظ الزمان أو عدمه في آداب الزيارة

الأساس الأوّل في تقسيم الآداب هو تقسيمها على أساس لحاظ الأدب من حيث تعلّقه بزمان معيّن من أزمنة الزيارة، أو عدم تعلّقه بذلك، وفي ذلك يمكن لحاظ القسمين التاليين:

(١) أنظر: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، هداية الأئمة إلى أحكام الأئمة: ج ٥، ص ٤٩٤، باب آداب زيارة الحسين عليه السلام، ح ١٩.

(٢) أنظر: البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة: ج ١٢، ص ١٠٥، باب جملة ما يُستحبّ للزائر من الأدب، ح ٢.

(٣) أنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٥١.

(٤) المصدر السابق.



أ) آداب عامّة شاملة لجميع أزمّة الزيارة، أي: لا تتعلّق بزمان دون زمان من أزمّة الزيارة.

ب) آداب مختصّة بزمان معيّن من أزمّة الزيارة.  
وفيا يلي بسط الكلام في هذين القسمين:

### الآداب العامّة الشاملة لجميع أزمّة الزيارة

إنّ هذه الآداب لا تختصّ بزمان دون آخر، فهي شاملة لجميع آتات الزيارة، فتشمل ما قبل الزيارة، وأثناءها، وما بعدها، ومثال ذلك: ما أخرجه ابن قولويه رحمه الله في (كامل الزيارات) في باب: (كيف يجب أن يكون زائر الحسين بن علي عليه السلام)، عن الصادق عليه السلام: «قال [الراوي]: قلت له: إذا خرجنا إلى أبيك، أفلسنا في الحجّ؟ قال: بلى. قلت: فليزمنّا ما يلزم الحاجّ؟ قال: ماذا؟ قلت: من الأشياء التي تلزم الحاجّ؟ قال يلزمك:

- ١ . حسن صحبة لمن صحبك.
- ٢ . ويلزمك قلة الكلام إلا بخير.
- ٣ . ويلزمك كثرة ذكر الله.
- ٤ . ويلزمك نظافة الثياب.
- ٥ . ويلزمك الخشوع وكثرة الصلاة.
- ٦ . والصلاة على محمد وآل محمد.
- ٧ . ويلزمك التوقير <sup>(١)</sup> لأخذ ما ليس لك <sup>(٢)</sup>.
- ٨ . ويلزمك أن تغضّ بصرك.
- ٩ . ويلزمك أن تعود إلى أهل الحاجة من إخوانك إذا رأيت منقطعاً.

(١) أو التوقّي، كما استظهره في هامش الوسائل.

(٢) أنظر: الحرّ العاملي، محمد بن حسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٥٢٧.

١٠ . والمواساة.

١١ . ويلزمك التقية التي هي قوام دينك بها.

١٢ . والورع عما نُهيّت عنه، والخصومة، وكثرة الأيمان، والجدال الذي فيه الأيمان...»<sup>(١)</sup>.

ولعلّ الأدب التاسع - أي: العودة إلى أهل الحاجة من إخوانك - هو الذي أشار إليه الشهيد الأوّل في دروسه عند تعداد آداب الزيارة بقوله: «رابع عشرها: الصدقة على المحاييج بتلك البقعة؛ فإنّ الصدقة مضاعفة هنالك»<sup>(٢)</sup>.

١٣ . أن يكون الزائر حزيناً مكروباً أشعث مغبراً...

ذكر ذلك الشيخ المفيد<sup>(٣)</sup> في مزاره تبعاً لرواية عن الإمام الصادق<sup>(٤)</sup> أخرجها الكليني والصدوق وابن قولويه، قال<sup>(٥)</sup>: «إذا زرت الحسين<sup>(٦)</sup> فزره وأنت حزين مكروب، شعث مغبر، جائع عطشان؛ فإنّ الحسين<sup>(٦)</sup> قُتل حزيناً مكروباً، شعثاً مغبراً، جائعاً عطشاناً، واسأله الحوائج وانصرف عنه، ولا تتّخذ وطناً»<sup>(٣)</sup>.

وهذا الأدب عبّر عنه الشهيد الأوّل بقوله: «ويُستحبّ لزائره أن يأتيه محزوناً أشعث...»<sup>(٤)</sup>.

١٤ . ترك التنوّق<sup>(٥)</sup> في الطعام، وحمل السُفر المحتوية على أنواع الأطعمة.

والأصل في هذا الأدب ما أخرجه ابن قولويه، عن علي بن الحكم، عن بعض أصحابنا، عن الصادق<sup>(٦)</sup>، قال: «بلغني أنّ قوماً إذا زاروا الحسين<sup>(٦)</sup> حملوا معهم

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٥٠-٢٥١.

(٢) الشهيد الأوّل، محمد بن مكي، الدروس الشرعية في فقه الإمامية: ج ٢، ص ٢٤.

(٣) المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص ٩٦.

(٤) الشهيد الأوّل، محمد بن مكي، الدروس الشرعية: ج ٢، ص ١٢.

(٥) التنوّق: المبالغة في الشيء، والتنوّق في الطعام: أي المبالغة في تحويده وتحسينه.

السُّفَر<sup>(١)</sup>، فيها الحلاوة والأخبصة<sup>(٢)</sup> وأشباهها، ولو زاروا قبور أحبائهم ما حملوا معهم هذا<sup>(٣)</sup>. وأخرجها الصدوق في (الفقيه) أيضاً<sup>(٤)</sup>.

قال في (الحدائق الناضرة): «أقول: لا يبعد أن يقال: إنّ الظاهر أنّ خطابهم ﷺ في هذه الأخبار إنّما هو لأهل العراق، وحيثُ فيكون الحكم مختصاً بمن كان مثل أهل الحلة وبغداد والمشهد، ونحوها من البلدان القريبة؛ فإنّه يكره لهم التنوّق في الزاد، وحمل الأخبصة، واتّخاذ اللحوم، ونحو ذلك، وأنّهم يقتصرون على الخبز واللبن، وأمّا أصحاب البلدان البعيدة من إصفهان وخراسان وما بينهما ونحوهما، فيشكل ذلك... والظاهر هو بقاء حكمهم على حكم السفر المطلق»<sup>(٥)</sup>.

وحكم السفر المطلق واضح، وهو تجويد الطعام وتطيبه وبذله للفقراء، وقد وافق صاحب (الحدائق) جمع من الفقهاء من متأخري المتأخّرين<sup>(٦)</sup>.

١٥. الاقتصار في الطعام على الخبز واللبن.

وأصل هذا الأدب كذلك ما أورده ابن قولويه عن الإمام الصادق عليه السلام، حيث قال مخاطباً أبا المضاء: «تأتون قبر أبي عبد الله عليه السلام؟ قلت: نعم. قال: أفَتَتَّخِذُونَ لذلك سُفْراً؟ قلت: نعم. فقال: أما لو أتيتم قبور آبائكم وأمهاتكم لم تفعلوا ذلك. قال: قلت: أيّ شيء نأكل؟ قال: الخبز واللبن»<sup>(٧)</sup>.

(١) السُّفَر: جمع سُفْرة: وهي الطعام يُتَّخَذُ للمسافر.

(٢) الأخبصة: نوع من الحلوى.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٤٨، باب ما يكره اتّخاذُه لزيارة الحسين عليه السلام، ح ١.

(٤) أنظر: الصدوق، محمد بن علي، مَنْ لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٨٢، باب كراهة اتّخاذِ السفرة لزيارة قبر الحسين عليه السلام.

(٥) البحراني، يوسف بن أحمد، الحدائق الناضرة: ج ١٤، ص ٥٣.

(٦) منهم: صاحب العروة، والميرزا التبريزي، والشيخ الفيّاض.

(٧) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٤٩، باب ما يكره اتّخاذُه لزيارة الحسين عليه السلام، ح ٢.

وذكر اليزدي في (العروة الوثقى) - ومن قبله (الجواهر)<sup>(١)</sup> و(الحدائق) - أن الحكم كذلك يقتصر فيه على أهل البلدان القريبة من كربلاء، دون البلاد البعيدة كما تقدّم.

١٦ . «إذا زارت النساء، فليكنّ منفردات عن الرجال، ولو كان ليلاً، فهو أولى»<sup>(٢)</sup>.  
١٧ . وهناك آداب أخرى ذكرها الشهيد الأوّل في دروسه ضمن أحكام المشاهد المقدّسة، قائلاً: «وللزيارة آداب... وإذا أدرك الجمعة فلا يخرج قبل الصلاة، ومن دخل المشهد والإمام يُصليّ بدأ بالصلاة قبل الزيارة، وكذلك لو كان قد حضر وقتها، وإلاّ فالبدء بالزيارة أولى؛ لأنّها غاية مقصده...»<sup>(٣)</sup>.

#### الآداب المختصّة بزمان معيّن من أزمّة الزيارة

وهذه الآداب يمكن تقسيمها تبعاً للزمان الذي تتعلّق به إلى:

أولاً: آداب ما قبل الزيارة.

ثانياً: آداب أثناء الزيارة.

ثالثاً: آداب ما بعد الزيارة.

وبما أنّ الزيارة تتحقّق شرعاً بحضور الزائر عند المزور - وهو عين المعنى العرفي للزيارة، وسيأتي بسط الكلام في ذلك عند الحديث عن آداب أثناء الزيارة - فكلّ أدب قبل حضور الزائر عند المزور يُعدّ أدباً لما قبل الزيارة.

#### أولاً: آداب ما قبل الزيارة

ومصاديقها كثيرة جدّاً، منها:

١ . صوم ثلاثة أيام قبل الخروج لسفر الزيارة، ورواية (التهذيب) عن أبي بصير،

(١) أنظر: النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج ١٨، ص ١٦٦.

(٢) الشهيد الأوّل، محمد بن مكي، الدروس الشرعية: ج ٢، ص ٢٥.

(٣) المصدر السابق.

عن الصادق عليه السلام، وإن كانت مقيدة بالصوم أيام الأربعاء والخميس والجمعة<sup>(١)</sup>، وكذا رواية (كامل الزيارات) عن أبي حمزة الثمالي<sup>(٢)</sup>، إلا أن رواية (مصباح المتهجد) عن صفوان الجمال جاءت مطلقة من هذا القيد، قال صفوان: «استأذنت الصادق عليه السلام لزيارة مولانا الحسين عليه السلام، فسألته أن يعرفني ما أعمل عليه. فقال: يا صفوان، صم ثلاثة أيام قبل خروجك، واغتسل في اليوم الثالث...»<sup>(٣)</sup>. وهي الرواية التي اعتمدها الشهيد الأول في مزاره<sup>(٤)</sup>.

٢. الغسل: وقد أشارت روايات كثيرة إلى غسل ما قبل الخروج لسفر الزيارة، منها رواية (التهذيب) عن الصادق عليه السلام: «وإذا أردت المشي إليه، فاغتسل، ولا تطيب...»<sup>(٥)</sup>، كما أشارت إليه رواية (كامل الزيارات) بقوله عليه السلام: «واغتسل قبل خروجك، وقل حين تغتسل: اللهم طهرني...»<sup>(٦)</sup>. ورواية (المصباح) المتقدمة الذكر في الأدب الأول من هذا القسم.

وجعله في (الجواهر) ضمن غسل التوجه للسفر، قائلاً عند تعداده للأغسال الفعلية: «ومنها: الغسل للتوجه إلى السفر، خصوصاً سفر زيارة الحسين عليه السلام؛ للمرسل عن ابن طاووس في أمان الأخطار في ذلك، وخبر أبي بصير عن الصادق عليه السلام في خصوص سفر الحسين عليه السلام»<sup>(٧)</sup>. فجعل الله خبر أبي بصير المتقدم أحد أدلته على هذا الأدب، وهو أيضاً ما ذكره الشيخ الأعظم في كتاب (الطهارة)<sup>(٨)</sup>.

أمّا غسل الزيارة نفسها، فقد أشارت إليه روايات متعددة بألفاظ كثيرة:

- (١) أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٧٦، باب حدّ حرم الإمام الحسين، ح ١٩.
- (٢) أنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٩٣، باب الزيارات، ح ٢٣.
- (٣) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص ٧١٧.
- (٤) أنظر: الشهيد الأول، محمد بن مكي، المزار: ص ١١٧.
- (٥) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٧٦، باب حدّ حرم الإمام الحسين، ح ١٩.
- (٦) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٩٣.
- (٧) النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج ٥، ص ٥٩.
- (٨) أنظر: الأنصاري، مرتضى، كتاب الطهارة: ج ٣، ص ٨٩.

منها: ما روي في (التهذيب) عن بشير الدهان، عن الصادق عليه السلام، قال: «مَنْ أتاه - يعني الحسين عليه السلام - فتوضأ واغتسل من الفرات، لم يرفع قدماً، ولم يضع قدماً، إلّا كتب الله له بذلك حجة وعمره»<sup>(١)</sup>.

ومنها: رواية صفوان الجمال التي ذكرها الشيخ الطوسي رحمته الله في (مصباحه) عن الصادق عليه السلام، قال: «... قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إِنْ ابْنِي هَذَا الْحُسَيْنَ يُقْتَلْ بَعْدِي عَلَى شاطئ الفرات، فَمَنْ زَارَهُ وَاغْتَسَلَ مِنَ الْفَرَاتِ تَسَاقَطَتْ خَطَايَاهُ كَهَيْئَةِ يَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ...»<sup>(٢)</sup>.

ومنها: رواية رفاعة التي أخرجها الشيخ في (التهذيب) عن الصادق عليه السلام، قال: «أخبرني أَبِي أَنَّ مَنْ خَرَجَ إِلَى قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام عَارِفاً بِحَقِّهِ، غَيْرَ مُسْتَكْبِرٍ، وَبَلَغَ الْفَرَاتَ، وَوَقَعَ فِي الْمَاءِ، وَخَرَجَ مِنَ الْمَاءِ، كَانَ مِثْلَ الَّذِي يُخْرَجُ مِنَ الذُّنُوبِ...»<sup>(٣)</sup>.

وقد عقد ابن قولويه رحمته الله باباً كاملاً في (كامل الزيارات) أسماه: (باب مَنْ اغْتَسَلَ فِي الْفَرَاتِ وَزَارَ الْحُسَيْنَ عليه السلام)<sup>(٤)</sup>.

هذا؛ وللغسل آداب أيضاً وأدعية مخصوصة تراجع في مظانها<sup>(٥)</sup>.

٣. ترك التطيب والإدهان والاكتحال: ويدلّ على هذا الأدب خبر (التهذيب)، عن أبي بصير، عن الصادق عليه السلام، قال: «... فَإِذَا أَرَدْتَ الْمِثْيَ إِلَيْهِ فَاغْتَسِلْ، وَلَا تَطِيبْ، وَلَا تَدَهْنْ، وَلَا تَكْتَحِلْ، حَتَّى تَأْتِيَ الْقَبْرَ»<sup>(٦)</sup>.

وخبر أبي حمزة المتقدم: «... وَلَا تَدَهْنْ وَلَا تَكْتَحِلْ حَتَّى تَأْتِيَ الْفَرَاتَ، وَأَقْلَ مِنْ الْكَلَامِ وَالْمَزَاحِ...»<sup>(٧)</sup>.

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٥٢، باب فضل الغسل للزيارة، ح ١.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص ٧١٨.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٥٢، باب فضل الغسل للزيارة، ح ٢.

(٤) أنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٤٢ وما بعدها.

(٥) أنظر: المصدر السابق: ص ٣٩٧.

(٦) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٧٦.

(٧) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٩٥.

وهذا الأدب مع الآداب الثلاثة التالية وإن كان مبدؤها ما قبل الزيارة، فإنها تستمر إلى أثناء الزيارة أيضاً.

٤ - لبس الثياب الطاهرة؛ لما رواه الشيخ في (تهذيبه) عن يونس بن ظبيان، عن الصادق عليه السلام، قال: «إذا أتيت أبا عبد الله عليه السلام فاغسل على شاطئ الفرات، واللبس ثيابك الطاهرة...»<sup>(١)</sup>.

وذكر ذلك الشيخ المفيد أيضاً في (مزاره) قائلاً: «إذا فرغت من الغسل، فالبس ما طهر من ثيابك، ثم توجه إلى المشهد...»<sup>(٢)</sup>.

٥ - المشي حافياً مشية العبد الذليل؛ وذلك لما أخرجه الكليني وابن قولويه عن الحسين بن ثوير بن أبي فاختة، عن الصادق عليه السلام، وذكره الصدوق في (الفقيه) عنه عليه السلام أيضاً، قال: «إذا أتيت أبا عبد الله عليه السلام فاغسل... ثم امش حافياً؛ فإنك في حرم من حرم رسول الله...»<sup>(٣)</sup>.

وأيضاً لما أخرجه ابن قولويه عن أبي الصامت، عن الصادق عليه السلام: «وامش حافياً مشي العبد الذليل...»<sup>(٤)</sup>.

لذا قال المفيد في (مزاره): «ثم توجه إلى المشهد - على ساكنه السلام - وعليك السكينة والوقار، وأنت متحفّ خاضع ذليل...»<sup>(٥)</sup>.

٦ - تقصير الخطى: ذكره ابن قولويه في الرواية المروية عن الثمالي، عن الصادق عليه السلام بقوله: «ثم امش قليلاً وقصر خطاك...»<sup>(٦)</sup>.

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٥٤.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص ٩٩.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٧٦، باب زيارة قبر أبي عبد الله، ح ٢.

(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٥٤.

(٥) المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص ٩٩.

(٦) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤٩٩، و ٤٠٣.



وذكره الشيخ الطوسي في (مصباحه) بقوله: «وقصّر خطاك؛ فإن الله تعالى يكتب لك بكل خطوة حجة وعمرة»<sup>(١)</sup>.

٧- أدب الذكر: وقد أشارت الروايات إلى: التكبير، والتهليل، والتسبيح، والتمجيد، والتعظيم لله تعالى، والصلاة على محمد ﷺ وآل بيته ﺍﻻﻳﻤﺎﺋﯩﻨﺎ أثناء المشي. فمنها ما أخرجه الكليني وابن قولويه عن الحسين بن ثوير - وقد تقدّمت الإشارة إلى تلك الرواية - عن الصادق ﺍﻻﻳﻤﺎﺋﯩﻨﺎ، حيث قال: «وعليك بالتكبير والتهليل والتمجيد والتعظيم لله كثيراً، والصلاة على محمد (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته، حتى تصير إلى باب الحسين ﺍﻻﻳﻤﺎﺋﯩﻨﺎ»<sup>(٢)</sup>.

وأضاف الشيخ في (مصباحه) ما ورد في رواية صفوان عن الصادق ﺍﻻﻳﻤﺎﺋﯩﻨﺎ: «وأكثر من التكبير والتهليل والثناء على الله عز وجل، والصلاة على النبي ﷺ، والصلاة على الحسين خاصة، والعن على من قتله، والبراءة ممن أسس ذلك عليه»<sup>(٣)</sup>.

٨ - أدب الوقوف على باب المشهد: قال الشيخ في (تهذيبه) ما نصّه: «وقد ذكر الشيخ ﺍﻻﻳﻤﺎﺋﯩﻨﺎ<sup>(٤)</sup> في كتابه في مناسك الزيارات ترتيباً لزيارة أبي عبد الله الحسين بن علي ﺍﻻﻳﻤﺎﺋﯩﻨﺎ، أحببت إيراده على وجهه، ذكر ﺍﻻﻳﻤﺎﺋﯩﻨﺎ أنه: إذا أتيت إلى باب المشهد فقف عليه وكبر أربعاً، ثم قل: اللهم هذا مقام كرمّتي وشرّفتني به، اللهم صلّ على محمد وآل محمد، وأعطني فيه رغبتني على حقيقة إيماني بك وبرسولك وآله، صلواتك عليهم أجمعين.

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص ٧١٩.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٦٤.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص ٧١٩.

(٤) يعني به شيخه المفيد ﺍﻻﻳﻤﺎﺋﯩﻨﺎ.



ثم أدخل رجلك اليمنى قبل اليسرى، وقل: بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله ﷺ، اللهم أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين<sup>(١)</sup>.

ثم امش حتى تدخل الصحن، فإذا دخلته فكبر أربعاً، وتوجه إلى القبلة، وارفع يدك وقل: اللهم إليك توجهت، وإليك خرجت، وإليك وفدت، ولخيرك تعرضت، وبزيارة حبيب حبيبك تقربت، اللهم فلا تمنعني خير ما عندك لسوء ما عندي، اللهم اغفر لي ذنوبي، وكفر عني سيئاتي، وحط عني خطيئاتي، واقبل حسناتي.

ثم اقرأ الحمد والمعوذتين، وقل هو الله أحد...<sup>(٢)</sup>.

٩ - أدب معاينة الجذث (القبر): ذكره الشيخ المفيد في (مزاره) في باب خاص، تحت عنوان (باب القول عند معاينة الجذث)، قائلاً: «ثم امش حتى تعين الجذث، فإذا عاينته فكبر أربعاً، واستقبل وجهه بوجهك، واجعل القبلة بين كتفيك، وقل: اللهم أنت السلام، ومنك السلام، وإليك يرجع السلام...»<sup>(٣)</sup>.

### ثانياً: آداب أثناء الزيارة

لعل المناط في تقسيمنا للآداب في كون أدب ما هو أدب لما قبل الزيارة، أو أدب في أثناءها، أو أدب لما بعدها، هو الرجوع إلى المعنى الشرعي للزيارة، الذي هو عين المعنى العرفي لها؛ إذ إن الشارع الأقدس لم يتصرف في معناها العرفي، وإنما اكتفى به؛ لذلك اكتفى الفقهاء في تحقيق معناها بحضور الزائر عند المزور والسلام عليه؛ لذا قال الشهيد الأول في (دروسه): «ويكفي في الزيارة الحضور في المقام، والأقرب وجوب السلام؛ لأنه المتعارف من الزيارة»<sup>(٤)</sup>.

(١) ولهذا الأدب أشار صاحب (الجواهر) بقوله: «والوقوف على الباب والدعاء والاستئذان بالمأثور. بل قيل: إن وجد خشوعاً ورقة دخل، وإلا فلا فضل أن يتحرى زمان الرقة؛ لأن الغرض حضور القلب لتلقي الرحمة النازلة من الرب». النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج ٢٠، ص ١٠٠.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٥٦.

(٣) المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص ١٠٤.

(٤) الشهيد الأول، محمد بن مكي، الدروس الشرعية، ج ٢، ص ١٥٣.

وقد أفتى بذلك الكثير من الفقهاء المعاصرين<sup>(١)</sup>، فإذا حضر الزائر عند المزار وسلم عليه تحققت الزيارة بلا شك، وهذا هو المناط في الآداب أثناء الزيارة حينئذٍ. وأفراد هذا القسم كثيرة، منها:

١. إتيان قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام من قبل وجهه: وهذا ما نصّت عليه رواية الحسين بن ثوير التي أخرجها ابن قولويه في (كامل الزيارات)، إذ ورد فيها «... ثم امشِ حتى تأتية من قبل وجهه، واستقبل وجهك بوجهه، واجعل القبلة بين كتفيك...»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك نصّت عليه رواية أبي حمزة الثمالي، عن الصادق عليه السلام، قال: «ثم امشِ، وقصّر خطاك حتى تستقبل القبر، واجعل القبلة بين كتفيك، واستقبل وجهه بوجهك، وقل...»<sup>(٣)</sup>.

٢. التقرب إلى القبر الشريف: وهذا الأدب ذكره الشهيد الأول رحمته الله قائلاً: «الوقوف على الضريح ملاصقاً له أو غير ملاصق، وتوهم أن البعد أدب وهم، فقد نصّ على الاتكاء على الضريح وتقيله»<sup>(٤)</sup>.

والنصّ على الاتكاء لعلّه إشارة إلى ما أخرجه الكليني رحمته الله، عن علي بن جعفر، عن أخيه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام، قال: «كان أبي علي بن الحسين عليه السلام يقف على قبر النبي صلى الله عليه وآله، فيسلم عليه، ويشهد له بالبلاغ، ويدعو بما حضره، ثم يسند ظهره إلى المروة الخضراء الدقيقة العرض ممّا يلي القبر، ويلتزم بالقبر...»<sup>(٥)</sup>.

(١) أنظر: الرسائل العملية لكلّ من: السيّد الخميني، والسيّد الكلبيكاني، والسيّد السيستاني.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٤٦.

(٣) المصدر السابق: ص ٤٠٢.

(٤) الشهيد الأول، محمد بن مكي، الدروس الشرعية: ج ٢، ص ٢٣.

(٥) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٥١، باب دخول المدينة.

٣. الصلاة: ورواياتها كثيرة متعددة، حتى عُقدت لها أبواب حديثية<sup>(١)</sup>:

منها: ما أخرجه الكليني عن الحسن بن عطية، عن الصادق عليه السلام، قال: «إذا فرغت من السلام على الشهداء، فأنت قبر أبي عبد الله عليه السلام، فاجعله بين يديك، ثم صلّ ما بدا لك»<sup>(٢)</sup>.

ومنها: ما أخرجه ابن قولويه عن عيسى بن راشد، قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام، فقلت: جُعلت فداك، ما لمن زار قبر الحسين عليه السلام، وصلىّ عنده ركعتين؟ قال: كُتبت له حجة وعمرة. قال: قلت له: جُعلت فداك، وكذلك كلّ من أتى قبر إمام مفترض طاعته؟ قال: كذلك كلّ من أتى قبر إمام مفترض طاعته»<sup>(٣)</sup>.

ومنها: ما أخرجه ابن قولويه أيضاً عن الحسين بن ثوير، عن الصادق عليه السلام، قال: «إذا أتيت أبا عبد الله عليه السلام فاغتسل على شاطئ الفرات... ثمّ تدور، فتجعل قبر أبي عبد الله عليه السلام بين يديك وأمامك، فتصليّ ستّ ركعات، وقد تمتّ زيارتك...»<sup>(٤)</sup>.

وقد فسّرهما المجلسي الأب في (روضته) بأنّ هذه الركعات الستّ هي «للحسين عليه السلام، ولعلي بن الحسين عليه السلام، ولسائر الشهداء (رضوان الله عليهم)»<sup>(٥)</sup>.

ومنها: ما أخرجه ابن قولويه في (كامل الزيارات)، عن الباقر عليه السلام، عند حديثه عن قبر الحسين عليه السلام، قال: «فما من آتٍ يأتيه، فيصليّ عنده ركعتين أو أربعاً، ثمّ يسأل الله حاجته إلّا قضاها له، وإنّه ليحفّ به كلّ يوم ألف ملك»<sup>(٦)</sup>.

٤. قراءة شيء من القرآن: ذكر ذلك الشهيد الأوّل في آداب زيارة المشاهد،

(١) أنظر: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١، ص ٤٠٥ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٠٥-٤٠٦.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٠١.

(٤) المصدر السابق: ص ٣٦٣-٣٦٧. الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٥٦٤-٥٦٥.

(٥) أنظر: المجلسي، محمد تقي، روضة المتّقين في شرح من لا يحضره الفقيه: ج ٥، ص ٤٣١.

(٦) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل زيارات: ص ٣١٤.

قائلاً: «وثامنها: قراءة شيء من القرآن، وإهداؤه إلى المزور، والمتنفع بذلك الزائر، وفيه تعظيم للمزور»<sup>(٧)</sup>.

٥. الإكثار من الدعاء للنفس والأهل والمؤمنين: ذكره الشيخ الطوسي عن صفوان الجمال، عن الصادق عليه السلام، قال: «ثمَّ عُدَّ إلى عند رأس الحسين عليه السلام، وأكثر من الدعاء لك ولولدك ولإخوانك؛ فإنَّ مشهده لا تُردّ فيه دعوة، ولا سؤال سائل»<sup>(٨)</sup>.

وفي رواية أبي حمزة الثمالي عنه عليه السلام أيضاً: «... وألحَّ في الدعاء والمسألة...»<sup>(٩)</sup>. وذكر هذا الأدب أيضاً الشهيد الأول في (مزاره)<sup>(١٠)</sup>.

٦. الإكثار من العود إلى الزيارة ما دام مقيماً: ذكره الشهيد الأول في تعداده لأداب الزيارة، قائلاً: «وحادي عشرها: أنَّه إذا انصرف من الزيارة إلى منزله استحَبَّ له العود إليها ما دام مقيماً»<sup>(١١)</sup>.

ولعلَّ الشهيد استقى هذا الأدب من رواية الثمالي عن الصادق عليه السلام، التي ورد فيها: «وإذا أردت الوداع بعد فراغك من الزيارات فأكثر منها ما استطعت»<sup>(١٢)</sup>.

٧. وداع المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام: وإنَّما جعلناه من آداب أثناء الزيارة؛ لكونه مشمولاً للمعنى الشرعي الذي هو عين المعنى العرفي للزيارة.

وقد عقد الشيخ المفيد باباً خاصاً في (مقننته) أسماه (باب وداع أبي عبد الله الحسين عليه السلام)، قال فيه: «فإذا أردت الانصراف من مشهده عليه السلام، فقف على القبر كوقوفك عليه في أول الزيارة، وقل: السلام عليك يا أبا عبد الله، هذا أوان انصرافي، غير راغب عنك، ولا مستبدل بك غيرك، فأستودعك الله، وأقرأ عليك السلام، آمناً بالله وبالرسول، وبما جئت به ودلت عليه، اللهم فاكبتنا مع الشاهدين. اللهم لا تجعل

(٧) الشهيد الأول، محمد بن مكي، الدروس الشرعية في فقه الإمامية: ج ٢، ص ٢٣.

(٨) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص ٧٢٣.

(٩) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤٣٩-٤٤٠.

(١٠) أنظر: الشهيد الأول، محمد بن مكي، المزار: ص ١٢٠.

(١١) الشهيد الأول محمد بن مكي، الدروس الشرعية في فقه الإمامية: ج ٢، ص ٢٤.

(١٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤٣٧.

زيارتي هذه آخر العهد من زيارته، وارزقني العود إليه أبداً ما أحيتني، فإن توفيتني فاحشرني معه، واجمع بيني وبينه في جنّات النعيم. ثم ادعُ بما أحببت»<sup>(١)</sup>.

وهذا الأدب يتضمّن أدباً آخر، وهو طلب العود إلى الزيارة، وسؤال الله تعالى أن يوفّقه لذلك؛ لذا قال الشهيد في (دروسه): «... فإذا حان الخروج ودّع ودعا بالمأثور، وسأل الله تعالى العود إليه»<sup>(٢)</sup>. والدعاء المتقدّم في ذيل أدب الوداع يُشير إلى ذلك.

٨. تعجيل الخروج عند قضاء الوطر من الزيارة: وعلله الشهيد الأوّل بقوله «تعجيل الخروج... لتعظم الحرمة، ويشتدّ الشوق»<sup>(٣)</sup>.

ولعلّ هذا الأدب مستقّى من مرفوعة علي بن الحكم، عن الصادق عليه السلام، قال: «إذا زرت أبا عبد الله، فزره وأنت حزين مكروب... واسأله الحوائج، وانصرف عنه، ولا تتخذهُ وطناً»<sup>(٤)</sup>.

٩. الخروج من الضريح القهقري<sup>(٥)</sup>، والإكثار من قول: (إنا لله وإنا إليه راجعون): وهذا ما ورد في ذيل زيارة الوداع التي أخرجها ابن قولويه، عن أبي حمزة الثمالي، عن الصادق عليه السلام، قال: «إذا خرجت فلا تولّ وجهك عن القبر حتى تخرج»<sup>(٦)</sup>. وفي (تهذيب) الشيخ الطوسي: «... ثم اخرج، ولا تولّ وجهك القبر حتى يغيب عن معابتك»<sup>(٧)</sup>.

(١) المفيد، محمد بن محمد، المقنعة: ص ٤٧١.

(٢) الشهيد الأوّل، محمد بن مكي، الدروس الشرعية: ج ٢، ص ٢٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص ٨٨-٨٩.

(٥) «القهقري»: وهو المشي إلى خلف من غير أن يعيد وجهه إلى جهة مشيه». ابن منظور، محمد بن

مكرم، لسان العرب: ج ٥، ص ١٢١.

(٦) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤٤٠.

(٧) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ٦٩.

وأضاف إلى ذلك الشيخ في (مصباحه): «وأكثر من قول: إنا لله وإنا إليه راجعون، حتى تغيب عن القبر»<sup>(١)</sup>. وهو نصّ رواية صفوان الجمال عن الصادق عليه السلام<sup>(٢)</sup>.

### ثالثاً: آداب ما بعد الزيارة

وهذا هو القسم الثالث من الآداب المختصّة بزمان معيّن من أزمنة الزيارة، وقد تقدّم أنّ انتهاء الزيارة بانتهاء الحضور عند المزور؛ وعليه فكلّ أدبٍ يذكر بعد الخروج يُعدّ من آداب ما بعد الزيارة.

ذكرنا أنّ الآداب المتأخّرة عن الزيارة لها الأثر في كمال الزيارة وإن تأخّرت عنها زماناً، فهي كالمقدّمة المتأخّرة عن وجود ذي المقدّمة في بعض الواجبات، «كالأغسال الليلية المعتبرة في صحّة صوم المستحاضة»<sup>(٣)</sup> عند بعض، وكالإجازة في العقد الفضولي بناءً على الكشف كذلك»<sup>(٤)</sup>.

### ومن تلك الآداب:

١. الوقوف على الباب عند إتمام الزيارة متوجّهاً إلى القبلة، والدعاء بالمأثور: ذكره الشيخ الطوسي في (التهذيب) تبعاً لشيخه المفيد في (المزار)، بعد وداع الشهداء، قال: «... ثمّ اخرج، ولا تولّ وجهك القبر حتى يغيب عن معانتك، وقف على الباب متوجّهاً إلى القبلة، وقل: اللهمّ إني أسألك بحقّ محمد وآل محمد أن تصليّ على محمد وآل محمد، وأن تتقبّل عملي، وتشكر سعيي...»<sup>(٥)</sup>.

٢. انصراف الزائر وهو في حالة الذكر: وهو ما نصّ عليه الشهيد الأوّل في

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص ٧٢٣.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٧١٨.

(٣) يعني: صوم اليوم السابق.

(٤) المروّج، محمد جعفر، منتهى الدارّة في توضيح الكفاية: ج ٢، ص ١٣٠-١٣١.

(٥) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٦٩.

(المزار)، تبعاً للشيخ الطوسي في (التهذيب)، بعد الوقوف على الباب والدعاء بالمأثور، قائلاً: «... ثم انصرف، وأنت تحمد الله وتسبحه وتهلله وتكبره»<sup>(١)</sup>.

٣. «أن يكون الزائر بعد الزيارة خيراً منه قبلها؛ فإنها تحط الأوزار إذا صادفت القبول»: وهو ما نصّ عليه الشهيد الأول<sup>(٢)</sup>، ولعلّ مراده ﷺ أن على الزائر المحافظة على تلك الغنيمة الإلهية باجتناب الذنوب، والسعي لصالح الأعمال، والتحلي بمكارم الأخلاق بعد الزيارة.

### الأساس الثاني: القرب والبعد في آداب الزيارة

من الأسس التي يمكن تقسيم آداب الزيارة في ضوئها، هو تقسيمها على أساس القرب والبعد، بمعنى أنّ هناك آداباً للزيارة عن بعد، كما أنّ هنالك آداباً للزيارة عن قرب. أمّا الأولى فجميع ما تقدّم من آداب متعلّقة أو غير متعلّقة بزمان معيّن، فهي آداب للزيارة عن قرب. وأمّا الثانية فعدة، منها:

١. الاغتسال: وهو ما نصّت عليه بعض روايات الزيارة عن بعد، منها ما أخرجه ابن قولويه، عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن الصادق عليه السلام، قال: «... ألا أعلمك شيئاً إذا أنت فعلته كتب الله لك بذلك الزيارة؟ فقلت: بلى جُعِلَ فداك. فقال لي: اغتسل في منزلك، واصعد إلى سطح دارك، وأشر إليه بالسلام، يكتب لك بذلك الزيارة»<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية أخرى: «... اغتسل يوم الجمعة، أو أيّ يومٍ شئت، والبس أطهر ثيابك، واصعد أعلى موضع في دارك، أو الصحراء...»<sup>(٤)</sup>.

(١) المصدر السابق: ص ٧٠. الشهيد الأول، محمد بن مكي، المزار: ص ١٤٢.

(٢) الشهيد الأول، محمد بن مكي، الدروس الشرعية: ج ٢، ص ٢٤.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤٨٢، باب (مَنْ نَأَتْ دَارَهُ وَبَعْدَتْ شَقَّتَهُ كَيْفَ يَزُورُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟)، ح ٥.

(٤) المصدر السابق: ص ٤٨٣، ح ٧.



٢. لبس أطهر الثياب: وقد ذكرته الرواية السابقة في الأدب المتقدم<sup>(١)</sup>.

٣. الصعود على سطح الدار أو البروز إلى الصحراء: وفي ذلك عدّة روايات، منها رواية زيارة عاشوراء التي تُعدّ من الزيارات الصالحة للقرب والبعد؛ إذ ورد فيها: «... إذا كان ذلك اليوم، برز إلى الصحراء، أو صعد سطحاً مرتفعاً في داره، وأوماً إليه بالسلام...»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية سدير المتقدمة: «... واصعد أعلى موضع في دارك، أو الصحراء... ثم تقول: السلام عليك يا مولاي...»<sup>(٣)</sup>.

كما أخرج الصدوق في (الفقيه) عن ابن أبي عمير، عن هشام، عن الصادق عليه السلام، قال: «إذا بعدت بأحدكم الشقة، ونأت به الدار، فليصعد أعلى منزله، فليصل ركعتين، وليؤم بالسلام إلى قبورنا؛ فإنّ ذلك يصل إلينا»<sup>(٤)</sup>.

٤. صلاة ركعتين: ذكرته بعض الروايات، منها: رواية الصدوق في الفقيه المتقدمة<sup>(٥)</sup>، ورواية زيارة عاشوراء آنفة الذكر...

نعم، رواية سدير الصيرفي عن الصادق عليه السلام نصّت على: «... تصعد فوق سطحك، ثم تلتفت يمنة ويسرة، ثم ترفع رأسك إلى السماء، ثم تتحرّى نحو قبر الحسين عليه السلام، ثم تقول: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»، وقد خلت من ذكر الركعتين.

(١) أنظر: المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٢٦، الباب ٧١، ح ٩.

(٣) المصدر السابق: ص ٤٨٣، الباب ٩٦، ح ٧.

(٤) الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٥٩٩، باب: ما يقوم مقام زيارة الحسين وزيارة غيره من الأئمة عليهم السلام لمن لا يقدر على قصده لبعد المسافة.

(٥) أنظر: المصدر السابق.



## الخاتمة

١. الأدب لغة: هو الظرافة في الأداء وحسن التناول.
٢. يُطلق الفقهاء لفظ الأدب والآداب ويريدون بهما نفس معانيهما اللغوية.
٣. أفضل ما قيل في تعريف الآداب أنها مجموعة أفعال وتروك وهيئات وصفات مطلوبة في الأفعال المتعلقة للأحكام الشرعية، والموجبة لكمالها وحسنها شرعاً، عبادة كانت، أم معاملة، أم غيرهما.
٤. لا تقتصر الآداب على الأمور المستحبة أو المكروهة، بل قد تشمل - بالإطلاق الفقهي - الواجبات والمحرمات.
٥. لدينا عدّة أسس لتقسيم آداب الزيارة، وأوّل تلك الأسس هو تقسيمها من حيث تعلّق الأدب بزمان معيّن من أزمنة الزيارة، وعدم تعلّقه بذلك.
٦. في ضوء تعلّق الأدب أو عدم تعلّقه بالزمان لدينا قسمان:  
القسم الأوّل: آداب لا تتعلّق بزمان معيّن من أزمنة الزيارة، وفيه جملة وافرة من الآداب.

القسم الثاني: آداب تتعلّق بزمان معيّن من أزمنة الزيارة، وهي:

أوّلاً: آداب ما قبل الزيارة، ولها مصاديق عدّة.

ثانياً: آداب أثناء الزيارة، ولها مصاديقها كذلك.

ثالثاً: آداب ما بعد الزيارة، ولها مصاديقها أيضاً.

٧. أساس قسمة الآداب المتعلقة بزمن معيّن من أزمنة الزيارة هو المعنى الشرعي للزيارة، وهو حضور الزائر عند المزور، وبه تُميّز بين ما قبل الزيارة وأثناءها وما بعدها.

٨. الأساس الثاني من أسس تقسيم آداب الزيارة هو كون الزيارة عن قرب أو عن بعد، فلكلّ مصاديقه من الآداب.

## المصادر والمراجع

- ١ . تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية، الحسن بن يوسف بن المطهر المعروف بالعلامة الحلي، نشر: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم المقدسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.
- ٢ . التحقيق في كلمات القرآن الكريم، السيد حسن المصطفوي، نشر: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
- ٣ . تهذيب الأحكام، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، نشر: دار الكتب الإسلامي، طهران - إيران.
- ٤ . ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، محمد بن علي بن الحسين المعروف بالشيخ الصدوق، منشورات الرضي، قم المقدسة - إيران، الطبعة الثانية، ١٣٦٨ هـ. ش.
- ٥ . جامع أحاديث الشيعة، تحت إشراف السيد حسين الطباطبائي البروجردي، المطبعة العلمية، قم المقدسة - إيران .
- ٦ . جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، محمد حسن الجواهري النجفي، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، الطبعة الثالثة، ١٣٦٧ هـ.
- ٧ . الحقائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، الشيخ يوسف البحراني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة - إيران .
- ٨ . الدروس الشرعية في فقه الإمامية، حسن بن مكّي العاملي المعروف بالشهيد الأول، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة - إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٧ هـ.
- ٩ . روضة المتقين في شرح مَنْ لا يحضره الفقيه، محمد تقي المجلسي، نشر بنیاد فرهنگ اسلامی.

١٠ . شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، انتشارات استقلال، طهران - إيران، الطبعة الثانية، ١٤٠٩ هـ.

١١ . القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، طبعة حجرية.

١٢ . الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، نشر: دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨ هـ.

١٣ . كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.

١٤ . كتاب الطهارة، الشيخ مرتضى الأنصاري، نشر: مجمع الفكر الإسلامي، قم المقدسة - إيران، الطبعة الثالثة، ١٤٢٨ هـ.

١٥ . كتاب المزار، محمد بن محمد بن النعمان الشيخ المفيد، تحقيق: السيد محمد باقر الأبطحي.

١٦ . كتاب المزار، محمد بن مكي العاملي (الشهيد الأول)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.

١٧ . كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، جعفر بن خضر المعروف بكاشف الغطاء، نشر: دفتر تبليغات إسلامي، قم المقدسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.

١٨ . لسان العرب، محمد بن مكرم الإفريقي المعروف بابن منظور، نشر: آداب الحوزة، قم المقدسة - إيران، ١٤٠٥ هـ.

١٩ . المختصر النافع في فقه الإمامية، جعفر بن الحسن المعروف بالمحقق الحلي، نشر: مؤسسة بعثت، قم المقدسة - إيران، الطبعة الثالثة، ١٤١٠ هـ.

٢٠ . مصابيح الظلام في شرح شرائع الإسلام، محمد باقر الوحيد البهبهاني، تحقيق ونشر: مؤسسة العلامة المجدد الوحيد البهبهاني، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ.



- ٢١ . مصباح المتهجد، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، مؤسّسة فقه الشيعة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.
- ٢٢ . المصطلحات، إعداد مركز المعجم الفقهي، (دون معلومات).
- ٢٣ . معجم ألفاظ الفقه الجعفري، د. أحمد عبد الله، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
- ٢٤ . معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، نشر: مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدّسة - إيران، ١٤٠٤ هـ.
- ٢٥ . المقنعة، محمد بن محمد بن النعمان الشيخ المفيد، الطبعة الثانية، نشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدّسة - إيران، ١٤١٠ هـ.
- ٢٦ . مَنْ لا يحضره الفقيه، محمد بن علي بن الحسين المعروف بالشيخ الصدوق، نشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الثانية.
- ٢٧ . منتهى الدراية في شرح الكفاية، محمد جعفر الجزائري المروّج، نشر: مؤسّسة دار الكتاب، قم المقدّسة - إيران، الطبعة السادسة، ١٤١٥ هـ.
- ٢٨ . موسوعة الفقه الإسلامي طبقاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام، تأليف وتحقيق: مؤسّسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، نشر: دائرة معارف الفقه الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ.
- ٢٩ . الموسوعة الفقهية الميسرة، الشيخ محمد علي الأنصاري، نشر: مجمع الفكر الإسلامي، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
- ٣٠ . وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.

**عوائد الزيارة الحسينية**  
**دراسة في الأبعاد الدنيوية والأخروية**

د. الشيخ حيدر العريضي  
باحث إسلامي، من العراق

**The Benefits of Visiting Imam al-Husayn (PBUH)**  
**– A Study in the Worldly and Afterlife Aspects**

**Dr. Shaykh Haidar al-Aridhi**  
College of Education for Human Sciences  
Islamic researcher from Iraq



## ملخص البحث

يدور هذا البحث حول الآثار الدنيوية والأخروية التي تعود على الزائر الكريم للحضرة الحسينية المقدسة، وكلما زاد من التردد على المرقد الشريف وبُعِدَت المسافة كُثُرَت منافعه في الدنيا والآخرة. وهذه المنافع منوطة بمقدار معرفة الزائر بشخص الإمام الحسين عليه السلام أولاً، ثم مقدار تقواه وعمله الصالح ويقينه بدينه ثانياً، وأنها - المنافع - تدور على الزيارة مدار المصلحة العامة ومقتضى الحكمة الإلهية في تسيير أمور عبده الزائر ثالثاً.

وبعد استقراء الروايات الشريفة اتضح أن أغلبها ذكرت المنافع الأخروية، وهي الباقية في أثرها، وخَصَّصَت بعض الأخبار ذكراً للمنافع الدنيوية من أجل ضمان سعادة الدارين - الدنيا والآخرة - للزائر الكريم.

وقد كشف البحث عن توزع المصالح بين المنافع الدنيوية تارةً، والتعدّي إلى منافع يوم الآخرة أخرى، وهي الأبقى والأجدر بالحرص على تحصيلها.

الكلمات المفتاحية: الزيارة، الإمام الحسين عليه السلام، العوائد، الدنيا، الآخرة، السعادة، الأثر، المعرفة، المقام.

## Abstract

This study focuses on the worldly and afterlife effects that affect the honorable visitor of the holy shrine of Imam al-Husayn (PBUH). The more frequently he visits the holy shrine and the further the distance he travels, the more benefits he will receive in this world and the hereafter.

These benefits depend, firstly, on the extent of the visitor's knowledge of Imam al-Husayn (PBUH), then secondly, on his piety, good deeds, and faith in his religion, and thirdly, on the general interest of managing the matters of the visiting servant of Allah, and on what the divine wisdom necessitates.

After having examined the noble narrations, it was found that the majority mention benefits in the hereafter whose effect is considered to remain. Other narrations mention the worldly benefits in particular, in order to ensure happiness for the dear visitor in the two worlds: this world and the hereafter.

Through this study, it becomes clear that the interests of the Ziyara vary from worldly benefits to benefits that surpass this level, namely afterlife benefits which are more lasting and more deserving of being reached.

**Keywords:** Ziyara, Imam al-Husayn (PBUH), benefits, this world, the afterlife, happiness, effects, knowledge, status.



## المقدمة

ابتنت الشريعة المقدّسة على أساس توافر الملاكات في جميع أحكامها الفقهية والأخلاقية بما يُحقّق المصلحة العامة للمجتمع، ولا يظنّ المرء أنّ هذه المصالح مقتصرة على ثواب الآخرة والفوز بنعيمها، بل هي شاملةٌ لتحقيق السعادة في دار الدنيا والعيش الرغيد.

إنّ تلك التشريعات متفاوتة في شدّة الإرسال والطلب من الناس بامتثالها، فقد تكون واجبة الامتثال؛ لأهمّيّتها وقوّة ملاكها في عالم الثبوت، وقد تكون أقلّ درجة في الأهمّيّة، فتصدر على نحوٍ غير ملزم للناس، وهي المستحبّة. وموضوع الزيارة الحسينية من الأحكام المستحبّة بشكلٍ مؤكّد إن لم تكن واجبة ولو في العمر مرّة. لم تخلّ النصوص القرآنية المقدّسة من إشاراتٍ بيانية لإرشاد الناس إلى أهمّيّة إحياء تلك الزيارة بصفقتها من أهمّ الشعائر الدينية على غرار فريضة الحجّ المقدّسة، وكان دور الأخبار الواردة عن المعصومين عليهم السلام (السنة المطهّرة) هو التفصيل البياني لعوائدها على الزائر بعد الإجمال القرآني في التأكيد على أهمّيّة الزيارة الحسينية في حياة المسلمين في الدنيا والآخرة.

لأجل ذلك؛ اخترتُ تلك الأخبار الشريفة في كتابة مقالتي الهادفة إلى تنوير الزائر الكريم بمنافع الزيارة في الدنيا والآخرة؛ ليكون على بصيرة من أمر زيارته، ومستشعراً لآثارها، فيندفع نحوها بكلّ شوقٍ ولهفة، وبهذا يكون الهدف نبيلاً وواعزاً للإكثار منها؛ إحياءً للأمر الإلهي، ونصرةً للدين الحنيف والمذهب الشريف، ثمّ جرّ المنفعة لنفسه في الدارين.

بعد استقراء الروايات وجدتُ أنّ المصالح تتوزّع بين المنافع الدنيوية تارةً، وتتعدّى لمنافع يوم الآخرة أخرى، وهي الأبقى والأجدر بالحرص على تحصيلها؛



وعليه نوّعت البحث بتقسيمه على مطلبين، هما: الأول: في المنافع الدنيوية الزائلة. والثاني: في المنافع الأخروية الخالدة. مع التمهيد بأمرين مهمّين: أولهما: الاطلاع على المعنى الاصطلاحي لمفردة (الاجتماع)، وثانيهما: التطرّق لمشروعية الزيارة لمراقدة الأئمة عليهم السلام والصالحين، ثم ذيلت المحورين بخلاصة، وختمتُ بالنتائج.

## توطئة

القارئ الكريم بحاجة إلى الاطلاع والتعرّف على المعنى المفهومي لمفردتي (الدنيا والآخرة)، ومدى سعتيهما في حياة الناس، وأيضاً يلزمه الاعتقاد بشرعية الزيارة لمراقدة أهل البيت عليهم السلام والصالحين قبلولوج في معرفة منافعها، فتحقّق شرعية الموضوع سابق على معرفة منافع الحكم وثمراته.

فتقرّر بيان الأمرين في نقطتين هما ما يلي:

## أولاً: مفهوم (الدنيا والآخرة)

الدنيا لغة: من الدنو والاقتراب والأقلّ **﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى﴾**، يعني الأخس، وهي نقيض الآخرة وضرتها. والدني من الرجال: الساقط الضعيف الذي إذا آواه الليل لم يبرح ضعفاً، والجمع أدنياء. وتدانت إبل الرجل: قلّت وضعفت. ودني فلان: طلب أمراً خسيساً<sup>(١)</sup>. فالدنيا هي دار الفناء، وفيها العمل دون الحساب.

الآخرة لغة: مؤنّث آخر، ومن أسماء الله تعالى الآخر والمؤخّر، فالآخر: هو الباقي بعد فناء خلقه كلّ. والآخرة: هي الباقية بعد فناء الدنيا، وهي نقيض الدنيا المتقدمة. وقيل: معنى آخر عني رأيك، أي: اختصر إيجازاً وبلاغة. فالآخرة: هي خلاصة عمل الإنسان في دنياه، وعاقبة كلّ شيء<sup>(٢)</sup>.

(١) أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٤، ص ٢٧١-٢٧٥.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ج ٤، ص ١١-١٢.

## ثانياً: محبوبية زيارة قبور الأولياء

ارتأيتُ أن أذكر القارئ الكريم بأهمية زيارة قبور الأولياء، والردّ على تخرّصات الفرقة الوهابية المبتدعة مؤخراً، فأوردت مكرّراً البحث الخاصّ بمشروعية الزيارة لقبور الأولياء والصالحين محققاً<sup>(١)</sup>، حيثُ تكمن أهمية الزيارة لمراقدة المعصومين عليهم السلام والأولياء في دلالتها وآثارها الوضعية، فللزيارة أقسام كثيرة لكل واحد منها فوائد خاصّة، كزيارة بيت الله الحرام التي تنطوي على فلسفة وآداب خاصّة ذكرت مفصّلاً في المصادر الفقهية، ولا شكّ أنّ لزيارة قبور المؤمنين ثمرات ذات اتّجاهين، منها ما يعود على الزائر، ومنها ما يرجع إلى الجهة المَزرورة، فبالإضافة إلى الثواب المترتب على زيارة المؤمن تجد أنّ الروايات أكّدت دخول السرور في نفس صاحب القبر عند زيارته.

ومن الفوائد المترتبة على زيارة قبور المؤمنين تذكّر الموت، والعبرة، والاستعداد لإصلاح النفس وتهذيبها، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «زوروا موتاكم؛ فإنّهم يفرحون بزيارتكم، وليطلب أحدكم حاجته عند قبر أبيه وعند قبر أمّه بما يدعو لها»<sup>(٢)</sup>. وفي الحديث الذي رواه صحاح ومصادر العامّة «عن أبي مويبة مولى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، قال: بعثني رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من جوف الليل، فقال: يا أبا مويبة، إنّني قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع، فانطلق معي. فانطلقت معه، فلما وقف بين أظهرهم، قال: السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنّ لكم ما أصبحتم فيه ممّا أصبح فيه الناس، لو تعلمون ما نجاكم الله منه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها، الآخرة شرٌّ من الأولى»<sup>(٣)</sup>.

(١) أنظر: العريضي، حيدر، التجليات العقدية في زيارة الإمام الحسين عليه السلام، مجلّة الإصلاح الحسيني، العدد: ٣٣، ص ٧٦-٧٨.

(٢) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٣، ص ٢٢٣.

(٣) ابن حنبل، أحمد، مُسنَد أحمد بن حنبل: ج ٢٥، ص ٣٧٦.

وهذا دليل يُلزم أتباع مدرسة الحديث والسلفية السماح بزيارة قبور الأولياء والصالحين وإعمارها، لا العكس كما نراه في زماننا، فالموثق لهذا الحديث ومصحّحه هو من كبار علماء مذهب السلفية.

إنّ النبي الأكرم ﷺ والأئمة الأطهار ﷺ هم المصدق الأمثل للإنسان الكامل، وإنّهم أحبّ الخلق إلى الله تعالى؛ لما اتّسموا به من صفات الكمال تقوى وورعاً وعلماً، وقد عصمهم الله من الذنوب ظاهراً وباطناً، وأمر تعالى بحبّهم وولائهم، وإنّ من حاربهم فقد حارب الله تعالى، فلا يصل الإنسان إلى مقام القرب الإلهي إلاّ بمحبّتهم وقبول ولايتهم.

إنّ الفضل المترتب على زيارتهم واضح العلة؛ باعتبارها تمثّل أفضل الطرق للتواصل مع أئمة الهدى المعصومين ﷺ، ممّا يوجب فلاح الإنسان وترسيخ الجانب المعنوي في شخصيته، بالإضافة إلى ما تنطوي عليه الزيارة من الخطوة بكرامة الأئمة ﷺ، وتعزيز الآصرة القلبية بين الزائر والإمام المعصوم؛ تجديداً للعهد باستمرار المسيرة الروحية التي يتحرّك فيها المؤمن استلهاماً منهم وتأسيّاً بهم. ومن الآثار المترتبة على الزيارة هو غفران الذنوب، والفوز بشفاعة الأئمة الأطهار ﷺ، وإنجاح طلبات الزائرين، وسأحاول هنا الإشارة إلى نماذج من الروايات التي تُشير إلى ثمار الزيارة وما ترتّب عليها:

فقد ورد في المروي عنه ﷺ: «مَنْ زَارَنِي بِالْمَدِينَةِ مُحْتَسِباً كُنْتُ لَهُ شَفِيعاً»<sup>(١)</sup>. كما أكّد النبي الأكرم ﷺ شرعية الزيارة عملياً؛ حيث نقل خبر مفاده: «أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم حين انصرف من أحد مرّ على مصعب بن عمير [و] هو مقتول على طريقه، فوقف عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ودعا له، ثم قرأ هذه الآية: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ

(١) الأميني، عبد الحسين، الغدير في الكتاب والسنة والأدب: ج ٥، ص ١٠٢.

**مَنْ يَنْظُرْ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا** <sup>(١)</sup>، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أَشْهَدُ أَنَّ هَؤُلَاءَ شُهَدَاءُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَتُوهُمْ وَزُورُوهُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا رَدَّوْا عَلَيْهِ. هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يَخْرُجَاهُ <sup>(٢)</sup>.

وما إعراض الشيخين عن إخراج الحديث وغيره من المرويات الدالة على استحباب الزيارة إلا لأسباب سياسية عملت عليها الدولة الأموية؛ لغرض إنكار فضل الشهداء وتقليل شأن الرموز الإسلامية.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ زَارَ قَبْرَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفِي اللَّهِ، أَعْتَقَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ، وَآمَنَهُ يَوْمَ الْفِرْعَ الْأَكْبَرِ، وَلَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ حَاجَةً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ» <sup>(٣)</sup>.

هذا غيظ من فيض المتواترات والروايات المستفيضة والمعتبرة الكثيرة في تأكيد شرعية زيارة المعصومين عليهم السلام والأولياء والصالحين، ذكرتها المصادر الحديثية وأشبعها العلماء بحثاً وتحقيقاً بما لا يترك أدنى شك في مشروعية الزيارة لقبور الصالحين ومطلوبيتها من قبل الباري عز وجل.

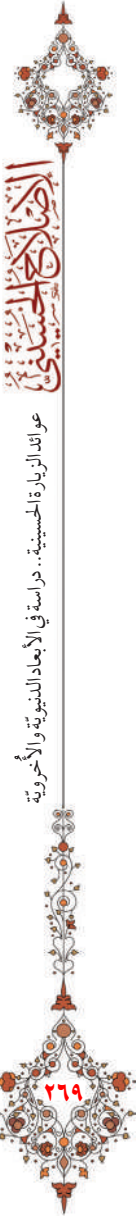
مما تقدّم من تمهيد لمشروعية الزيارة؛ سأشرع - بعونه تعالى - في بيان منافع الزيارة لمرقد سيّد الشهداء وأبي الأحرار عليه السلام، والتفصيل في عوائدها على الزائر في خير الدنيا وسعادة الآخرة، وقدّمتُ مطلب المنافع الدنيوية؛ لقربه من حواسّ الزائر وسنخية طبعه الماديّ أولاً، وامتنالاً للترتيب القرآني المندرج في الآية المباركة: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ <sup>(٤)</sup>، فالإنسان المؤمن يطلب السعادة في الدنيا وإن كانت زائلة بشرط ألا تتعارض مع سعادة الآخرة ولا تزاحمها.

(١) الأحزاب: الآية ٢٣.

(٢) الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرک علی الصحیحین: ج ٢، ص ٢٧١.

(٣) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤٩٩.

(٤) البقرة: الآية ٢٠١.



لقد اشترط في قبول الزيارة وتحقق آثارها على المزور أن يكون مؤمناً بقضية الإمام الحسين عليه السلام، وعارفاً بمنزلته عند الله سبحانه، وأنه عليه السلام إمامٌ مفترض الطاعة، وكسائر العبادات فقد أنيطَ قبولها بقيد التقوى كما قال تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

إذن؛ ينبغي للمؤمن الذي يروم زيارة سيّد الشهداء عليه السلام أن يستذكر عظمة هذه الشخصية الفذة، ويعيش أجواء ما جرى عليها من المصيبة الراتبة، فالأخبار قد ذكرت أن الله تعالى كتب على نفسه القدسية ألا يأتيه عليه السلام زائر لهفان، ولا مكروب، ولا مذنّب، ولا مغموم، ولا صاحب حاجة، إلا قضى الله حاجته كما سيلي من طيّات البحث في ذكر تلك الأخبار وتحليلها على وجوه بيانية تدعو الزائر إلى إعمال عقله في عوائد تلك الزيارة المباركة، ولأجله انقسم البحث إلى محورين، هما:

### المحور الأول: عوائد الزيارة الحسينية في دار الدنيا

جعل الله سبحانه دار الدنيا لغرض اختبار الناس وامتحانهم، كما ترادفت الآيات القرآنية بذكر هذه الحقيقة الواقعة نتائجها بعد الموت الذي قهر الناس بجبروته، فقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾<sup>(٢)</sup>، فالمؤمن ينبغي أن ينشد في هذه الدار التنافس لنيل المكرمات، والتسابق للحظوة بالحسنات، من خلال أدائه للطاعات وعمله للصالحات، فالرخاء في دنياه خيرٌ معينٍ على طاعة مولاه، ولا يشغله عنه سبحانه نصبٌ ولا داء، وتكون سعادة الدنيا غايته المنشودة على المدى القصير، والعمل لأجل التمهيد لسعادة آخرته وهي غايته القصوى.

(١) المائدة: الآية ٢٧.

(٢) الملك: الآية ٢.

وما الابتلاء الإلهي إلا أحد أدوات الاختبار لمعرفة مدى صبره وقوة إيمانه أولاً، ولتحصيل القرب من مولاه بمناجاته وتضرّعه إليه حين يشتدُّ عليه الابتلاء ثانياً، وهو ما يحقق الإذعان بحاجة العبد إلى ربه وفقره إليه سبحانه، وهذا الغرض من الابتلاء قد ذكره سبحانه في حوارهِ مع نبيِّه الأكرم ﷺ بقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

إنَّ خير ما يتضرّع به العبد من مكانٍ هو أقدسهُ وأحبُّهُ إلى الله سبحانه<sup>(٢)</sup>، وأفضل أماكن تلك المقدّسات ما يدعو الزائر الملهوف إلى استذكار ما جرى على صاحب تلك البقعة المباركة من مصائب، ووقع عليه من محنٍ ورزايا، ممّا يسعفه في التفاعل مع تلك الذكريات، ويشتدُّ تضرّعه إلى ربِّه جلّ جلاله مسترسلاً في دعائه إليه لطلب قضاء حوائجه، حيثُ ورد ما يدلُّ على هذا المعنى من تحصيل عوائد الدنيا بزيارته ﷺ، ففي الخبر عن هارون بن خارجة، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: وكَلَّ اللهُ بقبر الحسين أربعة آلاف ملكٍ شعْتُ غبرٌ يكونه إلى يوم القيامة، فمن زاره عارفاً بحقه شيعوه حتّى يبلغوه مأمنه، وإن مرض عادوه غدوةً وعشيّة، وإن مات شهدوا جنازته واستغفروا له إلى يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>.

فالخبر الشريف يعد الزائر الكريم للحضرة الحسينية بعدّة عوائد نافعة في دار الدنيا، وهي كما يلي:

أولاً: الحفاوة بتشيعه تكريماً له، والحصانة له بقوة أربعة آلاف من الملائكة حمايةً له من أيّ خطر قد يُحدق به فيدراً عنه مستقبلاً.

(١) الأنعام: الآية ٤٢.

(٢) ورد في الخبر المعتبر: «حدّثني علي بن الحسين وجماعة، عن سعد، عن محمد بن عيسى، عن أبي هاشم الجعفري، قال: دخلت أنا ومحمد بن حمزة عليه نعوذه وهو عليل، فقال لنا: وجّهوا قوماً إلى الحير من مالي، فلمّا خرجنا من عنده، قال لي محمد بن حمزة: المشير يوجّهنا إلى الحير وهو بمنزلة مَنْ في الحير! قال: فعدت إليه فأخبرته، فقال لي: ليس هو هكذا، إنّ الله مواضع يحبُّ أن يُعبد فيها، وحائر الحسين عليه السلام من تلك المواضع». المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ١١٣.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٤٩.





ثانياً: تشرف الزائر بعبادة جموع الملائكة له حال الانتكاسة الصحية؛ لتمريضه ومداداته تخفيفاً لألم علقته، والدعاء له بالشفاء والعافية من مرضه.

ثالثاً: المشاركة في تشييع جنازته والعناية بجثمانه حتى يخرج من دار الدنيا إلى ملحودة قبره، وفيها من إضفاء سمة الهيبة والوقار لجنازته في النفوس.

ثمّا تقدّم من معطيات الخبر الشريف، يلتبس القارئ اللبيب جملةً من العوائد الثرية ينالها الزائر بعد عودته من أداء تلك الشعيرة المقدّسة، وقد حظي بخير الدنيا، ويحتفي من وافر نعمها، ألا وهي العافية والأمان، وهما كنزان مكفوران (مخفيان) لا يُعرف قدرهما إلّا حين فقدهما<sup>(١)</sup>.

وفي خبر آخر نستحضر جملةً من العوائد المباركة التي طالما وعدنا بها الأئمة الأطهار عليهم السلام، فعن أبي جعفر عليه السلام قال: «مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام؛ فإنّ إتيانه يزيد في الرزق، ويمدّ في العمر، ويدفع مدافع السوء، وإتيانه مفترضٌ على كلّ مؤمنٍ يقرُّ للحسين بالإمامة من الله»<sup>(٢)</sup>.

فبالإضافة إلى نعمة الأمان الواردة في الخبر الأول وتأكيداً لعائدها عليه من أثر الزيارة، يزداد العطاء حملاً آخر يتمثّل فيما يلي:

أولاً: فائدة زيادة الرزق الحلال بوعدٍ إلهي لا يتخلّف عن الزائر وإن طال الأمد لاقتضاء المصلحة، وهذا الرزق تارة يكون مالاً، وأخرى ولدّاً صالحاً، وغيرهما من أسباب سعادة المرء في الدنيا.

ثانياً: عائدة طول العمر بصحةً وهناء في عيش رغيد، وإلّا لا ينفع طول العمر مع كثرة الكدرات وتسلّط الهموم والأسقام، فطول العمر للمرء نافعٌ عندما يمدُّ في أجل تكثير عمله الصالح؛ كسباً للحسنات، وزيادةً في رقيّ درجاته في جنّات النعيم.

(١) رُوِيَ عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الصَّحَّةُ والفَرَاغُ نعمتان مكفورتان». الصدوق، محمد بن علي، مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه: ج ٤، ص ٣٨١.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٨٤.



رُبَّمَا تَأَخَّرَ الوعد الإلهي في نيل العوائد للزائر الكريم، وعلة التأخير قد تكون لاختباره وتمحيصه بعد الاطلاع على احتمال ضعف إيمانه، أو لحاجب من سوء اقترفه يمنع من تنجّز الوعد الإلهي بحقه، أو قد يكون هذا الحبس للعوائد عنه حُبّاً له في دوام سماع مناجاته، وادخاراً لثواب الزائر في الآخرة حيث النعيم المقيم<sup>(١)</sup>، وهو خيرٌ من نعيم الدنيا الفاني.

ومن كرامة زائر الإمام الحسين عليه السلام عند الله سبحانه زيادة العناية الإلهية بشخصه الكريم، كما تعني الأُمُّ بوحيدها من الولد، ففي الخبر المعتبر عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «إِنَّ الرجل يخرج إلى قبر الحسين عليه السلام، فله إذا خرج من أهله بأول خطوة مغفرة ذنوبه، ثم لم يزل يقدّس بكلّ خطوة حتّى يأتيه. فإذا أتاه نجاه الله: عبدي، سلني أعطك، ادعني أجبك، اطلب منّي أعطك، سلني حاجة أقضها لك... وقال أبو عبد الله عليه السلام: وحقّ على الله أن يعطي ما بذل»<sup>(٢)</sup>.

وكأنّه يُوهب الزائر قرطاساً أبيض مضمون الإجابة؛ ليكتب فيه ما يشاء من الطلبات، وما يرجو فيه من الرغبات، ولا بخلّ في ساحة كرم الله عزّ وجلّ لزائر مرقد سيّد الشهداء عليه السلام، الذي ضحّى بكلّ ما يملك لأجل إعلاء كلمة التوحيد، فعليه أن يسأل الله عزّ وجلّ الكثير، ناظراً إلى سعة رحمته، وما أوجبه على نفسه تعالى من تلبية الطلبات مهما كثرت.

(١) ذكرت تلك العلل في روايات عدّة اختصرها في هذا الخبر: روى الشيخ الكليني في (الكافي) بسند صحيح: «عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: جُعِلْتُ فِدَاكَ، إنّي قد سألت الله حاجةً منذ كذا وكذا سنة، وقد دَخَلْتُ قلبي من إبطائها شيءٌ». فقال: يا أحمد، إياك والشيطان أن يكونَ له عليك سبيلٌ حتّى يُقَنِّطَكَ، إنّ أبا جعفر (صلوات الله عليه) كان يقول: إنّ المؤمن يسأل الله عزّ وجلّ حاجةً، فيؤخّر عنه تعجيل إجابته حُبّاً لصوته واستماع نحيبه. ثم قال: والله، ما أحرّ الله عزّ وجلّ عن المؤمنين ما يطلبون من هذه الدنيا خير لهم ممّا عَجَّلَ لهم فيها، وأيّ شيءٍ الدنيا؟!». الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٤٨٨.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٢٤.



ولا يقتصر الأمر في طلبات الزائر على المدرك بقصر نظره، بل ينبغي للزائر أن يسأل لما يتناسب مع سعة رحمة ربّه جلّ جلاله، وينسجم مع جزيل عطائه وكرمه، ولا يدور في خلد المؤمن من غضاضة لو طمع برحمة ربّه الواسعة، حيث ورد الخبر شاملاً لكل ما تقدّم من حَبّوات ينالها الزائر الكريم إثر زيارته للمرقد الحسيني، فـ: «عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إنّ الحسين صاحب كربلاء قُتل مظلوماً مكروباً عطشاناً لهفاناً، وحقّ على الله عزّ وجلّ ألاّ يأتيه لهفان، ولا مكروب، ولا مذب، ولا مغموم، ولا عطشان، ولا ذو عاهة ثمّ دعا عنده وتقرّب بالحسين عليه السلام إلى الله عزّ وجلّ، إلّا نفّس الله كربته، وأعطاه مسألته، وغفر ذنبه، ومدّ في عمره، وبسط في رزقه، فاعتبروا يا أولي الأبصار»<sup>(١)</sup>.

فالزائر حين يواسي الإمام الحسين عليه السلام - عند زيارته - بكربته ومصابه وغربته يكون قد دخل في جملة الرحمة الواسعة، وشُمِلَ بمواهبها السنيّة.

كما تدلّ بعض الأخبار الشريفة على تحسين حال الزائر وتبديل حاله إلى الأفضل من غير دعوة منه ولا تضرّع، بل لمجرّد النظر الإلهي إلى بؤس حاله، والعلم بمكنون نفسه، من باب قول العارف: (يُعنيه رؤية منظري عن مخبري)<sup>(٢)</sup>، وهذا ما سطرته الرواية عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال الحسين بن علي عليه السلام: «أنا قُتيل العبرة، قُتلت مكروباً، وحقّق على الله ألاّ يأتيني مكروب إلّا أردّه وأقلبه إلى أهله مسروراً»<sup>(٣)</sup>.

هكذا تضافرت الأخبار الشريفة - بل تواترت - على سرّد جملة عريضة من العوائد على من يزور مرقد سيّد الشهداء عليه السلام ويحتفي بنور قبره الأنور، فإن لم تزد تلك الروايات من ذكر المنافع أكّدت بعضها؛ ترسيخاً لفحواها في قلوب محبيه وروّاد

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣١٣-٣١٤.

(٢) هذا المعنى مقتبس من قول السائل للإمام الحسن عليه السلام في منظومة شعره. أنظر: الحائري، محمد مهدي، معالي السبطين في أخبار الحسن والحسين عليه السلام: ص ١٨.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص ٩٨.

مرقده عليه السلام، وهو ما نقرؤه في الخبر عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر وجعفر بن محمد (سلام الله عليهما) يقولان: «إن الله تعالى عوّض الحسين عليه السلام من قتله أن جعل الإمامة في ذريته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعاء عند قبره، ولا تُعدّ أيام زائريه جائياً وراجعاً»<sup>(١)</sup>.

فمن العوائد في هذا الخبر الشريف المباركة في عمر الزائر، وتعويضه ما قضى من أيام سفر زيارته بقدره أياماً وزيادة وإن طال السفر بأيامه ولياليه، وفيه إشارة إلى مدى الأمان الذي يكتسبه الزائر من زيارته، وضمانة طول العمر رغم ما يُحْدَق به من مخاطر الطريق، خصوصاً أيام حُكم الطغاة والمستبدين.

لقد اقتبس الشاعر هذا المعنى من الأخبار لينظمه في عقدٍ فريد تُشَنَّفُ به آذان سامعيه، وتقرح جفونهم حزناً، حين قال عليه الرحمة:

لَهُ الْقُبَّةُ الْبِيضَاءُ بِالطَّفِّ لَمْ تَزَلْ	تَطُوفُ بِهَا طَوْعاً مَلَائِكَةٌ غُرٌّ
وَفِيهِ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ وَقَوْلُهُ	صَرِيحٌ صَحِيحٌ لَيْسَ فِي ذَلِكَ نُكْرٌ
حُبِّي بِثَلَاثٍ مَا أَحَاطَ بِمِثْلِهَا	وَلِيٌّ فَمَنْ زَيْدٌ هُنَاكَ وَمَنْ عَمْرُو!
لَهُ تَرْبَةٌ فِيهَا الشِّفَاءُ وَقُبَّةٌ	يُجَابُ بِهَا الدَّاعِي إِذَا مَسَّهُ الضَّرُّ <sup>(٢)</sup>

وفي المقابل تجد الأخبار الشريفة محدّرةً من ترك زيارته عليه السلام في كُلِّ عام ولو مرةً، فقد رُوي عن منصور ابن حازم، قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول: «مَنْ أَتَى عَلَيْهِ حَوْلَ لَمْ يَأْتِ قَبْرَ الْحُسَيْنِ عليه السلام نَقَصَ اللَّهُ مِنْ عَمْرِهِ حَوْلًا، وَلَوْ قُلْتُ: إِنَّ أَحَدَكُمْ يَمُوتُ قَبْلَ أَجَلِهِ بِثَلَاثِينَ سَنَةً لَكُنْتُ صَادِقًا... فَتَنَافَسُوا فِي زِيَارَتِهِ وَلَا تَدْعُوا ذَلِكَ»<sup>(٣)</sup>.

وفي الخبر أعلاه تحذير شديد اللهجة لمن يزهد في ثواب الزيارة الحسينية، يتضمّن تهديد قصر العمر ونقصانه عن أجله المحتوم؛ بسبب ترك زيارة مرقد سيّد

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٦٩.

(٢) الأميني، عبد الحسين، الغدير في الكتاب والسنة والأدب: ج ٧، ص ١٥.

(٣) البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة: ج ١٢، ص ٤٦٧.



الشهداء عليه السلام من دون علة، مع علمه بآثارها الطيبة، وعوائدها الحسنة عليه في داري الدنيا والآخرة.

والخلاصة: يمكن القول بعد ما تقدّم من أخبار آثار الزيارة الحسينية وعوائدها الحسنة على الزائر الكريم في دار الدنيا أنّها تعود عليه بعدّة منافع، منها: الزيادة في العمر والبركة في أيام الزائر ولياليه، وزيادة الرزق الحلال وكفاية مؤوّنته، مع إجابة دعواته أو تأجيلها لما تقتضيه المصلحة، ثمّ يكسب الزائر النعمتين الكبيرتين، وهما: العافية، والأمان والاستقرار بالفراغ من مكائد الأعداء وبطشهم. ومن كرامة الزائر تحقيق مراده وإن لم يذكره في مناجاته وتضرّعه من كشف ضرٍّ أو تنفيس كربة. وكلّ ما تقدّم من عوائد يمكن جمعها في صفة كسب سعادة الدنيا ورخائها، مع ما يكتب له من سلامة الدين وحسن العاقبة؛ رجاءً للفوز بسعادة الآخرة.

### المحور الثاني: عوائد الزيارة الحسينية في دار الآخرة

تسري عوائد الزيارة الحسينية ومنافعها في الزائر كما يجري كثر الرحمة في الأرض القاحلة، فيسقيها حياة خصبّة بالمكرّمات، ممّا يعود عليهم بالخير الكثير والبركات، وأقلّ هذه العوائد شأنًا هو كثير الآثار وعظيم في أهمّيته. فأولّ العوائد هو المغفرة؛ تكفيراً للذنوب الزائر التي ارتكبها جهالةً أو عصياناً، ففي الخبر الشريف عن الحسين بن محمد، قال: قال أبو الحسن بن موسى عليه السلام: «أدنى ما يثاب به زائر أبي عبد الله عليه السلام بشطّ الفرات إذا عرف حقّه وحرّمته وولايته أن يُغفّر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر»<sup>(١)</sup>.

وهنا نحن بين يدي عائدة مشتركة الأثر، بين منفعة الدنيا ومنفعة الآخرة، فغفران الذنوب ينعكس إيجاباً على حياة الزائر للحائر الحسيني، كما أنّ له مردّاً طيباً

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٢٤.

في حياته الأخرى، حيث ذكر الله سبحانه الكثير من آثار المغفرة وأهمية الاستغفار في حياة الناس، ومن تلك الأذكار قوله تعالى: ﴿وَيَقُومُوا اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وزيادة في قوله تعالى: ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَبِجَنَّتٍ وَبِجَعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾<sup>(٢)</sup>.

فالمغفرة كفيلة برفع الحُجب عن الرحمة الإلهية الواسعة في دار الدنيا، وكذا هي ضامنة للوقاية من النار وممهدة للدخول إلى الجنة والحياة فيها خالدة بنعيم، فالمستثنى من دخول النار يكون مهياً لورود الجنة بإذن ربّه جلّ وعلا، حيث قال: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>؛ ليتحقق أثر المغفرة جامعاً لعوائد الدنيا مع عوائد الآخرة الباقية ومشتراً بينهما.

إنّ الحديث أعلاه يُشير إلى عائدة المغفرة لما تقدّم من ذنوب الزائر، وهو أمر واضح البيان ولا يحتاج إلى تفسير، إنّما المبهم هو وعد المعصوم عليه السلام للزائر بالمغفرة لما تأخر من ذنوبه المُقدّر وقوعها في قادم أيّامه، فأثر الزيارة ساري المفعول لبقية عمر الزائر مع شرط الولاء وتجديد العهد مع مولاه، وتفسيره يندرج تحت طائفة الميول النفسية والتوجّه القلبي للزائر الذي انطوى على مكنون حبّ للإمام الحسين عليه السلام، وهو ما دفعه لزيارته عليه السلام بعقيدة العرفان لفضله والإقرار بإمامته عليه السلام.

ومثل هذا القلب السليم لا يميل إلى أفعالٍ تناقض حُسن توجّهه، من اقتراف الفُحش وعمل السيئات؛ خصوصاً بعد تأثره بمصاب مولاه وعظم رزقته، فيكون قلبه ذا حصانة كافية لردعه عن اقتحام المعاصي واقترافها، وإن اقترَف بعضها فسلامة قلبه تدعوه للاستغفار وطلب التوبة من بارئه بإلحاح وتضرّع. وبهذا الأمر

(١) هود: الآية ٥٢.

(٢) نوح: الآية ١٢.

(٣) الفرقان: الآية ٧٠.



يتحقق وعد المعصوم عليه السلام الوارد في الخبر بالضمان من غفران ذنوبه المتأخرة عن موعد الزيارة.

ومثله قد ورد في الأثر الشريف - باستفاضة مُحَقَّقة - قولُ رسول الله صلى الله عليه وآله: «حَبَّ علي بن أبي طالب حسنة لا يضرَّ معها سيئة، وبغضه سيئة لا تنفع معها حسنة»<sup>(١)</sup>.

لذا؛ منح الأئمة عليهم السلام رقة الضمان بالجنة لمن يزور مرقد سيّد الشهداء عليه السلام بعد تحقّق المغفرة له إثر زيارته المباركة، وبالعطاء الكثير من غير جِدَّةٍ حتّى ورود الجنة، فعن الريّان بن شبیب، عن الرضا عليه السلام في حديثه له أنّه قال عليه السلام: «يابن شبیب، إن سرك أن تلقى الله عز وجل ولا ذنب عليك فزر الحسين عليه السلام. يابن شبیب، إن سرك أن تسكن الغرف المبنية في الجنة مع النبي وآله (صلوات الله عليهم) فالعن قتلة الحسين عليه السلام»<sup>(٢)</sup>.

فلزائر الإمام الحسين عليه السلام عائدة مغبوبة في الجنة لا تقف عند حدّ النعيم فحسب، بل ترتقي إلى كرامة الكينونة مع النبي الأكرم ومع آلّه الطاهرين عليهم السلام في منازل المختبين، وهذه الكرامة يتمناها كلّ أهل الجنة ممّن لم يُوفَّق لزيارة مرقد سيّد الشهداء عليه السلام في دنياه، وحينها تأخذهم الحسرات على ما زهدوا فيه من الثواب الجزيل الموجبُ لرفيع المقام، وهو ما أكّد عليه في الخبر عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «ما من أحد يوم القيامة إلّا وهو يتمنى أنّه من زوّار الحسين؛ لما يرى ممّا يُصنع بزوّار الحسين عليه السلام من كرامتهم على الله تعالى»<sup>(٣)</sup>.

فأولّ الكرامات - كما دلّت عليه الأخبار المعتبرة - هي السبق إلى دخول الجنة قبل سائر مستحقّيها، فقد روى زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «إنّ لزوّار الحسين بن علي عليه السلام يوم القيامة فضلاً على الناس. قلت: وما فضلهم؟ قال: يدخلون الجنة قبل

(١) المرعشي، شهاب الدين، شرح إحقاق الحقّ: ج ٧، ص ٢٥٧.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ١٠٣.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٥٨.

الناس بأربعين عاماً، وسائر الناس في الحساب والموقف»<sup>(١)</sup>.

فساحة الحساب هي قطعة من نار جهنم قد بُردت من زفيرها، فمن ينجو منها بسرعة فقد تخلص من حرّها. ثمّ تذكر الأخبار أعلى تلك الكرامات، وهي كرامة الجوار لأهل بيت الرحمة ﷺ في المقام الأسمى، وأي كرامة خير من مجاورة الأئمة الأطهار ﷺ في الجنان العالية والتلذذ برؤيتهم؟! وكيف لا تأخذ المحروم من الزيارة الحسرة والندامة على ما فرط في حياته بالتقاعس عن الكون في مشهده ﷺ ولو في العمر مرّة؟

لقد صدر من ناحية المعصوم ﷺ الترغيب المغري لمن يروم زيارة الحائر الحسيني، حيث ورد عن أبي عبد الله الصادق ﷺ قوله: «من أراد أن يكون في جوار نبيه ﷺ، وجوار علي وفاطمة، فلا يدع زيارة الحسين بن علي ﷺ»<sup>(٢)</sup>؛ لما في هذا الجوار من متعة روحية ونعيم مقيم لا يُدرّكه المؤمن في غيره من نعيم الجنة وقصورها، وهو الذي وصفته الأخبار الخاصة بأحوال أهل الجنة بجملة مختزلة مفادها: «مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، وما لا خطر على بال بشر»<sup>(٣)</sup>، وقد جرت هذه الصفة من معنى الآية المباركة: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

ففي هذا الحديث القدسي وصف لنعيم الجنة الذي لا يتصوّر بحواس قدره، فلا يمكن أن يُقال من وصف يعبر عن حقيقة الحال، وإنما يُقرب للسامعين المعنى فحسب؛ وذلك أن ما تتصوّر الحواس، إمّا أن يكون بالمشاهدة، أو بالسمع، أو بالخيال الذهني، فهو لا يخرج عن هذه الطرق الثلاثة، فالذهن يتخيّل، ومدها في

(١) المصدر السابق: ص ٢٦٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٦٠.

(٣) ورد هذا النصّ في الحديث القدسي، حيث قال تعالى: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر». البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري:

ج ٦، ص ٢١.

(٤) السجدة: الآية ١٧.



ذلك واسع، ومع ذلك فهناك الجنة شيء آخر تماماً، لا يمكن أن يكون مثله في عالم المشاهدات، ولا في المسموعات، ولا يمكن أن يكون ذلك ممّا يتّصل بالوهم أو الخيال، أو ما يخطر على قلب بشر مهما تعاضم قدره، فكيف للمرء أن يُحيط علماً بنعيم مرافقة أئمة الهدى عليهم السلام في محيط نشأتهم الآخرة وهي الأعلى؟! مع أنّه قد جهل معرفة قدرهم في حدود نشأتهم الدنيا.

وفي المقابل؛ كما يُنتقص من عُمر المُعرّض عن زيارة مرقد الإمام الحسين عليه السلام ويقرّب من أجله، فإنّ المرء الذي لم يزر مرقد الأقدس يكون محروماً من جملة خصائص ذكرها الخبر المروي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، حيث قال: «مَنْ لم يأت قبر الحسين عليه السلام حتّى يموت، كان منتقص الدين، منتقص الإيمان، وإن أُدخل الجنة كان دون المؤمنين في الجنة»<sup>(١)</sup>.

وفي خير آخر يُنطأ شرط الإيمان بكثرة الزيارة بقوله عليه السلام: «... وَمَنْ لم يكن للحسين عليه السلام زوّاراً كان ناقص الإيمان»<sup>(٢)</sup>.

فالتيجة تتبع أحسن المقدمات، ومَنْ ترك الزيارة الحسينية ضَعَفَ إيمانه وقَلَّ يقينه، وهما من مقدمات تدني مستوى درجته في الجنة، وبالتالي انحصر نعيمه بالملذّات المناسبة لعالمه من حورٍ وممّا تشتهي نفسه، وبالتيجة يكون محروماً من نعيم رؤية أهل بيت الرحمة عليهم السلام، والتلذُّذ بمناجاتهم العذبة، والاطّلاع على أحوالهم ومعارفهم الشيّقة.

لا عجب أن يرتقي مستديم زيارة الحرم الحسيني بكثرة تلك المقامات السامية من الجنة بمعية أهل بيت الرحمة عليهم السلام؛ لأنّ فضل الزيارة عند الله تعالى كان عظيماً، فالزائر له كرامة خاصّة عند البارئ عز وجل يهبه ما يناسب كرامته من مقام محمود يغبطه

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٤.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٥٦.



الأولون والآخرون، والدليل على سموّ مقام الزيارة وفضلها هو ما ورد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: «مَنْ زار قبر الحسين عليه السلام بشطّ الفرات كان كَمَنْ زار الله فوق عرشه»<sup>(١)</sup>.

فَمَنْ يرتقي بزيارته مثل هذا المقام الأعلى، جدير بنيل درجة الرفقة لأهل البيت عليه السلام في الجنة، فوجه الشبه القائم بين الحرم الحسيني ومقام العرش الإلهي نابع من بيان المقام الأسمى الذي ناله الإمام الحسين عليه السلام بشهادته العظمى الموسومة بالرزية الكبرى<sup>(٢)</sup>.

وهذه المشابهة وردت أيضاً بين زيارة الحرم الحسيني وبين حجّ بيت الله الحرام في الثواب، وهذه المقايضة ذكرت في المحاوراة بين النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وزوجته عائشة كما نقلها الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «... أما إنَّ أُمَّتي ستقتله، فَمَنْ زاره بعد وفاته كتب الله له حَجَّةً من حججتي. قالت: يا رسول الله، حَجَّةً من حججك؟ قال: نعم، وحجّتين من حججتي. قالت: يا رسول الله، حجّتين من حججك؟ قال: نعم، وأربعة. قال: فلم تزل تزاذه ويزيد ويضعف حتّى بلغ تسعين حَجَّةً من حجج رسول الله عليه السلام بأعمارها»<sup>(٣)</sup>.  
لقد حفظ الإمام الحسين عليه السلام حرمة بيت الله الحرام، كما دافع عن مبادئ التوحيد وعقيدة النبوة، وقدم نفسه قربان فداء لهذا الدين الحنيف، لئلاّ تمحقه بنو أمية ويعيدوا الناس إلى الجاهلية الأولى؛ ولأجل كلّ ذلك حباه الله تعالى بتلك المنزلة العظيمة، كما

(١) الصدوق، محمد بن بابويه، ثواب الأعمال: ص ٨٥.

(٢) هذه الحقيقة وردت في الخبر الشريف، وسأذكر شطراً منه بما يُناسب المقام، وهو: «فجاء النبي صلى الله عليه وآله وهو في منامه، فأخذ الحسين عليه السلام وضمّه إلى صدره، وجعل يقبل بين عينيه، ويقول: بأبي أنت، كأني أراك مرثلاً بدمك بين عصابة من هذه الأمة، يرجون شفاعتي، ما لهم عند الله من خلاق. يا بني، إنَّك قادم على أبيك وأُمِّك وأخيك، وهم مشتاقون إليك، وإنَّ لك في الجنة درجات لا تنالها إلّا بالشهادة». أنظر: الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ٢١٧.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ص ٩٨، ص ٣٥.



أكرم زوّاره بتلك المواهب الكبيرة.

وتأكيداً لما ورد يُضيف الإمام الصادق عليه السلام في حوارهِ مع بشير الدّهان قائلاً: «... يا بشير، أيّما مؤمن أتى قبر الحسين عارفاً بحقّه في غير يوم عيد، كُتبت له عشرون حجة وعشرون عمرة مبرورات متقبّلات، وعشرون غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل، ومَن أتاه في يوم عرفة عارفاً بحقّه كُتبت له ألف حجة وألف عمرة مبرورات متقبّلات، وألف غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل»<sup>(١)</sup>.

ويرجع السرُّ في تفاوت الثواب - من حجة إلى ألف حجة - إلى النظر في حال الزائر ودرجة تقواه ومدى عقيدته في إمامه من حيث المعرفة بحقيقته، وأنّه إمامٌ حقٌّ مفترض الطاعة، ولزوم الاقتداء به عليه السلام حين التعارض بين حفظ النفس مع حفظ الدين، يتقدّم حفظ الدين على الغالي والنفيس.

كثيرة هي الأخبار المشوّقة لزيارة الإمام الحسين عليه السلام ترغيباً للاستزادة منها والكينونة من الزوّار المستديمين، فلا يسع مجال البحث لإيراد جميع تلك الأخبار الشريفة، وسأقتصر على ذكر العوائد النافعة التي لم ترد في سالف الأخبار الموثّقة أعلاه، مع إحالة القارئ اللبيب إلى مصادر تلك الأخبار الشريفة للاطلاع عليها، ومن تلك العوائد ما يلي:

أولاً: الأمان يوم الفرع الأكبر والنجاة من الحساب العسير<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: الخطوة بالمحبة الإلهية ويتباهى به من قبل الله عز وجل<sup>(٣)</sup>.

ثالثاً: رزق ثواب الشهادة بين يدي الإمام الحسين عليه السلام<sup>(٤)</sup>.

(١) المصدر السابق: ص ٨٥.

(٢) أنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٧٦.

(٣) أنظر: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤٩٧.

(٤) أنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٢٨.

رابعاً: يُرزق خير الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>.

خامساً: الكينونة على موائد النور الإلهي<sup>(٢)</sup>.

هذه جملة العوائد التي تكرّرت في بعض الأخبار تأكيداً على صحّة صدورها، ولأجل ترغيب المعصوم عليه السلام لشيّعه بالإكثار من زيارة مرقد أبي الأحرار وسيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام.

## الخاتمة

فاقت أخبار المعصومين عليهم السلام حول ثواب الزيارة الحسينية بعوائدها المعنويّة على الأمور الماديّة حتّى بلغت حدّ التواتر، فسارت بالتشويق للزائر الكريم من المغفرة والتوفيق للتوبة النصوح، وتخلّلتها بثواب الحجّ والعمرة مضاعفةً، وزيّنتها بثواب الشراكة في الجهاد والتضحية يوم عاشوراء في صفّ أهل الحقّ، ثمّ ختمتها بالأمن يوم القيامة ودخول الجنّة في أعلى المنازل مع أهل البيت عليهم السلام.

## النتائج

١. شملت العوائد على الزائر كلّاً من سعادة الدنيا وسعادة الآخرة.
٢. تبدأ سعادة الدنيا من الأمن وتفريج الكرب وكشف الهمّ للزائر، وتصل في منافعها إلى زيادة الرزق والعافية من البلى، واستجابة الدعاء، بل وقضاء الحوائج من غير مسألة.
٣. تشرع سعادة الآخرة بعرض مشهد الأمن للزائر يوم القيامة، وسرعة دخول الجنّة، وبمباهاة الخالق تعالى بالزائر، ومسك ختامها بالكينونة بمنزلة أهل بيت النبوة عليهم السلام في منازل المختبين.

(١) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٢٠.

(٢) أنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٥٨.

## المصادر والمراجع

\* القرآن الكريم.

١ . إحقاق الحق وإزهاق الباطل، نور الله الحسيني المرعشي التستري (ت ١٠١٩هـ)، تحقيق وتعليق: شهاب الدين الحسيني المرعشي النجفي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المقدسة - إيران.

٢ . الأمالي، محمد بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق ونشر: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم المقدسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٣ . بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، تحقيق: محمد مهدي الخرسان، إبراهيم الميانجي، محمد الباقر البهودي، الناشر: مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٤ . ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، محمد بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: محمد مهدي الخرسان، منشورات الرضى، قم المقدسة - إيران، الطبعة الثانية، ١٣٦٨ش.

٥ . جامع أحاديث الشيعة، حسين الطباطبائي البروجردي (ت ١٣٨٠هـ)، المطبعة العلمية، قم المقدسة - إيران.

٦ . صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، الناشر: دار الفكر، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

٧ . الغدير في الكتاب والسنة والأدب، عبد الحسين الأميني، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٦٧م.

٨ . الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، ١٣٦٥ش.

٩ . كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمّي (ت ٣٦٨هـ)، تحقيق ونشر: مركز الفقه، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١٠ . لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي (ت ٧١١هـ)، نشر: أدب الحوزة العلميّة، قم المقدّسة - إيران، ١٤٠٥هـ.

١١ . المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.

١٢ . مُسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسّسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

١٣ . معالي السبطين في أخبار الحسن والحسين عليهما السلام، محمد مهدي الحائري (ت ١٣٥٨هـ)، منشورات الشريف الرضي، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

١٤ . مَنْ لا يحضره الفقيه، محمد بن علي بن حسين بن بابويه القمّي المعروف بالصدوق (ت ٣٨١هـ)، نشر وتحقيق: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

١٥ . وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

## المجلّات

١٦ . مجلّة الإصلاح الحسيني، العدد ٣٣، التجلّيات العقدية في زيارة الإمام الحسين عليه السلام، حيدر العريضي.





## زيارة الإمام الحسين عليه السلام والشعور بالانتماء

م. د. زهراء حسين الحسيني

كلية الشيخ الطوسي - النجف الأشرف / العراق

## The Ziyara of Imam al-Husayn (PBUH) and the Sense of Belonging

**Dr. Zahra Husayn al-Husayni**

Altoosi University College, Holy Najaf, Iraq





## ملخص البحث

يهدف البحث إلى توضيح الآثار والثمرات المترتبة على زيارة الإمام الحسين عليه السلام، التي - بدورها - تُعزز الانتماء له ولمنهجه المبارك، وذلك بعد معرفة كيفية الزيارة التي أرادها الأئمة المعصومون عليهم السلام، والتي تُنتج هذه الآثار والثمرات الطيبة؛ لما لها من مدخلية في نجاة الأمة وربطها بقاداتها وقدواتها المخلصين، والحصول على سعادة الدارين. لذا انتهجت الدراسة أسلوب المنهج التحليلي لكثير من النصوص الواردة فيها، واستقراء الكثير من نتائجها، وذلك في أربعة محاور، خارجة بتوصيات مهمة كان من أبرزها: ضرورة ترسيخ المعاني والقيم التي ضحّى من أجلها الإمام الحسين عليه السلام ومعرفة ماهيتها؛ لتكون واضحة لكل من أراد أن ينهل منها، والتصدي لكل محاولات تشويه صور تلك القيم والمبادئ وتحريف مفاهيمها أو تطبيقاتها، وضرورة إنشاء المؤسسات والمراكز والمواكب التثقيفية ودعم الخطباء الواعين القادرين على إدارة ورعاية الزخم المليوني في زيارته عليه السلام إعلامياً وتثقيفياً وتعبوياً، وعكس الوجه المشرق لنهضته عليه السلام المباركة والنهوض بواقع الأمة الإسلامية الذي ضحّى من أجلها.

الكلمات المفتاحية: الإمام الحسين عليه السلام، الزيارة، كربلاء، الشعور، الانتماء.

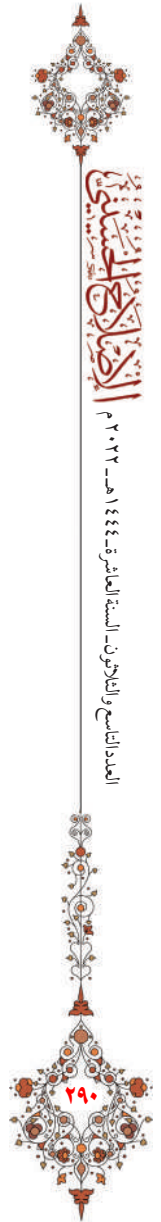


## Abstract

This study aims to explain the effects and results of the Ziyara of Imam al-Husayn (PBUH) that reinforce the sense of affiliation with him and his blessed path. This analysis is consequent to a presentation of how to perform Ziyara (visitation) as intended by the infallible Imams (PBUT). Namely, a visitation that produces such positive effects and results, given their role in salvaging the Islamic nation, and connecting it to its truthful leaders and role models, and achieving happiness in the two worlds.

This study adopts the analytical methodology, analyzes the reported texts, and investigates the results based on four topics. It also presents important recommendations, of which the most prominent are the necessity of ingraining and comprehending the meanings and values for which Imam al-Husayn (PBUH) sacrificed himself. Thus, making them accessible for anyone wishing to derive lessons from them. And to confront any attempt to distort the image of these values and principles or deviate from their concepts or applications. Other recommendations mention that it is necessary to establish institutions, centers, and educational processions. And to support responsible preachers capable of administrating the millions of visitors, who travel to visit Imam al-Husayn (PBUH), on a media, educational, and mobilizational level. These preachers must echo the brightness of his blessed uprising and lead the Islamic nation for which he sacrificed himself.

**Keywords:** Imam al-Husayn (PBUH), Ziyara, Karbala, feeling, belonging.



## المقدمة

خطَّ الإمام الحسين عليه السلام وسام المجد والكرامة والعزّ على جبين أتباعه ومناصريه مخطَّ القلادة على جيد الفتاة، ففاز متّبِعوه، ونجا مناصروه، وبنعمة الله تنعم المتممون لنهجه واهتدوا بهداه، فلم تكن دعوى الانتماء إليه كافية في تحقيق النصره وأتباعه الصادق، فلا بدّ لها - كغيرها من الدعاوى - من وسائل وطرائق لنيلها، ومن هذه الوسائل زيارة الإمام الحسين عليه السلام بصورتها التي أرادها المعصومون عليه السلام.

وهنا يرد التساؤل: كيف أرادوها عليه السلام؟ وكيف تشعّرنا هذه الشعيرة بالانتماء لنهجه؟

هذا ما حاولنا التطرّق إليه هنا في عدّة محاور، فتضمّن المحور الأوّل الحديث عن زيارة الإمام الحسين عليه السلام كما أرادها المعصومون عليه السلام، وتحدّث المحور الثاني عن كيفية كون تلك الزيارة تُعزّز الانتماء إليه عليه السلام، وبحث المحور الثالث عن أنّ الانتماء للإمام الحسين عليه السلام سبيل لتحقيق النجاة، وصولاً للمحور الرابع الذي شرح آثار زيارة الإمام الحسين عليه السلام على الزائر، التي تُعزّز حالة الانتماء للمولى عليه السلام ولنهضته المباركة.

## المحور الأوّل: زيارة الإمام الحسين عليه السلام كما أرادها المعصومون عليه السلام

وجّه أئمة أهل البيت عليه السلام شيعتهم نحو زيارة الإمام الحسين عليه السلام؛ لخدمة هدف كبير، وهو إبقاء العلاقة قوية وفاعلة بين الإسلام والفرد المسلم؛ لكيلا يتحوّل الإسلام إلى مجرد ممارسات وطقوس وأحكام ميّنة؛ وذلك بجعل الإنسان يستشعر الإمام الحسين عليه السلام ومبادئه السامية وقيمه الرفيعة، ويعيش كلّ ذلك في إحساسه وليس في فكره فقط؛ فإنّ الإمام الحسين عليه السلام مجموعة من المبادئ والقيم، فلا ينبغي أن نعرفه معرفة سطحية، بل هو العطاء اللامحدود، وهو الحرّية، والنقاء، وغيرها من المبادئ.



لذا؛ جاءت الشعائر الحسينية المقدّسة كي تنقل تلك المبادئ من صورة فكرية إلى صورة حسّية، لها أبعادها الروحية المختلفة والمتنوّعة، فأهدافها ليست دنيوية دنيئة، بل هي عبادة روحية وعمل يُراد به التقرب إلى الله تعالى، فلا بدّ أن توضع في إطارها الصحيح الذي رسمه المعصومون عليهم السلام؛ كي لا تغدو مجرد عمل تكريمي، وإنّما عمل جمعي يُراد به القرب من الله تبارك وتعالى، وهذا يُجَدّد صلة الزائر بالإسلام، ومعاودة الله تعالى على التمسك به، والحفاظ عليه، وتطبيق أحكامه وتكاليفه في حياته<sup>(١)</sup>.

وقد كان المعصومون عليهم السلام يُعلّمون شيعتهم زيارة الإمام الحسين عليه السلام، فكانوا قدوة لشيعتهم في ذلك، وأنّ أقدم ما نعرف من ذلك هو فعل الإمام زين العابدين عليه السلام<sup>(٢)</sup>، فأصل الزيارة مشروع وخطة عمل وضع أساسها المعصومون عليهم السلام؛ ليدور الناس حول قطبٍ لا يجدون صلة توصل إلى الله تعالى أقرب منه وأسرع.

فهذه الشعيرة لها دور عظيم في إحياء الروح الثورية الجهادية، وتحريك الحماس في النفوس المؤمنة بالله تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وآله ضدّ حكام الظلم والجور؛ ولهذا عمل الإمام زين العابدين عليه السلام على جعل هذه الثورة حيّة تمنح الناس طاقة ثورية لخوض التجربة في كلّ زمان ومكان.

وفي مقام الحديث عن الكيفية التي أرادها المعصومون عليهم السلام في زيارة الإمام الحسين عليه السلام، نرى من المناسب التطرّق إلى أهمّ آداب زيارته عليه السلام، والأعمال التي يُستحبّ الإتيان بها أثناء الزيارة، معتمدين في ذلك على ما أورده الشيخ عبّاس القمّي في كتابه (مفاتيح الجنان)، مع مراعاة جانب الاختصار:

**الأول:** أن يصوم الزائر ثلاثة أيّام متوالية قبل الخروج من بيته، ويغتسل في اليوم الثالث على ما أمر به الإمام الصادق عليه السلام صفوان في الرواية التي ينقلها الشيخ القمّي

(١) أنظر: شمس الدين، مهدي، ثورة الحسين في الوجدان الشعبي: ص ٦٠-٦٢.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٦٥.

عند عرضه الزيارة السابعة (زيارة وارث) من زيارات المولى أبي عبد الله عليه السلام، ونقل عن الشيخ محمد المشهدي في مقدمات زيارة العيدين أنه قال: «إذا أردت زيارته عليه السلام فصم ثلاثة أيام، واغتسل في اليوم الثالث، واجمع إليك أهلك وعيالك، وقل: اللهم إني أستودعك اليوم نفسي وأهلي ومالي وولدي وكل من كان مني بسبيل، الشاهد منهم والغائب. اللهم احفظنا بحفظ الإيمان واحفظ علينا، اللهم اجعلنا في حرزك، ولا تسلبنا نعمتك، ولا تغير ما بنا من نعمة وعافية، وزدنا من فضلك، إنا إليك راغبون. ثم اخرج من منزلك خاشعاً وأكثر من قول: لا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله. ومن تمجيد الله تعالى، والصلاة على النبي وآله صلوات الله عليهم، وامضِ عليك السكينة والوقار».

الثاني: أن يكون الزائر حزيناً مكروباً، فعن الصادق عليه السلام قال: «إذا زرت أبا عبد الله عليه السلام فزره وأنت حزين مكروب، شعث مغبر، جائع عطشان؛ فإن الحسين عليه السلام قُتل حزيناً مكروباً شعثاً مغبراً جائعاً عطشاناً، واسأله الحوائج وانصرف عنه، ولا تتخذهُ وطناً».

الثالث: ألا يكون زاده في سفر زيارة الإمام الحسين عليه السلام مملاً لذ وطاب من الغذاء، كاللحم المشوي والحلاوة، بل يغتذي بالخبز واللبن، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام في هذا الصدد: «بلغني أن قوماً إذا زاروا الحسين عليه السلام حملوا معهم السفرة فيها الجداء والأخبصة وأشباهه، ولو زاروا قبور آبائهم وأحبائهم ما حملوا معهم هذا».

الرابع: ممّا تُدب إليه في سفر زيارة الحسين عليه السلام هو التواضع والتذلل والتخاشع، والمشي مشي العبد الذليل، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من أتى قبر الحسين (صلوات الله وسلامه عليه) ماشياً كتب الله له بكل خطوة ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيئة، ورفع له ألف درجة. فإذا أتيت الفرات فاغتسل وعلّق نعليك وامش حافياً، وامش مشي العبد الذليل».

الخامس: أن يجتهد ما وسعه الاجتهاد في إعانة الزائر الرجل إذا شاهده وقد



تعب وأعياء المسير، فيهتمّ بشأنه، ويبلغه منزلاً يستريح فيه، وحذار من الاستخفاف به وعدم الاهتمام بشأنه.

السادس: عن الثقة الجليل محمد بن مسلم، عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، قال: «قلت له: إذا خرجنا إلى أبيك أفلسنا في حجّ؟ قال عليه السلام: بلى. قلت: فيلزمنا ما يلزم الحاجّ؟ قال عليه السلام: يلزمك حسن الصحبة لمن يصحبك، ويلزمك قلة الكلام إلا بخير، ويلزمك كثرة ذكر الله، ويلزمك نظافة الثياب، ويلزمك الغسل قبل أن تأتي الحير، ويلزمك الخشوع، وكثرة الصلاة، والصلاة على محمد وآل محمد، ويلزمك التحفّظ عمّا لا ينبغي لك، ويلزمك أن تغضي بصرك من (المحرّمات والمشتبهات)، ويلزمك أن تعود على أهل الحاجة من إخوانك إذا رأيت منقطعاً، والمواساة (أن تناصفه نفقتك)، ويلزمك التقية التي قوام دينك بها، والورع عمّا تُهيت عنه، وترك الخصومة، وكثرة الأيمان والجدال الذي فيه الأيمان، فإذا فعلت ذلك تمّ حجّك وعمرتك، واستوجبت من الذي طلبت ما عنده بنفقتك، واغترابك عن أهلك، ورغبتك فيما رغبت أن تنصرف بالمغفرة والرحمة والرضوان».

السابع: في حديث أبي حمزة الثمالي، عن الإمام الصادق عليه السلام في زيارة الحسين عليه السلام أنّه قال: «إذا بلغت نينوى فحطّ رحلك هناك، ولا تدّهن، ولا تكتحل، ولا تأكل اللحم ما أقمت فيه».

الثامن: أن يغتسل بماء الفرات، فالروايات في فضله كثيرة، منها ما رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «مَن اغتسل بماء الفرات وزار قبر الحسين عليه السلام كان كيوم ولدته أمّه صفرًا من الذنوب ولو اقترفها كبائر».

التاسع: أن يدخل الحائر المقدّس من الباب الشرقي على ما أمر به الإمام الصادق عليه السلام يوسف الكناسي.

العاشر: ما رواه ابن قولويه عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال لمفضّل بن عمر: «يا مفضّل، إذا بلغت قبر الحسين (صلوات الله وسلامه عليه) فقف على باب الروضة وقل

هذه الكلمات؛ فإنّ لك بكلّ كلمة نصيباً من رحمة الله تعالى: السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله...».

الحادي عشر: روي عن أبي سعيد المدائني أنّه قال: أتيت الصادق عليه السلام فسألته: أأذهب إلى زيارة قبر الحسين عليه السلام؟ فأجاب: «بلى، اذهب إلى زيارة قبر الحسين عليه السلام ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، أطيب الطيّين، وأطهر الطاهرين، وأحسن المحسنين. فإذا زرته فسبح عند رأسه بتسبيح أمير المؤمنين عليه السلام ألف مرّة، وسبح عند رجليه بتسبيح الزهراء عليه السلام ألف مرّة، ثم صلّ عنده ركعتين تقرأ فيهما سورة يس والرحمن، فإذا فعلت ذلك كان لك أجر عظيم...».

الثاني عشر: أن يُصليّ الفرائض والنوافل عند قبر الإمام الحسين عليه السلام؛ فإنّ الصلاة عنده مقبولة.

الثالث عشر: اعلم أن أهمّ الأعمال في روضة الإمام الحسين عليه السلام الطاهرة هو الدعاء؛ فإنّ إجابة الدعاء تحت قبّته السامية هي ممّا خصّ الله بها الحسين عليه السلام عوضاً عن الشهادة، فعلى الزائر أن يغتنم ذلك ولا يتوانى في التضرّع إلى الله تعالى، والإنابة والتوبة إليه وعرض الحوائج عليه.

الرابع عشر: من أعمال حرم الإمام الحسين عليه السلام الصلاة عليه، فقد روي أنّك تقف خلف القبر عند كتفه الشريف وتُصليّ على النبي صلى الله عليه وآله وعلى الحسين صلوات الله عليه.

الخامس عشر: من أعمال هذه الروضة المنوّرة دعاء المظلوم على الظالم، أي ينبغي لمن بغى عليه باغٍ أن يدعو بهذا الدعاء في هذا الحرم الشريف، وهو ما أورده شيخ الطائفة رحمه الله في (مصباح المتجّد) في أعمال الجمعة، قال: ويُسْتَحَبُّ أن يدعو بدعاء المظلوم عند قبر أبي عبد الله عليه السلام... ثم تنكبّ على القبر وتقول: «مولاي، إمامي مظلوم استعدي على ظالمه النصر النصر...» حتى ينقطع النفس.

السادس عشر: من أعمال ذلك الحرم الشريف الدعاء الذي رواه ابن فهد رحمه الله





في (عدة الداعي)، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «مَنْ كان له إلى الله تعالى حاجة، فليقف عند رأس الحسين عليه السلام ويقول: يا أبا عبد الله، أشهد أنك تشهد مقامي وتسمع كلامي، وأنت حيٌّ عند ربِّك تُرزق، فاسأل ربِّك وربِّي في قضاء حوائجي»، فإنه يقضي حاجته إن شاء الله تعالى.

السابع عشر: من جملة الأعمال في ذلك الحرم الشريف صلاة ركعتين عند الرأس المقدس بسورة (الرحمن) وسورة (تبارك).

الثامن عشر: روى الشيخ الأجل الكامل أبو القاسم جعفر بن قولويه القمي رحمه الله، عن الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا زرتم أبا عبد الله الحسين عليه السلام فالزموا الصمت إلّا عن الخير، وإنّ ملائكة الليل والنهار من الحفظة يحضرون عند الملائكة الذين هم في الحائر ويصافحونهم، فلا يجيبهم ملائكة الحائر من شدة البكاء، وهم أبداً يكون ويندبون، لا يفترون إلّا عند الزوال وعند طلوع الفجر، فالحفظة ينتظرون حين يحين الظهر، أو يطلع الفجر فيكلمونهم ويسألونهم عن أمور من السماء، وهم لا يمسكون عن الدعاء والبكاء فيما بين هاتين الفترتين».

التاسع عشر: قال السيّد ابن طاووس رحمه الله: يُستحبّ للمرء إذا فرغ من زيارته عليه السلام وأراد الخروج من الروضة المقدسة أن ينكبّ على الضريح ويقبله ويقول: «السلام عليك يا مولاي، السلام عليك يا حجة الله، السلام عليك يا صفوة الله، السلام عليك يا خالصة الله، السلام عليك يا قتيل الظماء، السلام عليك يا غريب الغرباء، السلام عليك سلام مودّع لا سئم ولا قال، فإن أمضٍ فلا عن ملالة، وإن أقم فلا عن سوء ظنٍّ بما وعد الله الصابرين، لا جعله الله آخر العهد مني لزيارتك، ورزقني الله العود إلى مشهدك، والمقام بفنائك، والقيام في حرمك، وإياه أسأل أن يسعدني بكم، ويجعلني معكم في الدنيا والآخرة»<sup>(١)</sup>.

(١) للوقوف على أكثر من التفاصيل التي ذكرناها في هذا الشأن، أنظر: القمي، الشيخ عباس، مفاتيح الجنان: ص ٦٠٩-٦٢١، باب الزيارات، آداب زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام.



## المحور الثاني: زيارة الإمام الحسين عليه السلام وتعزيز الانتماء إليه

إنَّ الإمام الحسين عليه السلام خالداً في ضمير الأجيال؛ لذا عندما نريد أن نتزوّد من سفرته الروحية عند قيامنا بزيارته عليه السلام، علينا أن ننهل من نهضته وما تحمل من القيم العظيمة والمبادئ السامية ومن العبر، ففيها ما يجب على محبيه وأتباعه الاستنارة به ليس في العشرة الأولى من المحرم أو الأربعين يوماً التي بعدها، بل يجب أن يكون نصب أعينهم مدى الحياة، فالإمام مثال حيّ، وقدوة يهتدي بها الأجيال إلى ساحل النجاة، وهو سبيل السلامة، وسلوة المنكوبين والثكالي، ومعلّم الإنسانية في مواجهة الظلم والكفر والنفاق.

فالإمام الحسين عليه السلام هو الذي حفظ هذا الدين، ولولاه لضاعت جهود النبي صلى الله عليه وآله، وانتفى غرض البعثة، فكان الإمام الحسين عليه السلام قرآناً ناطقاً يُستلهم منه كلّ المعاني لمواكبة الحياة مع الحفاظ على المبادئ.

إنّا نتعلّم من الحسين عليه السلام ونعترف من قصّاه كلّ عام في شهري محرم وصفر، ونتذوّق ثمرات بساينه الوارفة، فهل تنتهي تلك الصور؟

كلّا، إنّها صور باقية ودائمة بدوام جذوة صاحبها، وما علينا إلّا أن نستقي وننهل منها على الدوام، وحينها سندرك أنّ الإمام الحسين عليه السلام عطاء لا ينفد، وبحر لا ساحل له ولا قعر.

وهنا يمكننا أن نضع أيدينا على بعض جوانب العظمة في نهضته المباركة، لنكون من أتباعه وممن يشعر بفخر الانتماء لذلك الإمام العظيم عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام، ومن هذه الجوانب المشرقة:

١. إنّهُ عليه السلام انتخب الأصلح لحمل أمر الله عزّ وجلّ ورعاية الأمة، وحارب - مضحياً بكلّ ما يملك - الظالم المستكبر السارق، وهذا ما يجب على الفرد المحبّ للإمام عليه السلام، أي ينبغي له انتخاب الأصلح والأكفأ لبلده، بعيداً عن الشعارات والمسّميات الزائفة والانتماآت والولاءات الخارجية.



٢. إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مثال للأسرة القويمة، تلك الأسرة التي تحبّ الخير لأفرادها ولمن حولها، وتؤدّي حقوقها بأكمل وجه، حقوق الأب والأمّ، حقوق الأخ والأخت، والزوجة والأولاد، وكيف يكون الفرد منها هو السند والظهر والأساس الداعم لها. وهذا ما جسّدته السيّدة زينب عَلَيْهِ السَّلَامُ في مشوارها مع الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وبعد استشهادها، فقد كانت مثال المرأة المتكاملة التي تحبّ، وتعطف، وتصبر، وتحترم، وتؤدّي ما عليها بأمانة وإخلاص.

فالفرد - في نظر الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ - هو مَنْ يكون للأولاد عوناً، وللبنات سنداً، وللزوجات قوّة، وللأمّهات والآباء محبّاً ومطيعاً؛ فالإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ أغدق الحبّ والأمان على كلّ مَنْ حوله حتى الأعداء نالهم منه نصيب العطف والحبّ والدموع. ٣. إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مثل قيم التسامح والحبّ بأبهى الصور، فقد مثل قيم الحبّ والتضحية والإيثار وسط مجتمع أصحابه، وقد بان ذلك جليّاً ليلة عاشوراء وما سبقها، فلم ييخل بنصحه أعداءه بالرغم من علمه بأنهم قاتلوه، وأنهم لن يرحموا أصحابه ولا عياله من بعده. وقد ذكر أنّه عَلَيْهِ السَّلَامُ بكى على أعدائه، وذلك وإن كان يحتاج إلى مزيد من التحقيق التاريخي، لكن يمكن تأويله بأنّه عَلَيْهِ السَّلَامُ إنّما بكى عليهم؛ لعدم انتفاعهم من فيض وجوده بينهم وهدايتهم لهم، وأنّه سيكون سبباً في دخولهم النار، فالإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يدعو لأعدائه الذين يحاربونه بالمغفرة. لذا؛ فلنزرع في قلوبنا مسامحة الآخرين، وأن نعفو فعلاً وقولاً.

بقي الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وحيداً، تارةً ينظر إلى مخيم النساء؛ إذ بعد قليل سيصرن سبايا وهن بنات رسول الله ﷺ، وأخرى ينظر إلى القوم الذين أحاطوا به استعداداً لقتله، وهو يبكي؛ لأنّه يعلم أنّ محاربيه وقتليه يدخلون النار بسبب ذلك. وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ يعتذر للمسيئين قائلاً: «وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم». فهل رأيتم إنساناً يبكي على عدوّه الذي يظلمه؟! إنّ هذا لم يكن إلّا من الأنبياء<sup>(١)</sup>.

(١) أنظر: عبد المنعم حسن، بنور فاطمة اهتديت: ص ٢٠١.

٤. إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَلْقَى الْحَبَّةَ؛ كِي لَا يَبْقَى أَحَدٌ عَلَى جَهَالَةٍ، أَوْ يَدَّعِي الْبَعْضَ بِأَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ الَّذِي فِي كَرْبَلَاءَ هُوَ الْإِمَامُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَنَادَاهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (أَلَا مَنْ نَاصِرٌ يَنْصُرُنَا، أَلَا مَنْ مَغِيثٌ يُغِيثُنَا)، نَدَاءٌ خَالٍ مِنَ التَّكَبُّرِ، وَيَصْدَعُ الْقُلُوبَ، فَهُوَ نَدَاءٌ لِلْجَمِيعِ كِي يَكُونُوا عَلَى وَعْيٍ وَبَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ قَبْلَ الْإِقْدَامِ عَلَى مَقَاتِلَتِهِ، فَضْلاً عَنْ كَوْنِهِ نَدَاءً يَسْتَنْهَضُ الرَّحْمَةَ وَالْمَوَدَّةَ لِدَوِي الْقُرْبَى - وَهُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي نَفُوسِ أَعْدَائِهِمْ؛ وَطَلَبَ الْمُسَاعَدَةَ بِهَذَا النَّدَاءِ قَدْ يَزْرَعُ الثِّقَةَ وَالْمَحَبَّةَ فِي نَفْسٍ مَنْ تَطْلُبُ مِنْهُ ذَلِكَ وَتَسْمَعُهُ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ.

٥. إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَثَلُ حُبِّ اللَّهِ ﷻ قَوْلًا وَفِعْلًا، فَالْإِمَامُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُحِبُّ الدُّعَاءَ وَالصَّلَاةَ، وَجَسَّدَ هَذَا الْحُبَّ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، فِي آخِرِ لَحْظَةٍ مِنْ حَيَاتِهِ الشَّرِيفَةِ، حَيْثُ كَانَ يُلَهِّجُ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ أَقَامَ الصَّلَاةَ بِأَصْحَابِهِ فِي أَحْلَكِ الْأَوْقَاتِ وَأَشَدِّهَا.

٦. إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَافِعٌ عَنْ دِينِهِ وَعَقِيدَتِهِ، وَخَيْرُ شَاهِدٍ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي خُرُوجِهِ كَانَ أَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَنَاهِيًا عَنِ الْمُنْكَرِ، وَمُرْتَدِيًا رَدَاءَ الْحَقِّ، وَهَذَا مَا صَرَّحَ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ: «وَأَتَى لَمْ أَخْرَجْ أَشْرًا وَلَا بَطْرًا، وَلَا مَفْسَدًا وَلَا ظُلْمًا، وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لَطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِّي ﷺ»<sup>(١)</sup>. فَمِنْهُمْ نَسْتَلْهِمُ الْعَزِيمَةَ عَلَى قَوْلِ الْحَقِّ وَإِنْ كَرِهَ أَهْلُ الْمُنْكَرِ وَالظَّالِمُونَ ذَلِكَ.

٧. إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيَّنَّ الْحَيَاةَ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَعِيشَهَا الْمُؤْمِنُ، وَاخْتَارَهَا هُوَ لِنَفْسِهِ، بِقَوْلِهِ: «إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ مِنَ الْأَمْرِ مَا تَرُونَ، وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَغَيَّرَتْ وَتَنَكَّرَتْ وَأَدْبَرَ مَعْرُوفُهَا وَاسْتَمَرَّتْ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صَبَابَةٌ كَصَبَابَةِ الْإِنَاءِ، وَإِلَّا خَسِيسٌ عَيْشٌ كَالْكَلَأِ الْوَبِيلِ. أَلَا تَرُونَ أَنَّ الْحَقَّ لَا يُعْمَلُ بِهِ، وَالْبَاطِلُ لَا يَتَنَاهَى عَنْهُ، لِيَرْغَبَ الْمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ اللَّهِ؛ فَإِنِّي لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً، وَالْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرْمًا»<sup>(٢)</sup>. فَالْعَيْشُ الَّذِي يَرْغَبُ بِهِ الْمُؤْمِنُ هُوَ الْعَيْشُ بَعِزَّةً وَإِبَاءً وَكِرَامَةً، وَعَدَمُ التَّدَلُّلِ لِلظَّالِمِينَ.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٩.

(٢) المصدر السابق: ص ١٩٢.

٨. إِنَّهُ ﷺ يَحِبُّ الْفُقَرَاءَ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُسْتَضْعِفِينَ، وَقَدْ جَسَّدَ الْإِمَامُ ﷺ حُبَّ الْعَطَاءِ وَالْمُسَاعَدَةِ وَمَنَاصِرَةَ الضَّعِيفِ.

٩. إِنَّهُ ﷺ أَعْطَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ شَيْءٍ وَبَلَأَ حُدُودَهُ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ شَيْءٍ، فَقَدْ صَبَرَ الْإِمَامُ ﷺ عَلَى الْبَلَاءِ، وَقَدَّمَ التَّضَحِّيَّاتِ الَّتِي لَمْ وَلَنْ يَشْهَدَ التَّارِيخُ بِمِثْلِهَا؛ حُبًّا بِخَالِقِهِ وَعِبُودِيَّةً لَهُ؛ لِذَلِكَ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ عَطَاؤُنَا لِلْحُسَيْنِ ﷺ بِأَبْلِ حُدُودٍ حَتَّى بِمَسْتَوَى الْحُبِّ وَالْوَلَاءِ وَالتَّضَحِّيَةِ.

١٠. إِنَّهُ ﷺ الرَّمْزُ السَّرْمَدِيُّ فِي انْتِصَارِ الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّرَ فِي الْكَوْنِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ صِرَاحٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَأَنَّ الْأَيَّامَ تُتَدَاوَلُ بَيْنَ النَّاسِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾<sup>(١)</sup>، وَجَعَلَ عَزَّ وَجَلَّ لِكُلِّ شَيْءٍ وَلِكُلِّ نَصْرٍ وَلِكُلِّ غَلْبَةٍ سَبَبًا، فَمَنْ أَخَذَ بِأَسْبَابِ النِّصْرِ وَالْغَلْبَةِ فَازَ بِهَا. وَإِنَّ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي لَهَا أَثَرٌ فِي النِّصْرِ وَالهَزِيمَةِ، وَفِي التَّقَدُّمِ وَالتَّأَخُّرِ، وَفِي التَّحْضُرِ وَالتَّخَلُّفِ عَلَى مَرِّ التَّارِيخِ، الرَّمُوزَ وَالْأَشْخَاصَ، فَالنَّصْرُ لَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ دُونَ أَنْ يَحْمِلَهُ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ تَعَالَى عَلَيْهِ، وَعَلَى قَدْرِ الْبَذْلِ وَالتَّضَحِّيَةِ تَكُونُ النَتِيجَةُ.

ولهذا؛ أَوَّلَى الْقُرْآنُ الرَّمُوزَ وَالْأَشْخَاصَ عَنَاءً وَاهْتِمَامًا خَاصًّا، سَوَاءً مَنْ كَانَ لَهُمْ أَثَرٌ إِيْجَابِيٌّ كَالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَهُ﴾<sup>(٢)</sup>، أَمْ الَّذِينَ لَهُمْ أَثَرٌ سَلْبِيٌّ كَرُؤُوسِ الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ.

وَمِنْ هَذَا الْمُنْطَلَقِ؛ نَرَى أَنَّ فِي كُلِّ زَمَانٍ يَوْجَدُ صِرَاحٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، فَكُلَّمَا وَجَدَ اتِّجَاهٌ يُمَثِّلُ زَيْدًا وَأَعْوَانَهُ وَظَلَمَهُمْ، سَنَجِدُ فِي الْمَقَابِلِ مَنْ يُمَثِّلُ الْحُسَيْنَ ﷺ وَأَصْحَابَهُ رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ؛ فَالْحُسَيْنَ ﷺ رَمْزُ سَرْمَدِيٍّ لِلْأَجْيَالِ، يَنْقَلِبُ إِلَى بَرِّ الْأَمَانِ وَإِلَى رِضَا اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. فَنَجِدُ رِجَالَ الْحَقِّ عَلَى مَرِّ السِّنِينَ هُمُ الَّذِينَ

(١) آل عمران: الآية ١٤٠.

(٢) الأنعام: الآية ٩٠.

انتهجوا نهج الإمام الحسين عليه السلام، وهم المدافعون عن أوطانهم وكرامتهم وعقيدتهم، فقد جمع الإمام الحسين عليه السلام في شخصيته وإبائه وشجاعته وإقدامه وصبره وتحمله، حياة أصحاب الكساء الخمسة عليهم السلام، وهم خير خلق الله.

### المحور الثالث: الانتماء للحسين عليه السلام سبيل لتحقيق النجاة

إنّ الانتماء لسيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام ليس بالقول ولقلقة لسان فقط، وكذلك الانتماء لكرباء ليس ادعاءً فارغاً من المحتوى والمضمون، بل إنه تبين لرسالة وتحمل لمسؤولية وولاء لمنهج. فعندما ننتمي للحسين بن علي عليه السلام ويحكمنا طاغوت، فهذا يعني أنّ هنالك خلافاً كبيراً في الفهم والوعي والإدراك لمعنى الولاء والانتماء، وأنّ هنالك إشكالاً في الاستيعاب، فكيف يمكن أن يجتمع الخير والشر في آن واحد<sup>(١)</sup>؟ قال الله عز وجل: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

ونجد في روايات أهل البيت عليهم السلام الواردة بشأن زيارة الإمام الحسين عليه السلام تقييد الجزاء بقيد، وهو عبارة (عارفاً بحقه) كما في الرواية التي ورد فيها: «حدثنا حمزة بن محمد العلوي، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه إبراهيم بن هاشم، عن محمد بن أبي عمير، عن عُيينة بن بَاز القصب، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: مَنْ أتى الحسين عليه السلام عارفاً بحقه كتب الله تعالى له في أعلى عليين»<sup>(٣)</sup>.

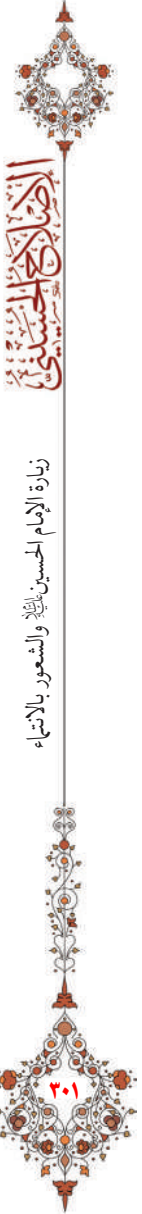
فكيف نعرف حق الإمام الحسين عليه السلام؟ فإنّ أصل الحبّ هو المعرفة، كما أنّ أصل الولاء هو المعرفة أيضاً، ولذلك يجب أولاً أن نعرف الإمام الحسين عليه السلام لنواليه ونحبه وننتهي إلى نهجه الرسالي بصدق ووعي وإخلاص؛ لتحقيق النجاة، ولا بدّ لذلك من شروط تتحقّق بها المعرفة، وهي:

(١) أنظر: ضوابط الانتماء لسيد الشهداء

<http://www.alshirazi.com/world/article/2012/192.htm>.

(٢) الأحزاب: الآية ٤.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص ٨٥.



## أولاً: فهم الزيارة

إنّ لزيارة الإمام الحسين عليه السلام معنىً عظيماً، يقف عليه الزائر من خلال فهم ما قام به الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطفّ الخالدة، فقد فتح عليه السلام باباً للجهاد سُمّي بـ: (الجهاد العاطفي) لم يفتح من قبل لا من قبل نبي ولا معصوم قبله؛ فإنّ الإمام الحسين عليه السلام فتحه وأصله بتضحياته في كربلاء. وعلى هذا المستوى يجب أن نفهم أنّه عليه السلام يسعى إلى تحقيق هدف يتناسب مع حجم هذه التضحيات، وإلاّ ليس من المعقول أن يخرج بعياله وأهل بيته، ويقدم بعضهم قرابين في سبيل الله تعالى، ويعرض البعض الآخر منهم للسبي يُنقلون من بلد إلى بلد.

لذا؛ يجب أن نبحث عن الهدف الذي كان يروم الإمام الحسين عليه السلام إلى تحقيقه بخروجه على التيار المادّي المتمثّل ببني أمية، فإنّ ذلك المجتمع كان بعيداً - كلّ البعد - عن التعاليم الإلهية، غير مستسيغ لها؛ وذلك لأنّ ركائز الدين أو الإسلام الثلاث لم تكن متحقّقة فيه، وهي:

الأولى: الدستور (القرآن الكريم).

الثانية: القائد الإلهي الذي يستنبط القوانين من المادّة الدستورية.

الثالثة: قناعة الأمّة بالدستور، فإذا لم تحصل وتحقّق لدى الأمّة القناعة لا يطبّق الدستور.

فمسألة تطبيق القانون الإلهي تنطلق من داخل وجدان المسلم، فمتى ما حصلت له القناعة من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها طبّق الدستور، لكن إن انتفت وانعدمت تلك القناعة فيبقى القائد عليه السلام ينتظرنا، فمتى ما تحقّقت عند الناس قناعة تامّة بأنّه هو المنقذ والمخلص للبشرية من الأزمات والجور والظلم، عندها يأذن الله عزّ وجلّ له بالخروج لتطبيق الدستور الإلهي.

فالمجتمع في زمن الإمام الحسين عليه السلام لم تكن لديه قناعة من جميع النواحي المتقدّمة، فأراد الإمام عليه السلام أن يُقدّم الأصلح وينكر على السلطة أفعالها حتى وإن كانت نتيجة

الإصلاح هي سفك دمه إذا لم يبايع يزيد عليه لعنة الله، ومن المستحيل أن يبقى هناك امتداد للإصلاح في حال بايع له.

إنَّ الإمام الحسين عليه السلام خرج من الدنيا جسداً، لكنَّه بقي فيها روحاً ومنهجاً؛ لذلك اختار الله تعالى له قتلة لم يُقتل بها أحداً من بعده، قال عليه السلام: «وخيَّر لي مصرع أنا لاقيه»<sup>(١)</sup>، فقد اختار عليه السلام لقتله طريقة يستطيع من خلالها تحقيق أهدافه؛ إذ حقَّق عليه السلام أهدافه بعد مقتله، وهو عليه السلام بهذه التضحيات دخل إلى قلوب جميع الناس على مختلف أهوائهم وأصنافهم ومعتقداتهم، ولم يُحدِّد بالدين أو المذهب، فقد حرَّك بنهضته المباركة الجانب الإنساني دون أن يُحدِّد ذلك بدين معيَّن أو مذهب خاص.

إنَّ كثيراً من الناس دخل الإسلام من خلال الركب الحسيني، فقد استخدم الإمام عليه السلام هذا اللون من الجهاد، الذي حول به السلاح إلى دمعة تُسقط عروش الظالمين، فهي بمثابة شفرة تذيب رقاب الطغاة شريطة أن تكون هذه الدمعة طريقاً إلى الوعي وليس سبباً لإلغائه.

نحن نعلم أنَّ الدمعة لا يمكن أن تحصل وتُسَدر إلا بعد أن تتأثر النفس وتتعاطف وتتفاعل مع الحدث، فحبَّ الإمام الحسين عليه السلام يتطلَّب اجتناب التيار المادِّي؛ لذا كان الإمام عليه السلام - وهو العارف بمدخلات النفس - يستخدم كلَّ وسيلة توصل إلى هذا الغرض، وهكذا أراد الأئمة المعصومون عليهم السلام منَّا أن نعرف الإمام الحسين عليه السلام عند زيارته.

## ثانياً: الإيمان بأنَّ قضية الإمام الحسين عليه السلام مشروع إنساني عالمي

ينبغي فهم مشروع الإمام الحسين عليه السلام بأنَّه مشروع عالمي للبشرية جمعاء، لا يقتصر على فئة معيَّنة، ولا يختصَّ بطائفة من الطوائف، فليس هو مشروعاً شيعياً أو عربياً أو إسلامياً فقط، وإنَّما مشروع كبير كمشروع جدِّه رسول الله ﷺ حينما قال:

(١) ابن نهار الحلي، جعفر بن هبة الله، مثير الأحرار: ص ٤١.



«حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله مَنْ أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط»<sup>(١)</sup>. وحسب المقولة المشهور بين المؤمنين: «الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء»، يكون مشروعه عليه السلام مشروع إصلاح عالمي.

### ثالثاً: دراسة أهداف الإمام الحسين عليه السلام من خلال المعاني المكتنزة في زيارته

١. حثّ الناس على استلھام روح البطولة والتصميم للحفاظ على المبدأ.
٢. تعلّم الصبر على النوائب، وأنّ كلّ ما يُقدّم لله تعالى وللهدف الإلهي هو هين ورخيص بالنسبة له. فالإمام الحسين عليه السلام سيّد شباب أهل الجنّة وريحانة رسول الله صلّى الله عليه وآله، وقد قدّم تلك التضحيات واعتبرها قليلة بالقياس لعظمة الله تعالى؛ لذلك كلّ ما نقدّمه له عليه السلام فهو قليل.
٣. التحدّي الواضح للحكم المادّي والطاغوتي إلى قيام الساعة، وإشعاره بأنّ الإمام الحسين عليه السلام خالد رغم أنوف الطغاة، ويعزز ذلك نصرتنا له وانتمائنا إليه. أمّا الهدف الذي يسعى إليه الأعداء - وهو إبادة الشريعة المحمدية - فسنواجهه مهما كانت التضحيات دفاعاً عن هذه الشريعة المقدّسة.
٤. خلق روح الوحدة بين أتباع أهل البيت عليهم السلام على مختلف بلدانهم ومدنهم وتباعدها، وهذا الاجتماع يولّد إحباطاً للتيار المادّي، ويشعره في داخله بالفشل، وكلّما ازداد التجاذب وقويت الأواصر وكبرت الوحدة بينهم، كلّما ازداد سرور الإمام الحسين عليه السلام وآله وأتباعهم، ويكون هذا السرور مساوياً للألم والفشل الذي يُحدثه زائر الحسين بالتيار المادّي المعادي للقيم والمبادئ الإنسانية.
٥. إنّ هذه المراسم تُساهم في دخول غير المسلمين في الإسلام؛ لأنّهم عندما يرون هذه الملايين من الناس يشرعون بالتساؤل عن مبادئ الحسين عليه السلام ومعطيات نهضته، فلا بدّ أن يكون الجواب بدرجة من الوعي يفهم السائل بأنّ الحسين عليه السلام

(١) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي: ج ٢، ص ٣٠٧.



مشعلاً لكلّ الناس، ومن مصاديق ذلك قول الكاتب المسيحي انطوان بارا: إنَّ شعيرة المشي على الأقدام إلى قبر الإمام الحسين عليه السلام تطهير للنفوس، وتذويب للفوارق الطبقية كما هي شعيرة الحج<sup>(١)</sup>. وأجل ما قاله عن الإمام الحسين عليه السلام: «لو كان الحسين منّا لنشرنا له في كلّ أرض راية، ولأقمنا له في كلّ أرض منبراً، ولدعونا الناس إلى المسيحية باسم الحسين»<sup>(٢)</sup>.

#### رابعاً: زيارة الإمام الحسين عليه السلام عبادة

ينبغي لنا أن نعرف بأن زيارة الإمام الحسين عليه السلام هي عبادة لله تعالى حال الآداب الإسلامية الأخرى التي ندب الشرع إليها وحثّ على فعلها؛ فإنّ العبادات تتفاوت من حيث الأهمية والأثر، فالمستحبات ليست على درجة واحدة من الأهمية، فبعضها قد يكون أهمّ من الواجبات في ظرف ما.

وزيارة الإمام الحسين عليه السلام من هذا القبيل؛ فهي تنحصر في صورة ما يُسمّيه علماء الأصول (إنّ ملاك المستحبّ أهمّ من ملاك الواجب)، كما لو كانت زيارة الإمام عليه السلام في وقت خاصّ فيها إعزاز للدين وفات معها وقت عمل واجب؛ لذا نجد الكثير من الناس في مثل هذا الظرف يترك عمله ويتوجّه للخدمة الحسينية والزيارة، فهذا أحد ملاكات تقديم الزيارة على غيرها؛ ولهذا فرضت الروايات الشريفة الزيارة على كلّ من أقرّ للإمام الحسين عليه السلام بالإمامة، وهذا شعور للزائر بالانتماء له عليه السلام، فعن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «... وإتيانه مفترض على كلّ مؤمن يقرّ للحسين بالإمامة من الله»<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: كتابات في الميزان، الكاتب انطوان بارا مع شخصيات مهمّة من الكويت يشاركون في الزحف المليوني إلى كربلاء.

<https://www.kitabat.info/subject.php>.

(٢) قالوا في الحسين:

<https://ashbouraa.almaaref.org/maqalet/kalo.htm>.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٨٤.



## المحور الرابع: دور آثار زيارة الحسين عليه السلام في تعزيز الانتماء إليه

إنّ لزيارة الحسين عليه السلام آثاراً عديدة على الزائر في الدنيا والآخرة، وعلى كافّة الأصعدة النفسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية، وسوف نسلّط الضوء على ما يتجلّى منه دور واضح في تقوية الارتباط به عليه السلام، وتعزيز الشعور بالانتماء إليه، مستنديين في ذلك إلى كلمات الأئمة المعصومين عليهم السلام في المقام:

### أولاً: الأثر العرفاني

وهو الانجذاب نحو معدن القدس والطهارة؛ إذ يقول أمير المؤمنين عليه السلام في المناجاة الشعبانية: «... حتى تحرق أبصار القلوب حجب النور، فتصل إلى معدن العظمة، وتصير أرواحنا معلقة بعزّ قدسك»<sup>(١)</sup>. وهو أن تنجذب إلى الله عزّ وجلّ، فلا تفكّر في غيره، ولا يشغل بالك شيء إلاّ رضاه، فتترك الدنيا وزخرفها، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما رأيت شيئاً إلاّ ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه»<sup>(٢)</sup>.

فالانجذاب إلى الله هو الأثر العرفاني للعبادة الناتجة عن معرفة، فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «المتعبّد على غير فقه كحمار الطاحونة يدور ولا يبرح...»<sup>(٣)</sup>. وزيارة الإمام الحسين عليه السلام عبادة وشعيرة للوصول إلى قرب الله تبارك وتعالى، فهو عليه السلام المعصوم الذي فتح باباً أسماه الجهاد العاطفي - كما ذكرنا سابقاً - في تفعيل الدفعة وتحويلها إلى سلاح ضدّ الأعداء، وأنّ أشدّ الأعداء هو النفس الأمّارة بالسوء، كما في قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك»<sup>(٤)</sup>.

إنّ هذا اللون من الجهاد أفضل ما يرقّق القلوب ويلينّها، فقد روي في الحديث

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ٢، ص ٦٨٧.

(٢) القبانجي، السيّد حسن، مسند الإمام علي عليه السلام: ج ١، ص ١٥٠.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١، ص ٢٠٨.

(٤) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٨٤٨.

عنه ﷺ وقد سُئِلَ: أين الله؟ فأجاب: «عند المنكسرة قلوبهم»<sup>(١)</sup>. وهذا ما تحقّقه زيارة الإمام الحسين عليه السلام؛ حيث يُكتب الزائر في أعلى عليّين كما ورد في الرواية عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «مَنْ أتى الحسين عليه السلام عارفاً بحقّه كتب الله له في أعلى عليّين»<sup>(٢)</sup>.

## ثانياً: الأثر السلوكي

زيارة الإمام الحسين عليه السلام طريق للتوبة، وكلّ إنسان يحتاج لها، ولكن كيف تتحقّق التوبة؟ وكيف نصل إليها؟

الإجابة عن ذلك في قول أمير المؤمنين عليه السلام: «أن تُذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية»<sup>(٣)</sup>. ومَنْ تذوّق ألم الطاعة وصل إلى التوبة؛ ولذا ورد في الحديث القدسي: «لأتّين المذنبين أحبّ إليّ من زجل المسبّحين»<sup>(٤)</sup>.

وفي بعض الأوقات تتحوّل الذنوب التي اقترفها الإنسان بعد الاستغفار إلى سلّم للتكامل وإلى منصّة انطلاق إلى عوالم أخرى؛ وذلك لأنّ هذا الإنسان الذي عاد وعنده ذنوب يصبح عنده حالة من الخجل من الله تعالى، وهذه الحالة لا تُقدّر بثمن؛ ومن هنا ورد أنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام تمحو الذنوب والمعاصي وتحطّتها، ولكن بشروطها، فقد ورد في الرواية عن أبي عبد الله عليه السلام في زيارة الحسين عليه السلام مخاطباً معاوية بن وهب: «يا معاوية، لا تدع زيارة قبر الحسين... أما تُحبّ أن تكون ممّن ينقلب بالمغفرة لما مضى، ويُغفر لك ذنوب سبعين سنة؟ أما تُحبّ أن تكون ممّن يخرج من الدنيا وليس عليه ذنب يُتبع به؟ أما تُحبّ أن تكون غداً ممّن يُصافحه رسول الله ﷺ؟»<sup>(٥)</sup>.

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال أيضاً: «إنّ الرجل ليخرج إلى قبر الحسين عليه السلام

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ١٥٧، ح ٣.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص ٨٥.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٤٣٠.

(٤) الآلوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني: ج ١٥، ص ٤١٩.

(٥) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١١٧.



فله إذا خرج من أهله بأول خطوة مغفرة ذنوبه، ثم لم يزل يُقدس بكل خطوة حتى يأتيه، فإذا أتاه نجاه الله تعالى فقال: عبدي سلني أعطك، ادعني أجبك، اطلب مني أعطك، سلني حاجة أقضها لك. قال: وقال أبو عبد الله عليه السلام: وحق على الله أن يعطي ما بذل<sup>(١)</sup>. وعنه عليه السلام كذلك: «من أراد أن يكون في كرامة الله يوم القيامة، وفي شفاعة محمد صلى الله عليه وآله، فليكن للحسين زائراً ينال من الله أفضل الكرامة وحسن الثواب، ولا يسأله عن ذنب عمله في حياة الدنيا ولو كانت ذنوبه عدد رمل عالج وجمال تهامة وزيد البحر؛ إن الحسين بن علي عليه السلام قُتل مظلوماً مضطهداً نفسه عطشاناً هو وأهل بيته وأصحابه»<sup>(٢)</sup>.

وعن علي بن ميمون الصائغ، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «يا علي، زُر الحسين ولا تدعه. قال: قلت: ما لمن أتاه من الثواب؟ قال: من أتاه ماشياً كتب الله له بكل خطوة حسنة، ومحامته سيئة، ورفع له درجة، فإذا أتاه وكل الله به ملكين يكتبان ما خرج من فيه من خير، ولا يكتبان ما يخرج من فيه من شر ولا غير ذلك، فإذا انصرف ودَّعوه وقالوا: يا ولي الله، مغفوراً لك، أنت من حزب الله وحزب رسوله وحزب أهل بيت رسوله، والله لا ترى النار بعينك أبداً، ولا تراك ولا تطعمك أبداً»<sup>(٣)</sup>.

فالزائر يأتي الإمام الحسين عليه السلام تائباً مستغفراً معترفاً بقرآن ذنوبه؛ لأن الإمام الحسين عليه السلام باب من أبواب التوبة، وعطاؤه للزائر بلا حدود، حتى أن أيام زائري الحسين عليه السلام لا تُعد من أعمارهم، فعن الإمام الرضا عليه السلام، عن أبيه، قال: «قال الإمام الصادق عليه السلام: إن أيام زائري الحسين بن علي عليه السلام لا تُعد من آجالهم»<sup>(٤)</sup>. فيكون الزائر خجلاً أمام هذا العطاء، وهذه المنح الإلهية العظيمة لزيارته ومحبيه.

(١) المصدر السابق: ص ٢٥٣-٢٥٤.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٢٧.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٥٦.

(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، التهذيب: ج ٦، ص ٣٦.

## ثالثاً: الأثر الاجتماعي

إنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام فيها إعزاز الدين؛ إذ نجد الكثيرين من الناس يتركون أعمالهم ويتوجّهون لزيارة الإمام الحسين عليه السلام وخدمة زوّاه، فتدوب العناوين في طريق الحسين عليه السلام، ولا يبقى إلا عنوان واحد وهو عنوان الحسين عليه السلام. يلتقي في هذا الطريق المسلم المؤمن بقضية الحسين عليه السلام، وغير المسلم الذي لا يؤمن بها لكنّه يتفاعل معها؛ لأنّها قضية إنسانية.

ولزيارة الإمام الحسين عليه السلام خاصيّة نقل الصفات الحميدة والأخلاق الحسينية بين نفوس الزائرين، من الإيثار والتضحية وبذل الغالي والنفيس من أجل إبقاء كلمة الله تعالى عالية. والكلّ ينال كرامة من الله تعالى، كما ورد في الرواية عن عبد الله الطحّان، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنّه قال: «سمعتة وهو يقول: ما من أحد يوم القيامة إلّا وهو يتمنّى أنّه زار الحسين بن علي عليه السلام؛ لما يرى لما يُصنع بزوّار الحسين بن علي من كرامتهم على الله»<sup>(١)</sup>.

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «مَنْ سرّه أن يكون على موائد النور يوم القيامة، فليكن من زوّار الحسين بن علي عليه السلام»<sup>(٢)</sup>.

وهذا هو الكرم الحسيني في عالم الآخرة، بالإضافة إلى ما يناله من كرامة ورفعة في الدنيا.

## رابعاً: الأثر التربوي

إنّ العبادة بذاتها تخلق توازناً وسلاماً داخلياً، ولكن كيف تنتج ذلك؟  
إنّ إحدى الطبائع الإنسان أنّه يخاف؛ لأنّ الخوف أمر غريزي فيه، قال تعالى:

(١) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، الوسائل: ج ١٤، ص ٤٢٤.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٧٢.



﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ خَلُوعًا﴾<sup>(١)</sup>، يخاف المرض، ويخاف المجهول، ويخاف الفوت، و... هذه الغريزة تجعل الإنسان غير متوازن ومضطرب، وهنا يأتي دور العبادة، فهي تزرع في قلب الانسان الطمأنينة والسلام، قال تعالى: ﴿... أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾<sup>(٢)</sup>.

إن زيارة الإمام الحسين عليه السلام من الشعائر التي حث الشارع المقدس على إحياؤها؛ لأن فيها إحياء للنفوس وأماناً لها من الخوف في الدنيا والآخرة، فقد ورد في الرواية أن زيارة الحسين عليه السلام أمان، ويكون الله تعالى هو الحافظ للزائر، روى عبد الله بن هلال، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «قلت: جعلت فداك، ما أدنى ما لزائر قبر الحسين عليه السلام؟ فقال لي: يا عبد الله، إن أدنى ما يكون له أن الله يحوطه في نفسه وأهله حتى يرده إلى أهله، فإذا كان يوم القيامة كان الله الحافظ له»<sup>(٣)</sup>.

كما أن الزائر تكون منزلته في الجنة، وهي مجاورة رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي فاطمة عليها السلام، فعن أبي خالد ذي الشامة، قال: «حدثني أبو أسامة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من أراد أن يكون في جوار نبيه صلى الله عليه وآله وجوار علي وفاطمة، فلا يدع زيارة الحسين بن علي عليه السلام»<sup>(٤)</sup>.

وهو ممن يدخل الجنة قبل الناس، كما عن عبيد بن زرارة، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن لزوار الحسين بن علي عليه السلام يوم القيامة فضلاً على الناس. قلت: وما فضلهم؟ قال: يدخلون الجنة قبل الناس بأربعين عاماً وسائر الناس في الحساب والموقف»<sup>(٥)</sup>.

(١) المعارج: الآية ١٩.

(٢) الرعد: الآية ٢٨.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٧٨.

(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٦٠.

(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٢٦.

ويكون كَمَن زار الله تعالى في عرشه، فعن زيد الشحام، قال: «قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: ما لمن زار قبر الحسين عليه السلام؟ قال: كان كَمَن زار الله في عرشه...»<sup>(١)</sup>.

ويُزاد في عمره ورزقه، كما عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: «مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام؛ فإنّ إتيانه يزيد في الرزق، ويمدّ في العمر، ويدفع مدافع السوء، وإتيانه مفترض على كلّ مؤمن يقرّ للحسين بالإمامة من الله»<sup>(٢)</sup>.

وعن عبد الملك الخثعمي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال لي: «يا عبد الملك، لا تدع زيارة الحسين بن علي عليه السلام، ومرّ أصحابك بذلك، يمدّ الله في عمرك، ويزيد الله في رزقك، ويحيي الله سعيداً، ولا تموت إلّا سعيداً، ويكتبك سعيداً»<sup>(٣)</sup>.

وعن منصور بن حازم، قال: سمعناه يقول: «مَن أتى عليه حول لم يأت قبر الحسين عليه السلام أنقص الله من عمره حولاً، ولو قلت: إنّ أحدكم ليموت قبل أجله بثلاثين سنة لكنت صادقاً؛ وذلك لأنكم تتركون زيارة الحسين عليه السلام، فلا تدعوا زيارته يمدّ الله في أعماركم، ويزيد في أرزاقكم، وإذا تركتم زيارته نقص الله من أعماركم وأرزاقكم، فتنافسوا في زيارته، ولا تدعوا ذلك؛ فإنّ الحسين شاهد لكم في ذلك عند الله، وعند رسوله، وعند أمير المؤمنين، وعند فاطمة عليها السلام»<sup>(٤)</sup>.

ويُنَفَس بالزيارة كرب الزائر وتُقضى بها حوائجه، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إنّ إلى جانبكم لقبراً ما أتاه مكروب إلّا نفّس الله كربته، وقضى حاجته»<sup>(٥)</sup>.

وفي (جامع الأخبار): «إنّ الله تعالى يخلق من عرق زوّار قبر الحسين عليه السلام من كلّ عرق سبعين ألف ملك، يسبحون الله، ويستغفرون له ولزوّار الحسين عليه السلام إلى أن تقوم الساعة»<sup>(٦)</sup>.

(١) النوري، حسين، مستدرک الوسائل: ج ١٠، ص ١١٥.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٨٤.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٨٦.

(٤) المصدر السابق: ص ٢٨٥.

(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٤٥.

(٦) البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة: ج ١٢، ص ٣٧٧.





ومن الآثار الأخرى المترتبة على زيارة المولى أبي عبد الله عليه السلام، والمؤدية إلى تعزيز الانتماء إليه عليه السلام، هي كونه شافعاً لزواره، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن الله تبارك وتعالى يتجلى لزوار قبر الحسين عليه السلام قبل أهل عرفات، ويقضي حوائجهم، ويغفر ذنوبهم، ويشفعهم في مسائلهم، ثم يثني بأهل عرفات فيفعل بهم ذلك»<sup>(١)</sup>.

ومن الآثار كذلك تشييع الملائكة الباكين على الحسين عليه السلام للزائر عند رجوعه من زيارته قبر المولى أبي عبد الله عليه السلام وعند موته، روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «أربعة آلاف ملك شعث غبر، يكون الحسين عليه السلام إلى أن تقوم الساعة، فلا يأتيه أحد إلا استقبلوه، ولا يرجع أحد إلا شيعوه، ولا يمرض إلا عادوه، ولا يموت إلا شيعوه»<sup>(٢)</sup>. وبعد هذا كله يزول الخوف والظلام، ويحلّ النور والسلام؛ ولأجل هذا يقوى انتماءنا للحسين عليه السلام، ويفرض علينا أن نكون من العاملين الصادقين المخلصين، والمجاهدين للنفس، والأمريين بالمعروف والناهين عن المنكر، وأن نكون الأُمّاء، وأن نواجه الباطل، وندافع عن المؤمنين، ونحمل الإسلام في قلوبنا كما حمله الحسين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام.

## الخاتمة

### ١. النتائج

وبعد هذه الجولة الروحانية في الأجواء الإلهية لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، والاستظلال بظل عرش زيارته، ومعرفة المراد من الانتماء إليه عليه السلام، يمكن للباحث استخلاص النتائج التالية:

١. إن أهدافاً ومعاني كبيرة وقيماً سامية وراء زيارة هذا الإمام العظيم عليه السلام لا بدّ من تحقيقها ممّن عرفها وخبرها، وإنّ من لم يتلمسها فعليه البحث عنها؛ ليعيشها

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص ٤٩٧.

(٢) تاج الدين، الشيخ مهدي، النور المبين في شرح زيارة الأربعين: ص ٢٢.



في حياته، مكرّساً كلّ ذلك لنيل رضوان الله تعالى الذي هو غاية الأهداف وأسمائها. وإنّ تلك القيم والمعاني بلغت درجة تستحقّ أن يُضحى من أجلها حجة الله تعالى في أرضه بنفسه ونفوس أبنائه وإخوته وأصحابه.

٢. إنّ العطاء الذي يناله المضحّي في سبيل تلك المبادئ لا حدّ له، فهذا هو الحسين عليه السلام خالد، قد ترّيع في قلوب الناس سواء المؤمنون أم غيرهم، بحيث لم يتوان محبّوه عن بذل الغالي والنفيس في سبيله. ويتبيّن أيضاً الدرجة العالية التي نالها أبو عبد الله عليه السلام ومن معه نتيجة الإخلاص لله تعالى.

٣. الشعور بالانتماء للحسين عليه السلام لا بدّ أن يكون نابعاً من عقيدة قلبية؛ فإنّ صعوبة التكامل في عالم الدنيا تكمن في عدم قدرة الإنسان على تحويل المعلومة الذهنية إلى عقيدة قلبية، فقد يمتلك كمّاً هائلاً من المعلومات والمفاهيم الصحيحة، إلّا أنّه لا يستطيع أن يترجمها إلى شحنة وثورة دافعة في أعماق نفسه تحرّكه نحو الكمال؛ ولهذا لا يجد لتلك المفاهيم والمعلومات سبباً محرّكاً لإرادته وعزيمته نحو الكمال، فتكون كالأسفار المحمولة التي ذكرها القرآن الكريم.

وهناك طرق لتحويل تلك المفاهيم والمعلومات إلى عقيدة راسخة، منها العيش ضمن الأجواء المحفّزة لها، ومن أفضل تلك الأجواء زيارة الحسين عليه السلام وتحويل الدمعة التي تُسكب على مصابه إلى سلاح، بعد ذلك يفهم الزائر معنى تضحيات الإمام الحسين عليه السلام العظيمة فيعيش مع أهدافها، وحينئذٍ يستنشق عبر الانتماء كعقيدة قلبية.

٤. الإمام الحسين عليه السلام امتداد لجدّه وأبيه وأُمّه وأخيه عليه السلام، فهم جميعاً حزمة واحدة، وهم الدين كلّهم، وبالتالي فعلى الزائر أن يفهم بأنّه لا تبعيض في الدين.

٥. حتى تكون زيارة الحسين عليه السلام عبادة وشعيرة حيّة، فلا بدّ من تأديتها كما أرادها المعصومون عليه السلام.

٦. الحسين عليه السلام ليس مشروعاً إقليمياً ولا طائفياً، بل هو مشروع إنساني عالمي،



ويترتّب على هذا حمل مسؤولية التعريف بالإمام الحسين عليه السلام كمدرسة ومشروع محبة وسلام، حمله من أرض كربلاء، والانطلاق به إلى العالم أجمع.

٧. انفرد الإمام الحسين عليه السلام بفتح باب للجهاد أسماه (الجهاد العاطفي)، فهو بتضحياته وعطاءه اللامحدود تجلّت عظمته للعيان، حيث دخل من هذا الباب كلّ من يعيش إنسانيته واستبصر عظمته التي جاءت من تقانيه في ذات الله عز وجل.

## ٢. التوصيات

لضمان الاستفادة من هذا الإمام العظيم عليه السلام ونهضته وزيارته والانتفاء إليه لا بدّ للمجتمع من أمور:

١. تحقيق المعاني والقيم التي ضحّى من أجلها الحسين عليه السلام بعد التعريف بماهيتها كي تكون واضحة جلية لجميع من أراد أن ينهل منها، ويقع هذا على عاتق كلّ من تصدّى لبيان نهضته المباركة والتبليغ عنها.

٢. التصدّي لكلّ المحاولات التي من شأنها تشويه صور تلك القيم والمبادئ وتحريف مفاهيمها أو تطبيقاتها، وإيجاد المعادل الموضوعي الذي لا يسمح بهذه الانحرافات.

٣. إنشاء المؤسسات والمراكز والمواكب الواعية، ودعم الخطباء الواعين القادرين على إدارة الزخم المليوني في زيارته عليه السلام إعلامياً.

## المصادر والمراجع

\* القرآن الكريم.

١. إقبال الأعمال، علي بن موسى المعروف بالسيد ابن طاووس (ت ٦٦٤ هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، ١٤٠٩ هـ.

٢. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي (ت ١١١١ هـ)، تحقيق: محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان، والسيد

إبراهيم الميانجي، ومحمد باقر البهودي، الناشر: مؤسّسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٣. بنور فاطمة اهتديت، عبد المنعم حسن، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٤. تهذيب الأحكام، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: السيّد حسن الموسوي الخرسان، الطبعة الثالثة، ١٣٦٤هـ.ش.

٥. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، محمد بن علي بن بابويه الصدوق (ت ٣٨١هـ)، دار الشريف الراضي للنشر، قم المقدّسة - إيران، ١٤٠٦هـ.

٦. ثورة الحسين في الواقع التاريخي والوجدان الشعبي، الشيخ محمد مهدي شمس الدين، مطبعة الآداب.

٧. جامع أحاديث الشيعة في أحكام الشريعة، السيّد حسين البروجردي، الحاج الشيخ إسماعيل المعزي، مطبعة مهر، قم المقدّسة - إيران، ١٣٧٣هـ ش/ ١٤١٥هـ.ق.

٨. الجامع الكبير (سنن الترمذي)، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق وتخرّيج وتعليق: بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

١٠. الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الخامسة، ١٣٦٣هـ.ش.

١١. كامل الزيارات، أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمّي (ت ٣٨٦هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيّومي، ولجنة التحقيق، مؤسّسة نشر الفقاهة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.



١٢ . مثير الأحزان، جعفر بن هبة الله ابن نما الحلي (ت ٦٤٥هـ)، تحقيق: مؤسسة المهدي (عليه السلام).

١٣ . مجالس عاشوراء، كاظم (عليه السلام) محمد الأحسائي النجفي، دار البلاغ للصحافة والطباعة والنشر، ٢٠٠٧م.

١٤ . مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، قم المقدسة-إيران.

١٥ . مسند الإمام علي (عليه السلام)، رتبته وجمعه: الشيخ عزيز الله العطاردي.

١٦ . مصباح المتهجد، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت - لبنان، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

٧١ . مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي.

١٨ . ميزان الحكمة، محمد الريشهري، تحقيق: دار الحديث، الطبعة الأولى.

١٩ . النور المبين في شرح زيارة الأربعين، الشيخ مهدي تاج الدين.

### المواقع الإلكترونية

٢٠ . ضوابط الانتماء لسيد الشهداء، موقع الإمام الشيرازي:

<http://www.alshirazi.com/world/article/2012/192.htm>.

٢١ . كتابات في الميزان، الكاتب انطوان بارا يشارك في الزحف المليون كربلاء:

<https://www.kitabat.info/subject.php>.

# دراسات حسينية

♦ أسباب النهضة الحسينية.. دراسة تحليلية نقدية.. القسم الأول



# **أسباب النهضة الحسينية**

## **دراسة تحليلية نقدية**

**القسم الأول: الأسباب العامة.. حقيقتها وفعاليتها في أحداث النهضة الحسينية**

السيد محمد باقر الهاشمي

ماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية

مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية/ العراق

**The Reasons for the Uprising of Imam al-Husayn (PBUH)**

**– A Critical Analysis**

**(Part One: The General Reasons, Their Reality,  
and Their Effectiveness in the Events of the Uprising)**

**Sayyid Muhammad Baqir al-Hashimi**

Master's degree in Islamic Law Sciences

The Warith al-Anbiya Institute for Specialized Studies

on the Uprising of Imam al-Husayn (PBUH), Iraq





## ملخص البحث

يستهدف البحث قراءة أسباب النهضة الحسينية ومراجعة الآراء بشأنها وتحليلها. وقد اختصّ هذا القسم من البحث بإبراز الأسباب العامّة لها، وهي مجموعة عوامل ممتدّة زمنياً إلى الحَقَب الأولى من وفاة النبي ﷺ إلى زمان معاوية، وما آلت إليه الأمور جرّاء سياسته ومطامحه في الحكم وامتداد ذلك في ذريّته، وعلى رأسهم ابنه يزيد.

كما عرض البحث جملة من الآراء والمناقشات في تأخّر قيام النهضة الحسينية إلى ما بعد هلاك معاوية، مع توافر الأسباب لقيامها في مدّة حكمه، وانتهى البحث في اختيار السبب الأنسب فيما بين الأسباب المعروضة في هذا الصدد والمتناسب مع الأدلّة ومجريات الأحداث آنذاك.

الكلمات المفتاحية: الإمام الحسين عليه السلام، النهضة الحسينية، أسباب النهضة، أحداث النهضة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، البيعة.



## Abstract

This study aims to explore the reasons for the uprising of Imam al-Husayn (PBUH) and review and analyze the existing various opinions. “Part One” of the research highlights the general reasons, which are a set of factors that preceded the events of the uprising, from the early periods after the Prophet (PBUH&HF) died to Muawiya’s era. These include the consequences of the policies and the political ambitions of Muawiya, which continued with his lineage from the Umayyads, especially his son Yazid.

Moreover, the research presents several opinions and discussions on the delay of the uprising until Muawiya’s death, despite the many reasons that could justify its emergence during his rule. The research ends, by selecting and presenting the most pertinent reason among the various reasons discussed in this regard, based on the evidence and the course of events at that time.

**Keywords:** Imam al-Husayn (PBUH), uprising, reasons, events, enjoining good and forbidding wrong, allegiance.

## المقدمة

من نافلة القول: إنّ النهضة الحسينية حدثٌ حيوي في تاريخ الأمة الإسلامية، لا يقتصر تأثيره على بعده التاريخي وزمان وقوعه؛ لأنّ آثاره العظيمة ألفت بظلالها على الواقع الإسلامي من الناحية المعرفية، وذلك بما أنتجته النهضة من مفاهيم دينية كانت السبيل إلى مواجهة مفاهيم أخرى أرادت السلطات وعلماؤها الترويج لها، عبر غلاف ديني تروم من خلاله تثبيت نظريات وصلاحيات للحاكم، ومنحه رتبة القدسية، تضمن بقاءه في السلطة دون أيّ شكل من أشكال المعارضة.

وقد اتّسمت هذه المفاهيم المنتجة من قبل علماء السلطة بتنوّعها المعرفي بين العقديّة والفقهية والأخلاقية. وهذا كلّ على الصعيد المعرفي.

فيما كان للنّهضة الحسينية أثرٌ في الواقع الخارجي ومسار الأحداث، ونتيجة ذلك زوال الحكم الأموي بعد برهة من الزمن ليست بالطويلة؛ نتيجة الثورات والحركات التي اتخذت من النهضة الحسينية قاعدة للخروج أيضاً، بغضّ النظر عن مدى تمسّكها بأهداف النهضة. كما امتدّت آثار النهضة الحسينية إلى كلّ عصر بما تمنحه من زخمٍ حيوي في الخروج على الظلمة، وتحويل مفهوم النصر من الغلبة الآنية إلى البقاء التاريخي.

هذه التحوّلات التي أحدثتها النهضة تستدعي التحليل لأسباب قيامها، وقراءة أحداثها والنظر فيها. وهناك فرضان أساسيان في بيان الأسباب، وهما:

**الفرض الأول:** ترتبط النهضة الحسينية ببعْدٍ غيبي وواقع خارجي استدعى القيام والمواجهة، وأنّ هنالك ترابطاً بين البعدين الغيبي والخارجي في تحليل أسبابها.

**الفرض الآخر:** لا تتّسم الأسباب بحدوثٍ معيّنٍ آني، فالنهضة وليدة أحداثٍ متّصلة السياق، له ماضٍ وحاضرٌ ومستقبلٌ معيّن، يفرز سياقات أخرى حال عدم قيامها.



وفي طيّات هذين الفرضين الرئيسيين تندرج العديد من الأسئلة الفرعية، التي ترتبط بمعطيات فرزتها الآراء المتنوعة في كلّ فقرة.

ومن هنا حاول البحث أن يسلّط الضوء على تحليل أسباب النهضة الحسينية، دون الاقتصار على التعداد لما يعدّ سبباً، بل البحث والتحليل والمناقشة لجذور السبب، وصلاحيّته، وما يؤخذ عليه، وأدلّته، ثمّ التفصيل فيه بين كونه سبباً مباشراً، أو بعيداً. وهو ما استدعى شطر البحث إلى مبحثين، ومدخل للبحث الأوّل. وقد استهدف المدخل مراجعة المفاهيم (المصطلحات) المناسبة لوصف أحداث الطفّ، فهل الأصحّ وصفها بالنهضة، أو الثورة، أو الخروج، أو القيام؟ وما علاقة هذه المفاهيم بعضها ببعض؟ وهل يمكن استعمالها جميعاً في وصف أحداث كربلاء؟ وغير ذلك من الموضوعات المرتبطة بهذا الأمر.

وأما المبحث الأوّل من الدراسة، فقد خُصّص لبيان جملة مقدّمات ترتبط بأسباب النهضة الحسينية. وقد انقسم إلى مطلبين:

**المطلب الأوّل:** مقدّمات تحليلية في أسباب النهضة: وتناول موضوعات من قبيل:

١. تنوّع أسباب النهضة الحسينية. والوقوف على تفسير أقوال الإمام عليه السلام وأفعاله فيما يتّصل بكربلاء طبقاً لهذا التنوّع.
٢. تناسب الأسباب والنظريات المطروحة في بيان أهداف النهضة الحسينية (نظرية الحكومة - نظرية الشهادة...).

٣. تداخل الأسباب والأهداف، والسبيل إلى تمايزها.
- المطلب الآخر:** تقسيمات الأسباب إلى عامّة بعيدة، ومؤثّرة مباشرة. ثمّ إشكالية عدّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأسباب، أو الغايات، أو غير ذلك.
- وأما المبحث الثاني: فقد تطرّق إلى الأسباب العامّة للنهضة الحسينية، وذلك في ضمن مطلبين:

المطلب الأول: استعراض الأسباب العامة، والوقوف عندها بشكل موجز.  
المطلب الآخر: عدم قيام النهضة الحسينية في عهد معاوية (المعطيات والأسباب).  
وأخيراً، الخاتمة التي تمّ التطرّق خلالها إلى أهمّ النتائج المرتبطة بالبحث في قسمه الأول.

## المدخل: الأطر المعرفية وإشكالية المصطلح في وصف أحداث الطفّ

### أ) السبب في اللغة والاصطلاح

وهو في اللغة: الطريق؛ إذ به تصل إلى ما تريد<sup>(١)</sup>. وسُمّي كلّ ما يُتوصّل به إلى شيء سبباً. وجمعه: أسباب<sup>(٢)</sup>.

وفي الاصطلاح يُطلق على ما يبعث الفاعل على الفعل، ويقال له بهذا المعنى: العلة الغائية، «وهي التي يكون وجود الشيء لأجلها»<sup>(٣)</sup>.

ويُطلق على السبب (الباعث)؛ فإنّ «الباعث ما يحمل على الفعل، كالباعث على الثورة، والباعث على التنظيم. ويُطلق على كلّ سبب عقلي يحدث فعلاً إرادياً، أو ينزع إلى إحداثه، أو على كلّ حالة ذهنية تغلب فيها العناصر العقلية على العناصر الانفعالية»<sup>(٤)</sup>.

### ب) النهضة في اللغة والاصطلاح

وهي في اللغة: البراح من الموضع. ونهض عن مكانه: ارتفع عنه. والناهض هو الطائر الذي وفّر جناحاه، وتهيأ للنهوض والطيران<sup>(٥)</sup>. وهو «الطاقة والقوّة» أيضاً<sup>(٦)</sup>.

(١) أنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج ٧، ص ٢٠٤.

(٢) أنظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: ج ١، ص ١٤٥.

(٣) جميل صليبا، المعجم الفلسفي: ج ٢، ص ٩٦.

(٤) المصدر السابق: ج ١، ص ١٩٦.

(٥) أنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج ٣، ص ٤٠٨. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان

العرب: ج ٧، ص ٢٤٥.

(٦) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج ١٠، ص ٤٥٦.



وفي الاصطلاح: «تعني: الانبعاث والتجديد من جديد، فالنهضة تعني: عملية التجديد والنهوض والخلق... سواءً على مستوى السياسة، أو الدين، أو الآداب، أو الفلسفة، أو غير ذلك»<sup>(١)</sup>، أي: وغير ذلك من التعريفات الكثيرة التي لا مجال لذكرها. ومع ربط المصطلحين المذكورين بالنهضة الحسينية، يصير المراد بعنوان البحث مجموعة العوامل الداعية والبواعث المؤدية إلى القيام والنهضة التي قام بها أبو عبد الله عليه السلام.

والمهم في هذا المقام التنبيه على أمور:

(أ) يلاحظ في المصنّفات المعنية بالحركة الحسينية التنوّع في تسميتها، فمنهم من يعدّها ثورة، أو نهضة، أو خروج، أو فتح...

إنّ هذه المسمّيات بعضها مستفاد من كلمات الإمام الحسين عليه السلام، وخصوصاً المصطلحين الأخيرين: الخروج، والفتح. واستفادة ذلك من قوله عليه السلام: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً...»، وكذلك من قوله: «مَنْ لم يلحق بي لم يدرك الفتح».

وأما النهضة والثورة فهما من المصطلحات الحديثة في الأدبيات السياسية لوصف ظواهر تستدعي انقلابات وتحولات على شتّى الأصعدة.

(ب) يظهر من بعض الباحثين أنّ مصطلحي (النهضة) و(الثورة) لهما معنى واحد على سبيل الترادف، ويوصف بهما أحداث عاشوراء، فيُستعمل كلا المفهومين في آن واحد وبمعنى واحد، مثل قول الشيخ مطهري رحمه الله: «ولم تتدخل في نهضته عوامل الانفجار النفسي مطلقاً، بل كانت ثورته إسلامية محضة»<sup>(٢)</sup>.

ويشير بعض الباحثين إلى أنّ هذا الاستعمال لكلا المصطلحين في وصف أحداث عاشوراء لا مشاحة فيه؛ لاشتراك المفهومين في كونها يُطلقان على التغيير الجذري في المجالات المختلفة المتعلقة بالدولة والمجتمع<sup>(٣)</sup>.

(١) الزيدي، مفيد، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر: ج ٢، ص ٣٩٩.

(٢) مطهري، مرتضى، بين المنبر والنهضة الحسينية: ص ١٤٢.

(٣) أنظر: الرحمة، حكمت، الأطر القانونية لثورة الإمام الحسين عليه السلام: ص ٤٤.

ويؤكد بعض الباحثين - أيضاً - أنَّ استعمال مصطلح النهضة للتعبير عن الثورة ممَّا استعملته أدبيّات المسلمين في القرون الأخيرة؛ سوَّغ ذلك بأنَّ النهضة كالثورة من حيث الثوب والانتقاض<sup>(١)</sup>. وعليه؛ فلا فرق بين هذين المصطلحين في توصيف أحداث عاشوراء بناءً على هذا الرأي.

وأغلب الظنَّ أنَّ الجانب اللغوي هو الحيثية المنظورة لأصحاب هذا الرأي، والتقارب اللفظي ممَّا لا ينكر.

(ج) يُعدُّ مصطلح الخروج من أهمِّ المصطلحات في الأدبيّات السياسية التاريخية، حتّى الفقهية، من قبيل (مسألة جواز الخروج على الحاكم). وهذا المصطلح غير مقصور على المعنى الحسيّ المرتبط بالحركة والنهوض، بل يستبطن معنى المعارضة عامّة بأيّ شكل وقعت<sup>(٢)</sup>؛ فالإمام الحسين عليه السلام رفض أمر السلطان وبيعة يزيد، وهذا بنفسه خروج على السلطان وإن لم يصاحبه تحرّك<sup>(٣)</sup>.

ومن ثمَّ نجدُ الإمام عليه السلام استعمل هذا المصطلح في وصف تحرّكه، فقال عليه السلام: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً...»؛ ولهذا يذهب بعض الباحثين إلى أنَّ الحركة الحسينية يجب وسمها بالخروج «وعدم الانجرار لغلبة المصطلح الآخر، [أي: النهضة والثورة]، وانتزاع عنوان الفعل الحسيني من خطابات الحسين عليه السلام نفسه»<sup>(٤)</sup>.

ولا شكَّ أنَّ مصطلح (الخروج) من أبرز المصطلحات المستعملة في التاريخ وغيره من المعارف القديمة للدلالة على المعارضة، ولاسيّما السياسية منها، إلّا أنَّ ذلك لا يعدو كونه استعمالاً لما هو رائج في ذاك الزمان من مفاهيم لوصف فعل أو

(١) أنظر: محمد عمارة، الإسلام والثورة: ص ١٤.

(٢) أنظر: الشويلي، فؤاد حران، الخروج: ص ١٠٣.

(٣) أنظر: المصدر السابق: ص ٩٦.

(٤) المصدر السابق: ص ٦.



قول يتَّسم بالمعارضة، لا أنَّه توصيف لوحظ فيه الموصوف من جميع أبعاده وجوانبه، ومن ثمَّ اختياره طبقاً لهذه الخصائص على نحو ضبط ماهية شيء. واستعمال الإمام عليه السلام قد يكون استعمالاً لما هو متداول في ذاك الزمان لا أكثر.

مضافاً إلى كون مصطلح الخروج لا يحمل مدلولاً سلبياً ولا إيجابياً في أحسن الأحوال، فلا يُفرَّق بين خروج ومعارضة باطلة وصحيحة، بل يُطلق على مطلق المعارضة، ويتحدّد سلباً وإيجاباً بقرائن تحفّ بالخروج، ومن خلالها يُكتشف أنَّ هذا خروج للحقّ وفيه، وذاك للباطل، فلا فاعلية ولا حركية لوصف حركة الإمام الحسين عليه السلام، كما يتوفّر ذلك في كلّ من مصطلح النهضة أو الثورة.

بل يمكن أن يقال: إنَّ الخروج ذو مداليل سلبية خصوصاً مع ارتباطه بثلّة عُرِفوا لاحقاً بالخوارج، فصار مصطلح الخروج والخارجي ممّا أُحجم عنه؛ لطبيعة هذه العُلقَة التي يتبادر منها بدوّاً تلك الفئة المعروفة بالخوارج.

وعلى أيّة حال؛ فوصف تحرّك الإمام عليه السلام ب: (الخروج) لا بأس فيه، لكن لا يمكن أن يكون الخروج وصفاً لكلّ ظاهرة عاشوراء وأحداثها ومجرياتها؛ لضيق الدلالة فيه على هذه السّعة، مضافاً إلى أنَّ استعمال مفهوم آخر لوصف ظاهرة عاشوراء بغير الخروج ليس انجراراً لغلبة المصطلحات المتداولة جزافاً، بل هو تداولٌ منشؤه سعة هذه المفاهيم دلاليّاً، وقدرتها على مقارنة حقيقة الحركة الحسينية.

د) يرجّح بعض الباحثين مصطلح النهضة لا الثّورة؛ لأنّ مفهوم الثورة في الأدبيّات السياسية كما يستدعي تغيير الوضع والنظام، يتضمّن الاعتراف بهذا النظام، ثمّ تقام الثورة عليه؛ ولذا لا يمكن وصف أحداث عاشوراء بالثّورة؛ إذ حاشا للإمام عليه السلام أن يعترف بالنظام الأموي، وهذا يكفي في أن يكون سبباً وداعياً لاستعمال مصطلح النهضة بدلاً من مصطلح الثورة<sup>(١)</sup>.

(١) أنظر: الفريحي، جبار، النهضة الحسينية: ص ١٢.



وهذا الرأي يواجه بكون مفهوم الثورة بحد ذاته في الأدبيات السياسية لم يُعرّف بتعريف واحدٍ مشترك، بل الاختلافات فيما بينها كثيرة<sup>(١)</sup>، فكيف السبيل - والحال هذه - إلى استفادة أنّ الثورة تستدعي الاعتراف بالنظام، ثمّ الثورة عليه وأخذه على نحو القاعدة؟ إذ كما تكون الثورة على نظام معترف به سابقاً من قبل الثائرين، يمكن أن تكون على نظام غير معترف به، وقد تسلّط على الرّقاب بالقوّة لا بالاعتراف؛ ولذا لا يمكن أن يُعدّ هذا الفارق هو الوجه في توصيف أحداث عاشوراء بالنهضة دون الثورة؛ لأنّه فارق غير ثابت بدوّاً كمائز بين الثورة والنهضة، أو حتّى عرضاً خاصّاً في الثورة لا ينفكّ عنه.

ومع هذا؛ يمكن ترجيح مصطلح النهضة على غيره بوجه آخر، وذلك بتقريب: أنّه تمّ استعماله في الأدبيات السياسية والاجتماعية المعاصرة، وارتبط ارتباطاً شديداً بعنصري الزمان والمكان، والتحوّل الهيكلي في منظومة مجتمع ما، تحوّلاً فارقاً عن العهد السابق، ومنظومة جديدة في حياة المجتمعات ونظمها؛ ولذلك تُعرّف الفترة الممتدّة ما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر الميلاديين في أوروبا بـ: (عصر النهضة)، وهي الفترة التي شكّلت فاصلاً جوهرياً عمّا سبقها، واستمرّت التحوّلات بعد ذلك على الصعيد المعرفي والثقافي والعلمي... في ضمن ثورات متلاحقة<sup>(٢)</sup>؛ ومن هنا كانت الثورة تتبعها تحوّلات عديدة بما فيها الثورات أيضاً.

والنهضة لحظةً زمنية فارقة، وتحوّل في البنية المعرفية والاجتماعية والسياسية، وغالباً ما يوسم بها عصر ما، فيقال: عصر النهضة، وتُقرن كلّ المعارف والأفكار والمتغيّرات بهذا العصر، فيقال مثلاً: ثورة الفكر في عصر النهضة، الفكر العربي في عصر النهضة، تاريخ عصر النهضة، فنون عصر النهضة.

(١) أنظر: الرحمة، حكمت، الأطر القانونية لثورة الإمام الحسين (عليه السلام): ص ٣٨ - ٤٠.

(٢) أنظر: جيرى بروتون، عصر النهضة: ص ١٥.

وبالعودة إلى النهضة الحسينية، نجد أنها تحمل هذه الخصائص؛ إذ هي اللحظة الفارقة في الإسلام، التي على إثرها شهدت الأمة العديد من التحوّلات سواءً على الصعيد السياسي، أو الديني، وتبدّل كثير من النظم السابقة في وعي الأمة وفكرها، فقد سقطت مقولات قدسية الحاكم، وعدم جواز الخروج عليه؛ ولذا شهدت المرحلة ما بعد كربلاء ثوراتٍ متتاليةً ضدّ السلطة، وهذا الأمر لم يكن موجوداً قبل النهضة الحسينية.

وفي المحصل: ليس هنالك مصطلح تتحدّد به الحركة الحسينية وحوادث عاشوراء، على نحو التوصيف الحقيقي، ويكون استعمال غيره فيها من قبيل المجاز أو التساهل، أو الخطأ، فهي نهضة، وثورة، وخروج، وفتح، وقيام، خصوصاً أنّ هذه التسميات في مقام استعمالها في وصف الظاهرة العاشورية لم يُلحَظ فيها إلا معناها اللغوي غالباً، وهي من هذا الحيشة تشترك أو تتقارب في معانيها، وكونها تحوّلاً من حال إلى حال، ولكنّ ترجيح مصطلح النهضة على ما سواه هو نتيجة السعة الدلالية، وسعة ما تُوصَف وتُقرَن به من أحداثٍ محورية في حياة الأمم بشكل عامّ، وهذا ينطبق على النهضة الحسينية باعتبارها لحظةً شكّلت ورسمت كثيراً من ثورات الأمة الإسلامية وقيمها بشكل عامّ، والشيعية بشكل خاصّ.

## المبحث الأول: مقدمات في الأسباب وتقسيماتها

هو يشتمل على مطلبين:

### المطلب الأول: مقدمات تحليلية في أسباب النهضة

الأسباب: هي مجموع العوامل والانحرافات الموجبة لنهضة الإمام الحسين عليه السلام، ولا بدّ من مقدمات تتعلّق بها وبفهم حقيقتها:

الأولى: تتنوّع أسباب النهضة الحسينية بين غيبية ترتبط بعلم الإمام عليه السلام، وأخرى ظاهرة تتصلّ بمجريات الأحداث في الخارج، والواقع الاجتماعي؛ ولذا لا يمكن

الجزم بوجود علّة وسببٍ محدّد منفرد، وأنّه هو المؤثر في النهضة الحسينية دون غيره، بل غاية ما يمكن قوله: أنّها مجموعة أسباب وعلل أدّت إلى القيام بالنهضة الحسينية. الثانية: أنّ تنوّع الأسباب بين غيبي وظاهري يكشف عن مسارين في تعامل الإمام عليه السلام معها:

(أ) تعامل على أساس علمه ومعرفته بالأسباب ونتائجها، والعمل عليها بموجب علمه عليه السلام.

(ب) العمل بالأسباب الظاهرية التي يوليها الإمام عليه السلام الاهتمام بموجب وظيفته في تلبية حاجة الأمة.

ولا بدّ من التفريق بين هذين النوعين من التعامل، وعدم اتّخاذ أحدهما لنفي الآخر، فلا تؤخذ استجابة الإمام عليه السلام لأهل الكوفة دليلاً للتشكيك في علمه عليه السلام، والقول أنّه لو توفّر عنده علم غيبي لعرف أنّهم سيخذلونه.

كما لا يمكن الأخذ بمقولة علم الإمام عليه السلام بشهادته لنفي جدوائية الاستجابة للكتب والرسائل الواردة من الكوفة، فليس الأمر على هذا النحو، بل كلّ مسار له حيثياته وظروفه وقواعده، وليس على نحو الأقوال المتنافية، حتّى على القول بوقوع التنافي بينهما؛ فإنّه بدوي يرتفع سريعاً بلحاظ اختلاف الحيثيات والجهة.

الثالثة: من المعلوم تعدّد النظريات في تحديد أهداف النهضة الحسينية، فمنها: نظرية إقامة الحكومة، ونظرية الشهادة، ونظرية الأهداف المتوازية، وغيرها<sup>(١)</sup>، ومن المعلوم تقاطع بعض هذه النظريات فيما بينها. ونتيجة لترابط الأسباب بالأهداف، قد يقال: إنّ بعض الأسباب متعلّق وجوداً وعدمياً بتفسير هدف النهضة بنظرية معيّنة، دون أخرى.

(١) أنظر: مجموعة من الباحثين، نهضة عاشوراء، دراسات كلامية فقهية سياسية، بحث: قراءة جديدة في أهمّ النظريات المطروحة حول فلسفة النهضة الحسينية: ص ٢٠.



إلا أن هذا الاحتمال غير وارد؛ فليس هنالك أسباب للنهضة الحسينية متوقّفة على تفسيرٍ أو هدفٍ محدّد، كما لا حصر لبعض الأسباب ببعض الأهداف، بل هي تتناسب معها جميعاً؛ فأسباب النهضة في الأعمّ الأغلب - كما سيأتي - يمكن أن تنضوي تحت عنوان عامّ، وهو: (الانحراف على المستويات كافّة)، كما أنّ الأهداف بمختلف تفسيراتها تنضوي تحت عنوان: (طلب الإصلاح)، سواءً أكان تحقّقه بالشّهادة، أم بإقامة الحكومة، أم بالجمع بينهما (الشّهادة وإقامة الحكومة).

نعم، قد تختلف آليات كلّ من هذه النظريات في معالجة الانحراف وأسبابه، إلا أنّ جميعها ممّا يرتفع به الانحراف، وهو المطلوب.

الرابعة: كثيراً ما تتداخل الأحاديث عن الأسباب والأهداف، فتذكر غايات النهضة الحسينية أو أهدافها على أنّها أسباب، والعكس كذلك؛ ولعلّ ذلك لشدّة ترابط الأسباب والغايات في النهضة الحسينية، أو لكون الأسباب والعلل في قيام النهضة من العلة الغائية، أي إنّ الغاية من الفعل هو السبب المحرّك للقيام به، وبهذا النحو فلا تنفكّ ملاحظة الغايات عن الأسباب.

ومع هذا؛ يمكن فصل الأسباب عن الغايات والأهداف من خلال مقولة: (الانحراف)، الذي عبّر عنه الإمام الحسين عليه السلام بقوله: «ألا ترون أنّ الحقّ لا يعمل به، وأنّ الباطل لا يُنتهى عنه...»<sup>(١)</sup>. ومقولة (الإصلاح) الواردة في خطابه الأشهر: «إنّما خرجت لطلب الإصلاح...». فأغلب ما يقع في دائرة الانحرافات فهو سببٌ لقيام النهضة الحسينية، وبإزاء ذلك كلّ إصلاح يرفع هذه الانحرافات فهو من الأهداف والغايات: فإقامة الحكومة المهدف منها تصحيح مسار الأمة ورفع الانحراف الواقع فيها، ونظرية الشّهادة بتفسيراتها كافّة تسعى إلى ذات الغاية، وهكذا بالنسبة إلى باقي الأهداف.

(١) ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص ٢٤٥.

وسيتّضح الحديث أكثر عند التطرّق إلى مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلاقته بالأسباب لاحقاً.

إلاّ أنّه بعد أخذ الانحراف قيداً مائزاً في هذا التفسير قد يُشكل عليه بعدم الجامعة؛ وذلك بخروج (دعوة أهل الكوفة) منه، مع الجزم أنّها من الأسباب، ومن الواضح أنّ دعوة أهل الكوفة للإمام الحسين عليه السلام إلى القدوم إليهم ليست انحرافاً. وهذا الإشكال تامّ، لولا أنّ معيارية الانحراف والإصلاح في التفريق بين الأسباب والأهداف أخذت على نحو الغلبة كما أشرنا، ولعلّه لا استثناء في البين إلاّ الدعوة المذكورة؛ إذ لا شك أنّ دعوة الكوفيّين تُعدّ من الأسباب وإن خرجت عن كونها انحرافاً.

### المطلب الثاني: تقسيمات الأسباب، وموقعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وهو يشتمل على أمرين:

#### الأمر الأوّل: تقسيم الأسباب

يمكن تقسيم أسباب النهضة الحسينية إلى قسمين رئيسين يندرج فيهما كثير من الفروع:

(أ) الأسباب العامّة: وهي مجموعة العوامل والأسباب السابقة على حكم يزيد، والمرتبطة بمجموعة الانحرافات الدينية والاجتماعية والأخلاقية، والظلم والجور المسلّط على الأمّة الإسلامية من قبل بني أمية وخلافتهم المزعومة.

(ب) الأسباب المؤثّرة (المباشرة): وهي الأسباب التي رافقت وصول يزيد إلى الحكم بعد موت معاوية، وفي هذا الصدد يمكن الحديث عن سببين مباشرين:

الأوّل: طلب البيعة.

والآخر: دعوة الكوفيّين.



وهنا لا بدّ من الالتفات إلى أنّه لا خصوصية لهذه التسميات، أي: العامّة، والمؤثّرة المباشرة، وإنّما الهدف منها هو المقاربة بين حقبتين، أو فترتين زمنيّتين: الأولى: تشكّلت فيها نواة الانحرافات، وقامت أركانها. والثانية: وصول هذا الانحراف إلى الذروة حين تولّى يزيد الحكم. وعليه؛ يمكن تسميتها - أيضاً - بالأسباب القريبة والبعيدة بلحاظ الزمان، وغير ذلك من التسميات.

ثمّ إنّ لا بدّ من الأخذ بعين الاعتبار أنّ الأسباب المؤثّرة هي امتداد للأسباب العامّة، وتحصيل حاصل لما كان من انحرافات على سائر الأصعدة؛ إذ الأسباب العامّة هي التي أفضت بالنهاية إلى الأسباب المباشرة، وأنّ خلاصة عمل معاوية خلال سنين متطاولة من لعب في دين الله سبحانه، وتسلّط على العباد، هو وصول يزيد إلى سدّة الحكم؛ ولذا نجد أنّ المصنّفات لا تجعل الأسباب على نحوين - كما في هذا البحث - بل تذكر الأسباب العامّة والمباشرة على نحو واحد<sup>(١)</sup>.

قال بعض الباحثين: «وقررنا أنّ السبب الأهمّ الذي يترّبع على رأس الأسباب الباعثة لحصول الثورة الحسينية هو الانحرافات المتعدّدة التي برزت في الأمّة الإسلامية في غضون حكم بني أمية... وكان أبرزها... تنصيب يزيد ولياً للعهد...»<sup>(٢)</sup>؛ ولذا لا يمكن قراءة الأسباب المباشرة وتعرّف حقيقتها إلّا بالنظر إلى الأسباب العامّة؛ لأنّها القاعدة لها، وما فصلها - كما في هذا البحث - إلّا لبيان الاختلاف بين مرحلتين اختلف على إثرهما أقوال الإمام عليه السلام وأفعاله في التعامل معهما، وهو ما يقتضي عرض كلّ واحدٍ منهما بنحو منفصل.

(١) أنظر: القرشي، باقر شريف، موسوعة سيرة أهل البيت (الإمام الحسين عليه السلام): ج ١٣، ص ٢٧٠ - ٢٨٩.

(٢) مجموعة من الباحثين، نهضة عاشوراء، دراسات كلامية فقهية سياسية، مقال: الأسباب والعوامل السياسية والاجتماعية لثورة عاشوراء: ص ٥٩١.

## الأمر الثاني: موقعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأسباب

يتركز التساؤل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الحديث عن أسباب النهضة الحسينية: أفلا يُعدّان من علل النهضة الحسينية وأسبابها؟ وما مكاتبتها قبل بقية الأسباب؟

إنَّ نظرةً بين المصنّفات المختصّة بالنهضة الحسينية وتحليلها تكشف عن تعدّد وجهات النظر في تصنيف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين كونه هدفاً أو سبباً، فيُعدّه بعض الأعلام والباحثين والمفكرين السبب الأكثر حثّاً وتأثيراً في ولادة النهضة الحسينية، قال الشيخ مطهري رحمته الله: «إنَّ هذا العامل [أي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر] في الواقع يمنح النهضة الحسينية قيمةً أعلى بكثير ممّا يمنحه إياها العاملان الآخران [رفض البيعة، ودعوة أهل الكوفة]، فاستناداً إلى هذا العامل استطاعت هذه النهضة أن تكون جديرةً بالخلود، والحياة، وأن تكون الثورة المعلّمة...»<sup>(١)</sup>.

وفي قبال ذلك، هناك مَنْ يضع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في خانة أهداف النهضة الحسينية<sup>(٢)</sup>.

والواقع أنّه لا تنافي بين هذين التوجّهين؛ بل يمكن عدُّ كلا الرؤيتين صحيحة من وجه، فمن خلال التدقيق في حقيقة بعض العلل لنهضة عاشوراء يتّضح - كما تمّت الإشارة إلى ذلك - أنّها من العلل الغائية، وهي التي لأجلها وجد الشيء، كاجلوس للكرسي والسكنى للبيت<sup>(٣)</sup>، فالغاية من الفعل هو السبب المحرّك للقيام به.

(١) مطهري، مرتضى، الملحمة الحسينية: ج ٢، ص ٣٤. وأنظر: البصري، أبو مصعب، الأمويون وثورة الإمام الحسين عليه السلام: ص ١٥٤.

(٢) أنظر: الموسوي، رياض، الشعائر الحسينية (بحوث الشيخ محمد السند): ج ١، ص ١٩٧. جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، عاشوراء في فكر الإمام الخميني: ص ٣٣. الصفّار، حسن، الحسين ومسؤولية الثورة: ص ٦٣. الصدر، محمد محمد صادق، أضواء على ثورة الحسين عليه السلام: ص ٨٨.

(٣) أنظر: المظفر، محمد رضا، المنطق: ص ٣٧١.





ومن خصائص العلة الغائية أنَّ الغاية متقدِّمة على الفعل تصوُّراً، ومتأخِّرة عنه وجوداً<sup>(١)</sup>، «فأسباب النهضة في واقعها علل غائية للنَّهضة، وهي في نفس الوقت بواعث للنَّهضة؛ وهي في نفس الوقت أهدافٌ للنَّهضة؛ فإنَّ الأهداف هي الأمور التي سعت النَّهضة لتحقيقها، فهي وأن كانت متأخِّرة بحسب الوجود الخارجي، إلَّا أنَّها متقدِّمة في التصوُّر»<sup>(٢)</sup>.

وبالعودة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نجد أنَّهما من العلل الغائية للنَّهضة الحسينية؛ إذ القيام لأجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو الغاية والمحرِّك للفعل تصوُّراً وإن كان تحقُّقه خارجياً متأخِّراً عنه. ومن هنا؛ قد يكون النظر إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تارةً باعتبار أنَّهما الغاية والهدف النهائي للنَّهضة، فهما بهذا اللحاظ في خانة الأهداف، وتارةً ينظر إليهما من حيث أثرهما في قيام الفعل، فهما علةٌ، ولكن لا يعني ذلك أنَّ كلَّ تصنيفٍ مانعٍ للآخر، غاية الأمر أنَّ الجهة الملحوظة هي مَنْ مُحدَّد المسمَّى.

ولكن قد تكون (حيثية الغاية) الموجودة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجعل بحثها في ضمن الأهداف والغايات أكثر ملائمة لهذا الحيثية من التطرُّق إليها في الأسباب؛ إذ الغاية هي الأهداف البعيدة، قال يالجن: «الهدف [هو]: المقصد القريب، أو الغرض القريب من الفعل. والغاية المقصد البعيد أو الغرض البعيد. ويمكننا أن نعبر عن الغاية بأنَّها الهدف البعيد»<sup>(٣)</sup>.

يُضاف إلى ذلك أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينضوي تحت عنوان الإصلاح، والإصلاح - كما تقدَّم - يستدعي وجود انحراف، وما دام كذلك فهو هدف يراد به رفع سببه.

(١) أنظر: الطباطبائي، محمد حسين، بداية الحكمة: ص ١١٩، المرحلة السابعة/ الفصل السابع.

(٢) الفريجي، جبار، النهضة الحسينية: ص ١٠.

(٣) مقداد يالجن، أهداف التربية الإسلامية وغايتها: ص ٢٢.



وتقرير ذلك بنظرة أدق: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسألة أعمق دلالةً من عدّها سبباً في قبال الأسباب الباقية، مثل: بيعة يزيد، أو دعوة أهل الكوفة؛ إذ هي تمثّل فلسفة النهضة الحسينية بكلّ أبعادها وأسبابها ونتائجها وآثارها، فكلُّ ذلك ينضوي تحتها، ومن ثمّ تكون هي الهدف الأبرز للنّهضة الحسينية، وبها يتجسّد هدف الإصلاح، وأيّاً كانت الأهداف الأخرى في نهضة الإمام الحسين عليه السلام - سواءً أكانت إقامة الحكومة، أم الشهادة في سبيل الإصلاح، أم غير ذلك ممّا ذكر في الأهداف على اختلافها - فإنّها جميعاً لا تخرج عن دائرتها.

### المبحث الثاني: الأسباب العامّة للنّهضة الحسينية وعدم قيامها في عهد معاوية

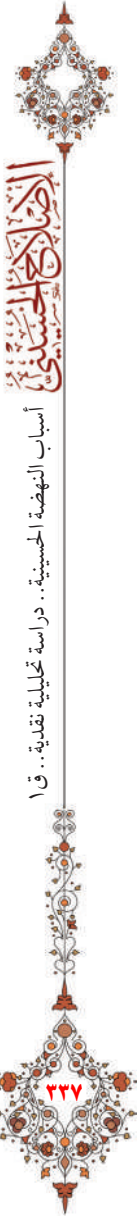
وهو يشتمل على مطلبين:

#### المطلب الأوّل: الأسباب العامّة، قراءة وصفية موجزة

ويُقصد بالأسباب العامّة مجموعةً عوامل أدّت إلى العديد من الانحرافات بمختلف أنواعها الدينية والاجتماعية والأخلاقية، وانعكس ذلك على المجتمع الإسلامي بشكل عامّ، إلّا أنّ خطر هذه الانحرافات وعظمها لصدورها عن السلطة الحاكمة، والمفترض أنّها الجهة المعنية بإدارة شؤون المسلمين، والحفاظ على تعاليم الدين، وقيم المجتمع الأخلاقية والدينية، ولكنّ الواقع كان على خلاف ذلك.

إنّ هذه الانحرافات - في الواقع - تتّصل بحقب متقدّمة قد أرسّت أركانها حكومات الأوائل، أو ما يُعرف بـ: (الخلافة الراشدة)، خصوصاً في الأزمنة الثلاثة الأولى؛ إذ كان لها الدور البارز في إسناد حكم الشام إلى آل أبي سفيان، وتقوية نفوذهم بها<sup>(١)</sup>، ولا سيّما في زمن عثمان، لينتهي الأمر بعد مقتله، وعدم طاعة ثلّة كبيرة لأمر

(١) لا يسهل المقام التفصيل في جذور الانحرافات الممتدّة زمنياً، ولكن في هذا الصدد يمكن مراجعة كتاب: الأطر الشرعية والقانونية لثورة الإمام الحسين عليه السلام، للدكتور حكمت الرحمة، ص ٤٧، المبحث الأوّل: (وفاة النبي ﷺ وتغيير مسار الأمة)، ويؤكد في مطلع حديثه عن النهضة الحسينية



أمير المؤمنين عليه السلام والنزول على حكمه، وبعد جملة كبيرة من الأحداث استمرت حتى زمان الإمام الحسن عليه السلام، وانتهت بالصلح الذي أوصل معاوية إلى حكم المسلمين، وهو أشد أنواع الانحراف والخطر على الإسلام، لولا أن الضرورة اقتضت قيام الصلح للحفاظ على المسلمين، وإلا فوجود معاوية على رأس الحكم انحراف عظيم كما يصفه الإمام الحسين عليه السلام، حيث قال في أحد كتبه إلى معاوية عليه السلام: «فلا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها...»<sup>(١)</sup>.

فقد أصّل معاوية مبادئ الانحراف والمخالفة لدين الله سبحانه مرة تلو الأخرى، بدءاً بغصب الحكم إلى تشريع سب أمير المؤمنين عليه السلام<sup>(٢)</sup>، وادّعاء زياد بن أبيه في مخالفة صريحة للإسلام، وفي ذلك قال الإمام الحسين عليه السلام في جوابه لمعاوية: «أولست المدعي زياد بن سمية المولود على فراش عبيد عبد ثقيف، وزعمت أنه ابن أبيك، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): الولد للفراش، وللعاهر الحجر. فتركت سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وخالفت أمره متعمداً، وأتبعته هواك مكذباً بغير هدى من الله...»<sup>(٣)</sup>.

ولا يقتصر الأمر على هذا، بل تعدّاه إلى كثير من الأفعال المنافية لدين الله، فقد قتل الصحابة، وهجر أولياء الله ونفاهم عن دورهم، وآخر ما تمخّض عن هذا الانحراف هو أخذ الناس وسوقهم لبيعة يزيد.

ويذكر الإمام عليه السلام هذه الانحرافات في كتابه لمعاوية، حيث قال عليه السلام: «ألست قاتل

أنّه: «لا يمكن دراستها بصورة منفصلة عمّا سبقها من أحداث؛ لما لتلك الأحداث من تأثير مباشر على حدوثها».

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٥، ص ١٢١.

(٢) أنظر: النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم: ج ٧، ص ١٢٠. الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي: ج ٥، ص ٣٠١.

(٣) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٥، ص ١٢١.

حُجْر بن عَدِي أَخِي كِنْدَةَ وَأَصْحَابَهُ الصَّالِحِينَ الْمُطِيعِينَ الْعَابِدِينَ، كَانُوا يَنْكُرُونَ الظُّلْمَ، وَيَسْتَعْظَمُونَ الْمُنْكَرَ وَالْبِدْعَ... أَوْ لَسْتُ قَاتِلَ عَمْرِو بْنِ الْحَمِقِ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْعَبْدِ الصَّالِحِ... أَوْ لَسْتُ صَاحِبَ الْخَضِرِيِّينَ الَّذِينَ كَتَبَ إِلَيْكَ فِيهِمْ ابْنُ سَمِيَةَ: أَنَّهُمْ عَلَى دِينِ عَلِيٍّ وَرَأْيِهِ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ: اقْتُلْ كُلَّ مَنْ كَانَ عَلَى دِينِ عَلِيٍّ، فَقَتَلَهُمْ... وَلَيْسَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِنَاسٍ لِأَخْذِكَ بِالظَّنَّةِ، وَقَتْلِكَ أَوْلِيَاءَهُ بِالتَّهْمَةِ، وَنَفْيِكَ إِيَّاهُمْ مِنْ دَارِ الْهَجْرَةِ إِلَى دَارِ الْغُرْبَةِ وَالْوَحْشَةِ...»<sup>(١)</sup>.

وقد بذل معاوية في سبيل هذه الانحرافات الأموال والإمكانات؛ ليضمن سير السلطة على هذا النسق، ومن الطبيعي أن يؤدي ذلك إلى حرف المجتمع عن مساره الصحيح، سواءً بالترهيب، أم الترغيب، أم التجهيل، أم التنكيل، أم القتل. وهي أمور كفيلة بإسكاته بادئ الأمر وتضليله، بل إقناعه لاحقاً.

ولا تقتصر أدوات تثبيت الانحراف على الجانب الأمني، بل كان هنالك جانب ثقافي يعمل على تحسين صورة معاوية والخط الأموي، والخط من أعدائه، وقد قام بذلك علماء السوء والمتزلف، فوضعوا كثيراً من الأحاديث في فضائل بعض الصحابة تارة، بل «إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضل الصحابة افتُعلت في أيام بني أمية؛ تقرباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بني هاشم»<sup>(٢)</sup>. وتارة وضعوا الحديث في مدح معاوية، مثل الحديث المنسوب إلى النبي ﷺ: «معاوية بن أبي سفيان أحلم أمتي وأجودها»<sup>(٣)</sup>. وثالثة وضعوا الحديث في ذم أمير المؤمنين عليه السلام، كما في خبر سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ الَّذِي أَخَذَ الْمَالَ قِبَالَ أَنْ يُخْطَبَ فِي أَهْلِ الشَّامِ، فَيُخْبِرَهُمْ أَنَّ آيَةَ

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٠-٢١. وأنظر أيضاً: المصدر السابق، فقد ذكر أجزاءً من هذا العبائر.

(٢) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج ١١، ص ٤٦.

(٣) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، الموضوعات من الأحاديث المرفوعات: ج ٢، ص ٢٩. ابن عساكر، علي بن الحسين، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٣، ص ٣٦٥.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾<sup>(١)</sup>، قد نزلت في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ففعل ذلك<sup>(٢)</sup>.

ومضافاً إلى ما ذكر «اخترع الحاكمون لونا آخر من ألوان التضليل الديني، وهو تأسيس الفرق الدينية التي تُقدّم للجماهير تفسيرات للدين تخدم تسلط الحاكمين، وتبرّر جورهم وظلمهم، كفركتي المرجئة والمُجبرة اللتين ظهرتا في عهد معاوية، وساعد على دعمهما وانتشارهما حتى أصبحتا من أوفر المذاهب حظاً لدى الحاكمين... هذا بالإضافة إلى عدالة الصحابة التي لا تقلّ خطراً عن فكرتي الإرجاء والجبر، والتي تجعله [أي: معاوية] وأباه والمروانيين الأوزاغ من الكذبة والمجرمين في صفوف الصلحاء، ولا تسمح لأحد أن ينالهم بسوء»<sup>(٣)</sup>.

لقد استطاعت السلطة حرف مسار المجتمع الإسلامي من مجتمع مسؤولٍ عن ردّ الباطل والمنكر إلى آخر لا يكتفي بقبول المنكر فحسب، بل يسوّغه بمسوِّغات شرعية، وذلك عبر أحاديث موضوعية، أمثال أحاديث طاعة الحاكم، حتّى قال النووي: «وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرامٌ بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أهل السُنّة أنّه لا ينعزل السلطان بالفسق»<sup>(٤)</sup>.

ولعلّ خاتمة الانحرافات التي عمد معاوية إليها أخذ البيعة ليزيد في حياته، والأغرب أنّ أغلب الأمصار الإسلامية قد لاقت هذا الفعل بالقبول؛ إمّا خوفاً، وإمّا رغبةً، عدا القليل، حتّى ذكر اليعقوبي في تاريخه: «وبايع معاوية لابنه يزيد بولاية العهد بعد وفاة الحسن بن عليّ، ولم يتخلّف عن البيعة إلا أربعة نفر...»<sup>(٥)</sup>.

(١) البقرة: الآية ٢٠٤.

(٢) أنظر: ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج ٤، ص ٧٣.

(٣) الحسني، هاشم معروف، من وحي الثورة الحسينية: ص ١٤.

(٤) النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم: ج ١٢، ص ٢٢٩.

(٥) اليعقوبي، أحمد، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٢٨.

وهو الأمر الذي حدا بمعاوية إلى التوجّه إلى المدينة بنفسه؛ ليقنع أهلها ومن تخلف عن البيعة ليزيد، فخطب الناس وضمّن حديثه مدحاً ليزيد مانحاً إياه ألقاباً ونعوتاً ليست فيه، فما كان من الإمام الحسين عليه السلام إلا أن ردّ عليه خطابه، ومن جملة ما قاله عليه السلام: «تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً، أو تُخبر عما كان ممّا احتوته بعلم خاصّ، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التّهارش، والحمام السّبق لأتراهن، والقيان ذوات المعازف، وضرب الملاهي، تجده باصراً، ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقى الله من وزر هذا الخلق بأكثر ممّا أنت لاقية...»<sup>(١)</sup>.

وبالمجمل: الأسباب العامّة تتعلّق بالانحرافات على شتّى الأصعدة الدينية والاجتماعية والسياسية المتراكمة منذ زمن طويل، ولكنها تبلورت بشكل أكبر في عهد معاوية وزمن حكمه كما تمّ ذكر شواهد عليها، وهي أكثر ممّا يمكن استيعابها في هذا البحث<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الثاني: عدم قيام النهضة الحسينية في عهد معاوية (المعطيات والأسباب)

بعد ما تمّ عرضه من أسباب عامّة يبرز تساؤل يركّز على مسألة عدم خروج الإمام عليه السلام خلال هذه الحقبة، فهل الأسباب العامّة غير كافية لنهوض الإمام الحسين عليه السلام؟

إنّ مراجعة فاحصة لكلمات الإمام الحسين عليه السلام في مراسلاته مع معاوية تدلّ على أنّ ما تقدّم من أسباب عامّة كافية للقيام، وأنّ مسوّغات النهوض تامّة، حيث قال عليه السلام لمعاوية: «ما أريد حرباً لك، ولا خلافاً عليك، وأيم الله، لقد تركت ذلك وأنا أخاف الله

(١) ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ٢٠٩.

(٢) راجع في هذا الصدد: القرشي، باقر شريف، موسوعة سيرة أهل البيت عليه السلام: ج ١٣، ص ١٢٣،

(فصل حكومة معاوية). بحر العلوم، حسين، الثورة الحسينية بجذورها ومعطياتها: ج ٢،

ص ٤٩١، الفصل الثامن.



في تركه... ولا عاذري دون الإعذار إليه فيك، وفي أوليائك القاسطين الملحدين، حزب الظالمين وأولياء الشياطين»<sup>(١)</sup>.

فقوله عليه السلام: (وإني لأخشى الله في ترك ذلك منك)<sup>(٢)</sup> فيه دلالة واضحة على أن الأمر مما يوجب الخروج لولا أمور وأسباب تحول دون ذلك كما سيَتَّضح. ويبقى السؤال الأهم: إذا كان ما أحدثه معاوية مستحقاً للخروج والنهوض فلم تأخر زمانه إلى ما بعد معاوية؟

وفي معرض الإجابة عن أسباب عدم قيام الإمام الحسين عليه السلام زمان معاوية مع وجود مسوِّغات النهوض، فقد ذكرت عدّة أسباب:

١. الوضع النفسي والاجتماعي للمعسكر المحسوب على الشيعة، الذي يميل إلى الدعة والسكينة والراحة، بعد أن أتعبتهم الحروب الممتدة من زمن أمير المؤمنين عليه السلام إلى الإمام الحسن عليه السلام التي أخذت منهم مأخذاً. مضافاً إلى وجود المتخاذلين والطامعين والساعين إلى الأعطيات والأموال، ولعلّه هو أبرز الأسباب التي دعت الإمام الحسن عليه السلام إلى قبول الصلح، وفي ذلك قال عليه السلام: «إني رأيت هوى عظم الناس في الصلح، وكرهوا الحرب، فلم أحب أن أحملهم على ما يكرهون، فصاحت بقياً على شيعتنا خاصّة من القتل، ورأيت دفع هذه الحرب إلى يوم ما؛ فإنّ الله كلّ يوم هو في شأن»<sup>(٣)</sup>. ومن هنا؛ كان لا بدّ من بناء قاعدة ثورية جديدة، تدرك خطورة حكم بني أمية، وقد تشكّلت هذه النواة، وبدأت بمكاتبة الإمام الحسين عليه السلام بالقيام في زمن معاوية، إلّا أنّه عليه السلام أراد الحفاظ على هذه الثلّة إلى وقتها المحدّد، وأنّ التكليف في زمان معاوية هو الصبر، وأن يكونوا أحلاس بيوتهم<sup>(٤)</sup>.

٢. شخصية معاوية: يشير إلى هذا السبب العديد من الباحثين، وملخصه: أن

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٥، ص ١٢١.

(٢) المصدر السابق: الهامش.

(٣) أبو حنيفة الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص ٢٢٠.

(٤) أنظر: شمس الدين، محمد مهدي، ثورة الحسين عليه السلام: ص ١١٢-١٢١.

لمعاوية شخصية تختلف اختلافاً جذرياً عن يزيد، وذلك من جهة التمسك بالأمور الدينية ظاهراً، وهذا بخلاف يزيد المعروف والمشهور بتهتكه<sup>(١)</sup>. فمعاوية «يُدرِك أنه ينبغي له وهو يحكم الناس بسلطان الدين... أن يسبغ على أعماله غشاً دينياً؛ لتنسجم هذه الأعمال مع المنصب... أما ما لا يمكن تمويهه من التصرفات، فليرتكبه في السر»<sup>(٢)</sup>. وهذا التستر بالدين يحول دون القيام والخروج عليه حتى لو كانت أسباب الخروج متوفرة؛ فإن «ما يقتضي الثورة وإن كان موجوداً في زمن حكومة معاوية، إلا أن المانع لم يكن مفقوداً، بل كان موجوداً، وهو تظاهره بالسلوك الإسلامي الذي بإمكانه إجهاض الثورة وخنقها»<sup>(٣)</sup>.

ويشير الشيخ شمس الدين<sup>(٤)</sup> إلى أن النهضة الحسينية لو قامت في زمن معاوية، فهناك خصلة أخرى في شخصية معاوية تحول دون نجاح النهضة مضافاً إلى تستره بالغطاء الديني، وهي طبيعة مواجهته لأعدائه؛ فإن معاوية ما كان ليتخذ الأسلوب ذاته الذي اتخذه يزيد في مواجهة الإمام عليه السلام، بل يلجأ إلى الحيلة، والتخلص من معارضيهِ بأساليب لا تعود بالضرر أو الأثر الكبير على سلطانه، ومن هذه الأساليب دس السم لمعارضيه، وهو أسلوب اتبعه مع كثيرين، منهم: الإمام الحسن عليه السلام، ومالك الأشتر، وسعد بن أبي وقاص، وغيرهم.

٣. الصلح والميثاق الذي أبرمه معاوية مع الإمام الحسن عليه السلام، الذي تنص بعض بنوده على ألا يخرج هو والحسين عليه السلام على معاوية، وقد استخدم معاوية هذا البند غير

(١) المصدر السابق: ص ١٢٢-١٢٦. الحسيني، هاشم معروف، من وحي الثورة الحسينية: ص ١٧-٢٢. مطهري، مرتضى، الملحة الحسينية: ج ٢، ص ١٤-١٥. الحسيني، علي، النهضة الحسينية دراسة وتحليل: ص ٢٤٨-٢٥٠.

(٢) شمس الدين، محمد مهدي، ثورة الحسين عليه السلام: ص ١٢٤.

(٣) الحسيني، علي، النهضة الحسينية دراسة وتحليل: ص ٢٥٠.

(٤) أنظر: شمس الدين، محمد مهدي، ثورة الحسين عليه السلام: ص ١٢٢-١٢٣.



مرة؛ ليزكّر الإمام الحسين عليه السلام به، وذلك لِمَا علم أنّ رجالات الكوفة ووجهاءها تقد على الإمام الحسين عليه السلام، فكتب: «أما بعد، فقد انتهت إليّ منك أمور، لم أكن أظنك بها رغبة عنها، وإنّ أحقّ الناس بالوفاء لمن أعطى بيعة من كان مثلك في خطرِكَ وشرفِكَ ومنزلتك التي أنزلك الله بها، فلا تنازع إلى قطيعتك، واتّق الله...»<sup>(١)</sup>.

ولكن قد يقال: إنّ معاوية نقض بنود الصلح، وقد صرّح الإمام الحسين عليه السلام بذلك، فمن جملة ما قاله عليه السلام لمعاوية بهذا الخصوص: «قد ركبت جهلك، وتحرّصت على نقض عهدك، ولعمري ما وفيت بشرط، ولقد نقضت عهدك بقتل هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والأيمان والعهود والمواثيق...»<sup>(٢)</sup>. وعندئذٍ فلا يجب على الإمام عليه السلام الالتزام بإزاءه بأيّ معاهدة، ولا يكون الصلح أحد الأسباب المانعة من القيام والتحرك زمن معاوية.

ويجاب عن ذلك: أنّه على الرغم من نقض معاوية لبنود الصلح، إلّا أنّ ذلك لا يُخرج الصلح عن كونه أحد الأسباب المانعة للنهضة زمن معاوية؛ فإنّ الإمام عليه السلام وإن كان غير مُلزَم بالعهد بعد نقضه من الطرف الآخر، فإنّه مع ذلك لا يمكن الخروج عن الصلح؛ بسبب عدم وضوح مسوّغ لهذا الفعل لدى الأمة، ولذا فلو خرج الإمام عليه السلام فإنّما أن ينتهي الأمر «إلى عودة انشقاق الأمة، وما يستلزمه من اختلاف القبلة والكتاب، أو ينتهي بقتل الحسين عليه السلام مع قدرة معاوية على تشويه حركة الحسين عليه السلام، وخلط أوراقها، يساعده على ذلك الجوّ العامّ الذي صنعه معاوية لإحياء حركة الفتوح والغزو وتعبئة الأمة بشكل عامّ إزاءه، هذا مع عدم ظهور كلّ نوايا معاوية العدوانية وأضعافه وموبقاته»<sup>(٣)</sup>.

٤. وجود البيعة، فقد يقال: إنّ الإمام الحسين عليه السلام كانت له بيعةٌ لمعاوية، وعليه

(١) ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٥٤.

(٢) أبو حنيفة الدينوري، أحمد بن دواد، الأخبار الطوال: ص ٢٢٤-٢٢٥.

(٣) البدرى، سامي، الحسين في مواجهة الضلال الأموي: ص ١٤٤.



لم ينقض البيعة بالخروج. والنصوص الواردة في البيعة منها قوله عليه السلام لعدي بن حاتم الطائي بعد أن فاوضه في القيام: «إنا قد بايعنا وعاهدنا، ولا سبيل إلى نقض بيعتنا»<sup>(١)</sup>. وكذا قوله عليه السلام لبعض من دعاه إلى القيام في زمن معاوية: «قد كان صلح، وكانت بيعة كنت لها كارهاً، فانتظروا ما دام هذا الرجل حياً، فإن يهلك نظرنا ونظرتكم»<sup>(٢)</sup>.

والمتحصّل من هاتين العبارتين: وجود بيعة، ولا سبيل لنقضها، على الرغم من أنّ الإمام عليه السلام كارهٌ لها، وعليه التزام الإمام عليه السلام بالبيعة يمنعه من القيام والتحرّك ضدّ معاوية.

ثم إنَّ قول الإمام عليه السلام في وصف البيعة أنّها (لا سبيل لنقضها) يحتمل أن يكون مراده لا سبيل شرعي، ويؤيّد ذلك قوله عليه السلام: (بيعة كنت لها كارهاً)، فما يحمل الإمام عليه السلام على البقاء في البيعة رغم كراهته لها إلّا سببٌ أقوى، ويناسب مثل هذا السبب أن يكون شرعياً يقضي بالوفاء بالبيعة، وعليه متى ما بايع الإمام عليه السلام فيجب الالتزام بالبيعة على كلّ حال، ولا يجوز الخروج عن عهدة البيعة حينئذٍ، ولهذا التزم الإمام عليه السلام بذلك في زمن معاوية، وأمّا مع يزيد فقد رفض البيعة؛ لأنّها لو وقعت للزم حينئذٍ الوفاء وعدم النقض.

ولكن قد يقال: إنَّ قوله عليه السلام: (لا سبيل لنقضها)، أي: لا قدرة ولا استطاعة في الواقع مهيةً لمثل هذا التحرك، وليس لوجود المانع الشرعي.

ونقص القدرة حينئذٍ هو نقص في الرجال والخطط والجاهزية، والتوقيت المناسب، وكذلك وجود شخصية مثل معاوية لها القدرة على لبس الواقع، وتخريفه تحت غطاء ديني، مضافاً إلى إحكامه وسيطرته الشديدة على البلدان، وكثرة عيونه وحنكة ولاتته ومعاونيه، وهذه العوامل مجتمعةً تحول دون توفر القدرة.

(١) أبو حنيفة الدينوري، أحمد بن دواد، الأخبار الطوال: ص ٢٢٠.

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ١٥٠.



ثم إنه حتى على القول بكون عدم النقص منشأ الالتزام الشرعي بمقتضيات البيعة، إلا أن البقاء على البيعة في كل حال سواء أكان الحاكم صالحاً، أم ضالاً، ليس إلا من مقولات فقه السلطة الأموية التي دعمت هذا الاتجاه بالعديد من الأخبار الموضوعية في عدم جواز الخروج على السلطان، وفي الخبر المروي عن الإمام الحسين عليه السلام كفاية في بطلان هذا الرأي؛ إذ قال عليه السلام: «مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا مُسْتَحِلًّا لِحَرَمِ اللَّهِ، نَاكِثًا لِعَهْدِ اللَّهِ، مُخَالِفًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَعْمَلُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، فَلَمْ يَغَيِّرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخُلَهُ مَدْخَلُهُ»<sup>(١)</sup>.

فمتى ما خالف السلطان الشرع، فلا بيعة، ولا عهد له عند الناس. والإمام عليه السلام قد صرح كثيراً بمخالفات معاوية، ونقضه لعهوده ومواثيقه، فلا يجب على الإمام عليه السلام البقاء على البيعة، ولا مانع شرعي في ذلك.

ولكن يمكن القول: إن البيعة وإن كانت تتضمن الالتزام من كلا الطرفين؛ فإن مسألة التزام السلطة بمقتضيات البيعة وواجباتها، منتف من أول الأمر؛ إذ لا يتصور التزام الحكام - سواء كانوا أمويين أم عباسيين - بأي التزام إزاء بيعة الناس لهم، خصوصاً بيعة الأئمة عليهم السلام. ومخالفة الشروط مسألة مسلمة منذ البدء، بل لا شروط من الأساس كما يشهد بذلك الواقع.

ومن هنا؛ يمكن أن يقال: إن البيعة فيها خصوصية تحول دون الخروج، ولهذه الخصوصية أصر السلاطين على بيعة الأئمة عليهم السلام، ومن ثم يمكن فهم رفض الإمام الحسين عليه السلام البيعة ليزيد؛ لأنه متى ما بايع حال ذلك دون خروجه عليه لاحقاً، ويشهد لذلك الواقع التاريخي؛ إذ إن الأئمة عليهم السلام مع بيعتهم لا يخرجون عنها، ولكن لا يمنعون القيام ضدها، ولا يعدّون الخارج على تلك السلطات التي بايعها الأئمة عليهم السلام بغاةً.

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٠٤. ابن أعثم، محمد بن أحمد، الفتوح:

نعم، قد يتحفظون على بعض الثورات؛ لأن قيامها مبني على الباطل، وأمّا التي تنشذ الحقّ وتصحيح مسارات الحكم، فتجد الثناء عليها، مثل ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام بحقّ عمّه زيد بن عليّ: «رحم الله عمّي زيدا، لو ظفر لوفى، إنّما دعا إلى الرضا من آل محمد، وأنا الرضا»<sup>(١)</sup>.

وبقي أمر لا بدّ من التنبّه له، وهو أنّ لفظة البيعة الواردة في كلمات الإمام الحسين عليه السلام المتقدمة قد يُراد بها الصلح، أي: صلح الإمام الحسن عليه السلام، وليس البيعة بمعناها المتعارف؛ وعليه ليست البيعة أحد الأسباب المحتملة لعدم قيام الإمام عليه السلام زمن معاوية؛ إذ لا بيعه في الواقع، وما ذُكر في كلماته عليه السلام يرجع إلى الصلح.

ويُجاب عن ذلك: أنّ استعمال لفظ البيعة في الصلح غير وارد بعد الاختلاف في معناهما اللغوي والشرعي، كما أنّهما قد وردا في خطاب واحد للإمام الحسين عليه السلام، حيث قال: «قد كان صلح، وكانت بيعة كنت لها كارهاً...». مع ملاحظة أنّ الكراهة وقعت على البيعة، وهو يدعم كونها أمرين، وأنّ لكلّ منهما خصوصية تختلف عن الأخرى؛ فدلالات البيعة ومعانيها تختلف عن المصالحة، قال ابن خلدون: «اعلم أنّ البيعة هي العهد على الطاعة، كأنّ المبايع يُعاهد أميره على أنّه يُسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين، لا يُنازعه في شيء من ذلك، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكره»<sup>(٢)</sup>.

ويمكن بعد هذا البيان للأسباب المعروضة للإجابة عن علّة عدم قيام الإمام الحسين عليه السلام على معاوية - مع توقّر الأسباب لذلك - القول: إنّ جميع ما تمّ عرضه لا يخلو من وجه لعدّه سبباً، كما لا يخلو من مناقشات، وقد ذكر بعضها خلال طيّات

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ١٩٩.

(٢) ابن خلدون، عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون (المقدمة): ج ١، ص ٢٦١.



البحث، ولا سيما في مسألتَي الصلح والبيعة، ولكن يمكن عدّ (وجود البيعة) من أهم الأسباب، بل أكثرها منعاً عن القيام.

ولكن مع عدم تمامية القول بكون البيعة هي السبب الأهم، والتشكيك في وجود بيعة، وذلك برّد الأخبار المتقدمة وغيرها التي ذكرتها، فحينئذ تكون (شخصية معاوية) هي السبب الأهم والأقوى في الحيلولة دون الخروج، فهو ذو شخصية لها الأذرع الكثيرة والقوية، مضافاً إلى منظومة إعلامية عبر ولاته في تجميل صورته، وإضفاء الطابع الديني عليه بحكم كونه الخليفة، وما يحمله هذا اللقب من مدلول قدسي في أذهان المسلمين آنذاك؛ ولذا أيُّ خروج في تلك المرحلة محكوم بضياغ أهدافه وغاياته.

وهذا لا يعني إهمال الأسباب الباقية، وعدم محوريتها في عدم القيام، ولكن تنصّدر البيعة وشخصية معاوية الأسباب.

وهنا لا بدّ من الالتفات إلى أنّ عدم الخروج والتحرّك على الأرض، لا يعني عدم وجود المعارضة، فالإمام الحسين عليه السلام لم يترك هذه المدّة دون مواجهة، إلّا أنّها مواجهة إعلامية لا عسكرية إذا صحّ التعبير؛ فقد كانت له العديد من الخطب في الكشف عن الضلال الأموي، ولا سيما خطبته في منى التي ذكر فيها فضائل أهل البيت عليهم السلام، خصوصاً أمير المؤمنين عليه السلام، وأبان عن زيف هذه السلطة وضلالها، ومن جملة ما كان في تلك الخطبة أنّه عليه السلام ذكر الأمّة ولا سيما العلماء منهم بوظائفهم تجاه هذا الانحراف، ومعرّضاً بسكوتهم، فقال عليه السلام: «... ولكنكم مكنتم الظلمة من منزلتكم، وأسلمتم أمور الله في أيديهم، يعملون بالشبهات، ويسيرون في الشّهوات، سلّطهم على ذلك فرازكم من الموت وإعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم، فأسلمتم الضعفاء في أيديهم، فمّن بين مُستعبد مقهور، وبين مستضعف على معيشته مغلوب. يتقلّبون في

الملك بآرائهم، ويستشعرون الحزى بأهوائهم، اقتداءً بالأشرار، وجُراً على الجبار. في كل بلد منهم على منبره خطيب يصقّع، فالأرض لهم شاغرة، وأيديهم فيها مبسوطة، والناس لهم خول لا يدفعون يد لأمس»<sup>(١)</sup>.

ودفعاً لما قد يظنّه بعض من أنّ استنهاض الأمة من قبل الإمام عليه السلام استنهاض يخفي وراءه الطمع في الرئاسة والوصول إلى سُدّة الحكم؛ فقد نبّه الإمام عليه السلام لذلك، فقال عليه السلام: «اللّهم، إنّك تعلم أنّه لم يكن ما كان منّا تنافساً في سلطان، ولا التماساً من فضول الخطام، ولكن لثري المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويعمل بفرائضك وسُنَّتِكَ وأحكامك»<sup>(٢)</sup>.

ولعلنا بعد التأمل العميق في النهضة الحسينية نجد أنّها نهضة على معاوية وحكمه وقرارته، ولا سيما بعد وصول يزيد إلى الحكم، وإلا فإنّ الإمام عليه السلام لم يعاصر حكومة يزيد إلا عدّة أشهر، ولم يظهر منها أيُّ أفعالٍ بعد؛ ليرتّب القيام عليها، فلا يمكن أن يتمّ تصوير النهضة الحسينية على أنّها نهضة ضدّ حكومة يزيد فقط، بل هي نهضة ضدّ معاوية، وما أحدثه في الإسلام. وحكومة يزيد هي أخطر ما تمّ على يد معاوية؛ ولذلك فهي نهضة لتصحيح مسار الانحرافات التي أحدثها معاوية، فالإمام عليه السلام نهض ضدّ معاوية في مرحلتين: الإعلامية، والحركية. وهي وأن تأخّرت إلى ما بعد هلاك معاوية، فإنّها في الواقع نهضة ضدّ أمره وما خلفه.

## الخاتمة

في نهاية مطاف هذا القسم والمخصّص لدراسة الأسباب العامّة لنهضة الإمام الحسين عليه السلام وتحليلها يمكن الوقوف عند أهمّ النتائج المتحصّلة:

(١) ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص ٢٣٨.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٣٩.

- ١ . يُعدّ مصطلح النهضة الأكثر مناسبةً في وصف أحداث واقعة الطف؛ لشموليّته الدلالية، من دون أن تكون المسمّيات الأخرى خطأً أو مجازاً.
- ٢ . تتنوّع مسارات الأسباب بين غيبية مرتبطة بعلم الإمام عليه السلام، وموضوعية خارجية فرضتها الأحداث في تلك المرحلة، ولا تنافي بين هذين المسارين، بل يمكن عدّهما ركنين أساسيين في فهم الأسباب بالصورة الصحيحة، والنهضة الحسينية بشكل عامّ.
- ٣ . يُشكّل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر روح النهضة الحسينية وفلسفتها، وتنضوي الأسباب والأهداف والغايات والأبعاد كلّها في ضمن هذه القاعدة، ولذا هي من هذا أبعد من كونها سبباً في الحقيقة.
- ٤ . لم تكن النهضة الحسينية وليدة أحداث حصلت بوصول يزيد إلى السلطة، بل هي امتدادٌ لمرحلة سابقة تمتدّ في جذورها إلى مرحلة أبعد حتّى من بدايات الحكم الأموي، وما وصول يزيد إلى سُدّة الحكم إلّا حصيلة نهائية لتلك المراحل التي تتسم بالظلم والتحريف والتواء على الإسلام والمسلمين، والخروج عن مسار الشريعة بأوضح صوره.
- ٥ . منعت العديد من العوامل والأسباب قيام النهضة في زمن معاوية؛ ولذا لم يتحرّك الإمام عليه السلام، إلّا أنّ ذلك لم يمنعه من إيجاد نهضة إعلامية ضدّ الحكم الأموي وسياسة معاوية، وتوعية الأمة إزاء الخطر المحدق بها، ولا سيّما اجتماعه بالناس، وخطبته في منى التي نبّه فيها الأمة، وقرّعها على سكوتها عن معاوية ومحدثاته في دين الله سبحانه، وما يرومه من إيصال السلطة إلى رجل مثل يزيد.

### المصادر والمراجع

\* القرآن الكريم.

- ١ . الاحتجاج، أحمد بن علي الطبرسي، تعليق: محمد باقر الخرسان، دار النعمان، النجف الأشرف - العراق، ١٣٨٦ هـ.

٢ . الأخبار الطوال، أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، تصحيح: فلاديمير جرجاس، الطبعة الأولى، ليدن، ١٤٠٨هـ.

٣ . الإسلام والثورة، محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.

٤ . أضواء على ثورة الإمام الحسين عليه السلام، السيّد محمد محمد صادق الصدر، مؤسسة المعارف، بيروت - لبنان.

٥ . الأطر القانونية لثورة الإمام الحسين عليه السلام، حكمت الرحمة، مؤسسة وارث الأنبياء، النجف الأشرف - العراق، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ.

٦ . الإمامة والسياسة، عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة الدينوري)، تحقيق: علي شيري، منشورات الشريف الرضي، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٧ . الأمويّون وثورة الإمام الحسين عليه السلام، أبو مصعب البصري، مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الثانية، ١٤٣٣هـ.

٨ . أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى (البلاذري)، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٩ . أهداف التربية الإسلامية وغايتها، مقداد يالجن، دار الهدى، الرياض - السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ.

١٠ . بداية الحكمة، محمد حسين الطباطبائي، تحقيق: عبّاس السبزواري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٨هـ.

١١ . بين المنبر والنهضة الحسينية، الشيخ مرتضى مطهري، دار الإرشاد، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

١٢ . تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ.

١٣ . تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق:





د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٩ هـ.

١٤ . تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، محمد بن جرير الطبري، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣ هـ .

١٥ . تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، دار صادر، بيروت - لبنان.

١٦ . تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن ابن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ.

١٧ . تحف العقول عن آل الرسول، الحسن بن علي الحرّاني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ.

١٨ . ثورة الحسين عليه السلام ظروفها الاجتماعية، وآثارها الإنسانية، محمد مهدي شمس الدين، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة السابعة، ١٤١٧ هـ.

١٩ . الحسين ومسؤولية الثورة، حسن الصفّار، دار البيان العربي، بيروت - لبنان، الطبعة السابعة، ١٤١٢ هـ.

٢٠ . الحسين عليه السلام في مواجهة الضلال الأموي، سامي البدري، دار الفقه للطباعة والنشر، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الثانية، ١٤٣٠ هـ.

٢١ . الخروج، فؤاد حران الشويلي، دار الرافد، الطبعة الأولى، ١٤٤٣ هـ.

٢٢ . سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ.

٢٣ . شرح صحيح مسلم، يحيى بن شرف الشافعي النووي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠٧ هـ.

٢٤ . شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ١٣٧٨ هـ.



٢٥ . الشعائر الحسينية (بحوث الشيخ محمد السند)، تقرير: رياض الموسوي، مؤسسة الصادق للطباعة، قم المقدسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ.

٢٦ . صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الفكر، بيروت - لبنان.

٢٧ . عاشوراء في فكر الإمام الخميني، إعداد ونشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.

٢٨ . عصر النهضة، جيري بروتون، ترجمة: إبراهيم محروس، مؤسسة هنداوي، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

٢٩ . العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار الهجرة، قم المقدسة - إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.

٣٠ . الفتوح، محمد أحمد بن أعثم، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٣١ . لسان العرب، محمد بن مكرم المعروف بابن منظور، أدب الحوزة، قم المقدسة - إيران، ١٤٠٥هـ.

٣٢ . المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، ١٩٨٢م.

٣٣ . الملحمة الحسينية، مرتضى مطهري، آينده درخشان، قم المقدسة - إيران، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

٣٤ . من وحي الثورة الحسينية، هاشم معروف الحسني، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٣٥ . المنطق، محمد رضا المظفر، مؤسسة النشر الإسلامي.

٣٦ . موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، د. مفيد الزبيدي، دار أسامة للنشر، الأردن، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٩م.



٣٧ . موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام، باقر شريف القرشي، تحقيق: مهدي باقر القرشي، مؤسسة الإمام الحسن عليه السلام، النجف الأشرف - العراق، الطبعة الثانية، ١٤٣٣هـ.

٣٨ . الموضوعات من الأحاديث المرفوعات، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي القرشي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة - السعودية، الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ.

٣٩ . النهضة الحسينية خلفيات التكوّن والضرورة، د. جبار الفريجي، مكتبة الأبرار، النجف الأشرف - العراق، الطبعة الأولى، ١٤٤١هـ.

٤٠ . النهضة الحسينية دراسة وتحليل، السيّد علي الحسيني، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

٤١ . نهضة عاشوراء دراسات كلامية فقهية سياسية، مجموعة من الباحثين، دار المعارف الحكيمة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ.



إِنَّمَا أَخْرَجْتِ لَطَلِبَ الْإِصْلَاحِ فِي مَشْرِجِي

# الْإِصْلَاحُ الْحَسَنِيُّ

مَجَلَّةٌ فِصْلِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ تُعْنَى بِالنَهْضَةِ الْحَيَوِيَّةِ وَأَفَاقِهَا الْفِكْرِيَّةِ